



مکرم و نسوون قشرشل

۴



مذكرات
ونسنون تشبرشل
۲

الجزء الثانى

ماسا ميوئخ

كم من الأسفار العديدة التي كتبت وستكتب عن الأزمة التي انتهت في ميوئخ بالتضحية بتشيكوسلوفاكيا ولست أريد هنا إلا أن أثبت بمض الحقائق الأساسية وأبين الخطوط الأساسية للوقائع . لقد أتى ليفيتوف في الجلسة التي عقدتها الجمعية العامة لعصبة الأمم في الحادي والعشرين من سبتمبر الإنذار الرسمي التالي :

« تفرض تشيكوسلوفاكيا في الآونة الحاضرة لتدخل دولة مجاورة لها في شئونها الداخلية ، وتهدهدها عافاً بالهجوم عليها . وهكذا سيرى هذا الشعب الذي يعد من أفند الشعوب الأوروبية وأكثرها حضارة وأشدّها إقبالاً على العمل والذي نال استقلاله بعد قرون من القل والمبودية ، سيرى نفسه اليوم أو غدا مضطراً إلى حل السلاح دفاعاً عن استقلاله .

ولما تركت بلادي ورحلت إلى جنيف منذ بضعة أيام تلقيت لأول مرة سؤالاً عن موقفنا إذا تعرضت تشيكوسلوفاكيا للمدوان فأرسلت باسم حكومتني الجواب الصريح الآتي :

« لقد عزمنا على أن نوفي بالتزاماتنا . ونقدم لتشيكوسلوفاكيا بالتضامن مع فرنسا كل عون بالطرق الميسورة لنا . وإن وزارة حريقتنا على استعداد للاشتراك حالاً في مؤتمر يجمع ممثلين عن وزارتي الحرب في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا لدراسة الخطط المناسبة لمواجهة الظروف الحالية .

ومنذ يومين تلقت حكومتني استفساراً رسمياً من الحكومة التشيكوسلوفاكية عما إذا كانت حكومة الاتحاد السوفياتي على استعداد - وفقاً للماهدة السوفياتية التشيكية ، لأن تقدم لها المونة العملية المأجلة ، وأن فرنسا ستقدم لها هذه المونة وفاء بالتزاماتها فكان رد حكومتني صريحاً بالإيجاب . »

ولم يؤثر هذا البيان الرسمي الواضح الذي أصدرته دولة من أعظم الدول على مفاوضات الستر تشمبرلان ولا على موقف الفرنسيين من الأزمة . وقد تجاهلت

الدولتان هذا العرض بالفعل ولم يحجب لهذه الدولة العظمى حساب في ميزان الأوضاع ضد هنر ؛ وقد عومت بطريقة تدل على التناحى إن لم يكن على الاحتقار ، مما كان له أثره على عقل ستالين وتفكيره فقد ظلت الأمور تسير في طريقها وكأن روسيا السوفياتية حولة لا وجود لها . وقد كان لهذا التجاهل أثره البالغ فيما بعد .
والثى هنر مساء السادس والعشرين خطاباً في برلين فأشار إلى انجلترا وفرنسا ، بهارات مناسبة مهدئة ، وقد حل في نفس الوقت حملة شعواء على بنش والتشيكيين . وقال بصورة حاسمة : إن على تشيكوسلوفاكيا أن تحل في الحال من بلاد السوديت وقد أكد أنه إذا تمت تسوية هذه القضية . فلن يهمل مايقع لتشيكوسلوفاكيا فيما بعد . وأن هذا آخر مطلب إقليمي له في أوروبا .

وفي الساعة الثامنة من تلك الليلة قدم المستر ليبر رئيس إدارة الصحافة في وزارة الخارجية البريطانية إلى وزير الخارجية بلاغاً رسمياً للتوقيع عليه هذا نصه :
« إذا حدث على الرغم من المحاولات التى يبذلها رئيس الوزراء البريطانى . هجوم من ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا فإن النتيجة المأجلة أن فرنسا ستب لمساعدتها ولا شك أن بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتى سيقفان إلى جانب فرنسا » .

وقد وافق اللورد هاليفاكس على هذا البلاغ وعجل بصدوره وبدا أن ساعة النضال قد أوفت . وأن القرى المتبادية قد اتخذت أماكنها . فقد كان للتشيكيين مليون ونصف مليون من الجنود المسلحين يقفون وراء أقوى خط دفاعى في أوروبا ، تساندم قوات ميكانيكية عظيمة في عتادها وتنظيمها . وقد تمت تعبئة الجيش الفرنسى جزئياً . وكان الوزراء الفرنسيون على الرغم منهم أعلنوا دعمهم في التمسك بالتزاماتهم لتشيكوسلوفاكيا .

وأصدرت الأيرالية البريطانية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين من صباح الثامن والعشرين من شهر سبتمبر أوامرها بتعبئة الأسطول البريطانى .

وفي خلال ذلك بدأ صراع شديد مستمر بين الفوهرر وبين مستشاريه العسكريين . فقد تبين أن الأزمة قد هيأت سائر الظروف التى كان يخططها القواد الألمان .

فقد حشد من ثلاثين إلى أربعين فرقة تشيكوسلافكية على حدود المانيا الشرقية . وبدأت قوات الجيش الفرنسى التى تفوق قواتهم بنسبة ثمانية إلى واحد تصطف على الجدار الغربى . وتستطيع الجيوش السيوفياتية أن تعبر إلى الأمام عن طريق بولندا ورومانيا . وقد قام بعض هؤلاء القواد بمؤامرة لاعتقال هتلر « وإغاثا ألمانيا من هذا المجنون » . وأعلن آخرون أن ممنويات الشعب الألمانى المتهافة لا تستطيع الوقوف فى حرب أوروبية . كما أن القوات الألمانية المسلحة على غير استعداد لخوض غمار المعركة . ووجه الأميرال ريدر القائد العام للبحرية الألمانية إنذاراً شديداً إلى الفوهرر أسرعت بتأكيده الأنباء القاتلة بتمسكة الأسطول البريطانى .

وأخذ هتلر فى التردد . وفى الساعة الثانية من الصباح أذيع من محطة الإذاعة الألمانية بيان رسمى ينفى اعتزام ألمانيا إعلان التمسكة العامة فى القاسم والمشرقين وقد أصدرت وكالة الأنباء الرسمية الألمانية فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من نفس اليوم بياناً مشابهاً سلمته إلى الصحافة البريطانية . ولا شك أن الضغط على ذلك الرجل الفرد وعلى عزيمته الجبارة كان شديداً فى هذه اللحظة .

وكان من الواضح أنه قد أصبح على شفا الحرب العامة . فهل له أن يخطو هذه الخطوة إزاء الرأى العام الجارف الذى يواجهه وأمام هذه الإنذارات المتتالية من رؤساء أركان حربيه الذين يمثلون الجيش والبحرية والعيران ؟ ولكن هل يستطيع الآن أن يتراجع بعد أن عاش على سمته المدوية ردها من الزمن .

ولكن الستر تشمبرلن كان كذلك يقوم بنشاط بالغ فى هذه الآونة وكان يشرف إشرافاً كلياً على سياسة بريطانيا الخارجية . وكان اللورد هاليفاكس على الرغم من الشكوك الكثيرة التى تنبعث من جو وزارته يتابع توجيهات رئيسه ، وكان مجلس الوزراء يساوره القلق ولكنه مطيع لأوامر رئيسه ، وكان فى مقدور مراقبي المجلس أن يحافظوا على الأقلية التى تتمتع بها الحكومة .

كان هناك رجل واحد يوجه سياستنا ويقود شئنا ، ولم يكن ليتردد أبداً المسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه . وأهرق فى الرابع عشر من سبتمبر إلى هنار دون أن يستشير أحداً يقترح أن يقوم بزيارته . وطار رئيس وزراء بريطانيا إلى ألمانيا

ثلاث مرات وقد اتفنع هو ومستشاره الاوردرايمان بأن السبيل الوحيد لإرضاء هتلر هو فصل السوديت عن تشيكوسلوفاكيا .

وكانت المرة الأخيرة زيارة ميونخ وقد انضم إليه السيوديلاديه رئيس وزراء فرنسا وموسوليني . ولم توجه دعوة ما إلى روسيا كما لم يسمح للتشيكين أنفسهم بحضور هذه الاجتماعات . وقد أبلنت حكومة تشيكوسلوفاكيا بمباراة جافة مساء اليوم الثامن والمشرين أن مؤتمرا يضم ممثلي الدول الأوروبية الأربع سيعد في اليوم التالي وتم الوصول إلى اتفاق بين الدول « السكبار الأربع » بسرمة هائلة .

فقد بدأت الحادثات في الظهور وظلت حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالي . وأعدت مذكرة عاجلة ووقع عليها في الساعة الثانية من صباح اليوم الثلاثين من سبتمبر . وكان جوهر المذكرة يشتمل على الموافقة على المطالب الألمانية .

فقد تقرر أن يتم الجلاء عن مناطق السوديت في خمس مراحل تبدأ في اليوم الأول من أكتوبر وتنتهى في العاشر منه ، كما تقرر أن يهده إلى لجنة دولية بمخطيط الحدود النهائية .

وقد وضعت الوثيقة أمام الندوين التشكيين . فأخذوا ردونهم لهذه القرارات وقالوا أنهم يودون أن يملنوا احتجاجهم أمام العالم على قرار لم يشتركوا في وضعه واستقال الرئيس بنش لأنه يرى أنه قد يكون عائقا في سبيل التطورات التي يجب على الحكومة الجديدة أن تكيف نفسها وفقا لها . وقد ترك تشيكوسلوفاكيا ليجد له مائجا في إنجلترا . ومن ثم بدىء في تقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا . ولم يكن الألسان وحدهم الذين تكأروا على القريسة . فقد أرسلت الحكومة البولندية إنذارا إلى التشيكين تطلب إليهم أن يسلموا إليها عاجلا منطقة تيشين الواقعة على الحدود بين البلدين في ظرف أربع وعشرين ساعة . ولم يكن هناك مفر من قبول ذلك الطلب القامى وجاء الهريون كذلك يحملون مطالبهم للزعومة .

وبينا كان الساسة الأربعة ينتظرون الانتهاء من إعداد الوثائق النهائية سأل رئيس الوزراء هتلر . إذا كان يرى الحديث إليه حديثا خاصا . فتوب هتلر لقبول الفكرة واجتمع الزعمان في شقة هتلر الخاصة في ميونخ صباح الثلاثين من شهر

سبتمبر . ولم يحضر معها أحد إلا مترجم واحد . وأخرج تشمبرلن مسودة بيان كان قد أعدّه . يعلن فيه « أن مسألة العلاقات الإنكليزية — الألمانية هي أم شيء بالنسبة للبلدين ولأوروبا جميعها وأن الفريقين يمدان الاتفاق الذي وقع أمس والاتفاق البحري الإنكليزي الألماني همارز على رغبة شعبيهما في أن يحارب أحدهما الآخر »

وقرأ هتلر الوثيقة ووثقها بغير تردد

وعاد تشمبرلن إلى انكلترا . وقد لوح بورقة البيان المشترك التي حل هتلر على توقيعهما مجرد هبوطه من الطائرة — وقرأها على مسمع من أعيان الشعب ووجوهه ممن حضروا إلى المطار لاستقباله وبينما كان في طريقه إلى داوننج ستريت والسيارة تنهب الأرض وسط هتاف المهاجرين أسر إلى هاليفاكس الجالس إلى جواره بقوله : « سوف ينتهي كل هذا خلال ثلاثة أشهر . ولكنه عاد يلوح بقصاصة الورق التي في يده من نوافذ داوننج ستريت وقال مخاطباً الجماهير من النافذة « هذه هي المرة الثانية في تاريخنا التي عاد فيها السلام مع الشرف من ألمانيا إلى داوننج ستريت . وأعقد أن هذا السلام سيظل طوال جيلنا » .

وهكذا انقصر رأى هتلر وتقديره من جديد . وبادت القيادة الألمانية العليا بالنزى والخلجل . فقد تبين ثانية أن الفوهرر كان على حق . إذ استطاع بمبقرته وإهامه وحده أن يقدر سائر الظروف العسكرية والسياسية تقديراً سليماً . وانحصرت زعامة هتلر مرة أخرى على ممارسة القادة العسكريين وكان كل هؤلاء القواد من الوطنيين الصادقين . وكان مهمهم أن يروا بلادهم تستعيد مكانتها الأولى بين أمم العالم وكانوا يقضون أوقاتهم كلها ليل نهار في القيام بكل ما يؤدي إلى تقوية ألمانيا المسلحة ولذا أحسوا من أعماقهم بنصبة شديدة لظهورهم بمظهر الذين لا يقدرّون الأحداث . وتحورات كراهيتهم لهتلر وعدم ثقتهم به إلى نوع من الإعجاب بمواهبه الخارقة . وجده الزعمون وتأكّدوا من بزوغ نجم يجب أن يسيروا على هداة . ومن ظهور دليل يجب أن يتبعوه ، وهكذا أصبح هتلر أخيراً السيد المطاع لألمانيا وقد أصبح الطريق واضحاً للمشروع العظيم واختفى التأمرون وراء ستار من الخزي بمد أن امتنع زملاؤهم العسكريون عن إنشاء نوياهم في المؤامرة .

وليس من اليسير الآن بعد أن مرت بنا تلك السنوات في طيها الجهود الشاقة والوقت الفكري والبدني - أن تصدر للأجيال القادمة تلك الموظف التي كانت تضطرم في بريطانيا بسبب موضوع اتفاق ميونخ . وقد أقسم الرأي بين أفراد أسر المحافظين وأصدقاءهم المخلصين إلى حد لم أزله مثيلا في حياتي من قبل . وكان الرجال والنساء الذين تربطهم وشائج قوية من الصلات الحزبية والروابط الاجتماعية والمالية ينظر بعضهم إلى البعض نظرات تحمل شيئا من الازدراء والفضب . ولم يكن من اليسور تسوية هذه القضية بهماقات الجماهير التي احتشدت لترحيب المستر تشمبرلن عند عودته من المطار إلى داوننج ستريت ولا عن طريق الجهود التي بهذا مراتبو المجلس وأنصار الحزب . ولم تكن نخفل نحن الأقلية بما تقابل به من السخرية والمزء من أنصار الحكومة .

وقد اهتزت الحكومة من أسسها . ولكن كان كل ما فات قد انقضى . فتماسك أعضاء الحكومة خففاً لكيانها . ولم يصمد في الميدان غير المستر داف كوبر وزير البحرية التي استقال من منصبه الكبير الذي كان قد حافظ على كرامته بالأوامر التي أصدرها بتمبئة الأسطول . ففي الوقت الذي كان فيه المستر تشمبرلن يسيطر على الرأي العام سيطرة كلية . اندفع هذا الوزير الشجاع من بين الصفوف ليعلم مخالفة لموقف زعيمه ورئيسه .

وألقي المستر كوبر خطاب استقالته في أيام المناقشة الثلاثة التي قامت في مجلس العموم حول اتفاق ميونخ . وكان هذا الحادث من الحوادث البارزة في حياتنا البرلمانية . فقد نمحت الوزير للتقيل بزلاقة مرتجلا أربعين دقيقة وقد سيطر على مشاعر الناابية من خصومه من نواب الحزب .

وكان من السهل على نواب المال والأحرار المعارضين كل المعارضة للحكومة القائمة أن يصفقوا له وأن يهتفوا . فقد كانت هذه الاستقالة فائمة لانشقاق في حزب المحافظين .

ولم تكن المناقشة التي جرت في المجلس الإخائية بالشاعر التي استثيرت في البلاد والقضايا العرصة للخطر . وإنى لأذكر تماما أنني حين قلت مرة في المجلس :

« إننا أصبنا بهزيمة كلية لانظير لما نارت ضدى عاصفة شديدة فى المجلس توقفت معها عن الكلام لحظة قبل أن أستأنفه . فقد كان هناك شعور جارف من الإعجاب بالحاولات التى يبذلها مستر تشمبرلين للمحافظة على السلام . وحاولاته الشخصية فى هذا السبيل . ومن التمدد على فى هذا الكتاب أن أترك الإشارة إلى سائلة الأخطاء الطويلة التى جرت فى التقدير . وسوء التقدير للرجال والحقائق التى استند إليها . وإن كنت لا أنكر الدوافع التى دفعت إلى هذا السبيل الذى سلكه واستدعى أفعى ما يمكن من الشجاعة الأدبية ، وقد أئذيت على هذه الشجاعة بعد سنتين حين ألقيت خطابى بمناسبة وفاته .

وكان فى استطاعة الحكومة أن تركز إلى حجة أخرى عملية واسكنها بالنفة حد الخطورة . على الرغم مما فيها من تريض بها فلا يستطيع أحد أن يفكر أننا لم نسكن على اعتماد لدخول الحرب ولكن هل كان ثمة من هو أسرع منى ومن أصدقائى فى إثبات هذه الحقيقة

لقد سمحت بريطانيا العظمى للقوة الجوية الألمانية بأن تتفوق على قوتها إلى حد كبير . فاستمررا كركنا المرصنة للهجوم تحتاج إلى الحماية . ولم يكن فى أكبر مدن العالم وأكثرها ازدهاما بالسكان أكثر من مائة مدفع مضاد للطائرات . وهى فى أيدى أناس غير مدربين على استخدامها . ولو أن هتلر كان صادقاً وكان ما تم فى اتفاق ميونخ سلاماً حقيقياً . فإن تشمبرلين يكون على حق أما إذا كان قد وقع فى خدعة لسوء الحظ . فإن علينا أن ننظر فرصة هذا التوقف العاجل لنصاح ما كان من إعمالنا وأغلامنا وكانت هذه الاعتبارات هى التى سيطرت على أفكار مؤيدى الحكومة .

وأثر المجلس سياسة حكومة جلالة الملك التى تجنب الحرب فى الأزمة الأخيرة ، بأغلبية ٣٦٦ صوتاً إلى ١٤٤ ولم يستطع الثلاثون أو الأربعون نائباً من المحافظين المنشقين أن يفعلوا أكثر من تسجيل ممارستهم بالامتناع عن التصويت .

واتمخبط رجل نكرة رئيساً لما تبق من حطام تشيكوسلوفاكيا هو الدكتور هاشا . وتمثلت حكومة جديدة زمام الحكم فى راج وقال وزير خارجية هذه الحكومة المهجورة « إن الأمور فى أوروبا وفى العالم بأسره لا تبشر بأمل فى قيام فترة طويلة من

الهدوم في المستقبل القريب » وكان هنتر يرى هذا الرأي نفسه وقد تم اقتسام النفاثم بصفة رسمية بين ألمانيا وبين الطامعين الآخرين في الأول من نوفمبر واحتلت بولندا مقاطعة تيشين دون أن يزجها أحد . ونال السلوفاكيون الذين استخدموا كخشب القط من لدن ألمانيا استقلالاً ذاتياً عيجياً . ونالت المجر قطعة من لحم الفريسة على حساب سلوفاكيا فلما أثبتت كل هذه المسائل في مجلس الموم أوضح المستر تشمبرلين أن المرض البريطاني والفرنسي بتقديم ضمانة دولية لتشكوسلوفاكيا وهي تلك الضمانة التي قدمت بعد اتفاق ميونخ لا تؤثر على حدود الدولة الحالية وإنما تشير إلى افتراض حدوث هدوء لم يسبق باستفزاز وقال وكان الأمر لا يمتني في كثير أو قليل : إن ما نراه الآن لا يبدو أن يكون تمديدا للحدود التي وضعتها معاهدة فرساي . ولا أدري إذا كان الذين خطوا هذه الحدود كانوا يظنون أنها ستبقى ثابتة كما هي . وإني لأشك كل الشك في أنهم قد تصوروا ذلك وإنما اعتقد أنهم قدروا أن هذه الحدود ستكون عرضة للتعديل من وقت لآخر . واعتقد أنني قد قلت ما يكفي في موضوع تشكوسلوفاكيا ولكن الفريسة الأخرى كانت لا تزال في انتظاره .

وقد تردد كثيرا السؤال عن استفاد أكثر من غيره من السنة التي تلت اتفاق ميونخ في موضوع تدعيم القوة وتأيينها . أحجم الحلفاء وهنتر ؟ . وقد أحس كثير من ممن يعتقدون بمحاجتنا إلى الحماية الجوية بشمور من الارتياح عندما رأوا تطور قوتنا الجوية من شهر إلى آخر ومصانمتنا تكاد تنتج الأنواع الجديدة من طائرات هاريكين ونافاثات اللهب . وأخذت أسرابنا الجوية يزداد عددها ومدافعنا المضادة لتعضاف . ولكن هذا التقدم على ماله من أهمية يبدو قليل الأهمية إذا قورن بتسليمح ألمانيا وقد أوضحت فيما سبق أن انتاج المتاد على نطاق شامل يتطلب أربع سنوات من التخطيط .

في السنة الأولى لا يكون ثمة انتاج على الإطلاق وفي السنة الثانية يكون إنتاج قليل وفي السنة الثالثة انتاج كثير أما في الرابعة ففيها فيض من الانتاج . وكانت ألمانيا المتألمة قد وصلت إلى السنة الثالثة أو الرابعة من استمدادها الكبير على حالة تشبه تماما حالة الحرب . أما بريطانيا فكانت تسير على أساس سلمي مألوف لا أثر

فيه للطوارئ . وبمخازن أقل ونطاق أضيق . وقد بلغت نفقات بريطانيا الحربية سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ في مختلف الأنواع نحو ٣٠٤ ملايين من الجنيهات إلى جانب (٢٣٤) مليوناً في العام السابق و ٣٦٧ مليوناً للعام الثاني والـ ٥٨٠ مليوناً في العام الثالث . وقد تكون ألمانيا في السنة الأخيرة التي سبقت الحرب أنتجت ضمتين على أقل تقدير أو ثلاثة أضعاف مما لدى بريطانيا وفرنسا من عتاد مجتمعين كما وصلت مصانعها الضخمة التي تنتج الدبابات إلى أقصى مدى إنتاجها . ومن هذا يتبين أن ألمانيا كانت تجد السلاح الذي تريده بسرعة أشد من إنتاجها .

وقد أدى إخضاع تشيكوسلوفاكيا إلى حرمان الحلفاء من قوة الجيش التشيكي وهي إحدى وعشرين فرقة نظامية وست عشرة فرقة للخط الثاني تم تعبئتها . وكذلك خطها الدفاعي الحصين الذي يتطلب خرقه أيام ميونخ ثلاثين فرقة ألمانية نشل حركتها جميعاً . أو ما يعادل ثلث القوة الرئيسية للجيش الألماني الميكانيكي الكامل التدريب . وقد ذكر الجنرالان بودل وهولند أن ثلاث عشرة فرقة ألمانية بقيت في الغرب منها خمس فرق عندما وقع اتفاق ميونخ ولاشك أن خسارتنا بإنهيار تشيكوسلوفاكيا كانت تعادل ضياع خمس وثلاثين فرقة . يضاف إلى ذلك أن مصانع سكودا قد انتقلت بفضل ميونخ من جانبنا إلى جانب هتلر وهي تعد الثانية في الأهمية بين مصانع أوروبا الوسطى وكان إنتاجها ما بين شهر أغسطس سنة ١٩٣٨ وسبتمبر سنة ١٩٣٩ مما دلاً أنه حتى كل مصانع السلاح البريطاني في هذه الفترة .

وفي الوقت الذي كانت تعمل فيه ألمانيا تحت ضغط المجهود الحربي الشديد ، كان العمال الفرنسيون قد حققوا منذ سنة ١٩٣٦ ما كانوا يريدون من العمل سراً وثلاثين ساعة في الأسبوع .

وربما كان أساس الكارثة في التأثير الشديد في النسبة بين الجيشين الفرنسي والألماني . فبعد سنة ١٩٣٨ كانت قوة الجيش الألماني في كل شهر تزداد لا في العدد والتشكيلات وتجنيد القوى الاحتياطية بل في الحصن والكفاية كذلك . وكان السير في التدريب والكفاية العامة يمتشي جنباً إلى جنب مع العتاد الذي يزداد

وينمو على الدوام . ولم يكن ذلك التقدم لفتح للجيش الفرنسى وهكذا ظل الجيش الألماني يسابق الجيش الفرنسى فى كل ميدان .

وكان فى وسع فرنسا وحدها سنة ١٩٢٦ بغير مساعدة حلفائها السابقين أن تنزى ألمانيا وتمتلكها دون عناء كبير وبغير معارك جديدة وفى سنة ١٩٣٦ لم يكن هناك شك فى تفوقها الكبير على ألمانيا وقد ظهر لنا الآن بعد انهيار ألمانيا من الأسرار ما يدل على أن التفوق الفرنسى ظل حتى سنة ١٩٣٨ . وكان اعتقاد القيادة الألمانية فى ضعف جيشها إلى جانب الجيش الفرنسى هو الذى جعلها تسمى لكبير هاج هتلر ومنه من تلك الاقتصارات التى أحرزها وعظمت بها شهرته حتى رفعته إلى القدوة .

وفى السنة التى نلت ميونخ وهى موضوع دراستنا الآن أخذ الجيش الألمانى على الرغم من ضعفه فى موضوع الاحتياطى للدرب يقترب إلى القمة من كفايته . ولما كان هذا الاحتياطى يستند إلى شعب يبلغ مقداره ضعف عدد الشعب الفرنسى ، فقد أصبحت المسألة مسألة وقت ليصبح الجيش الألمانى متفوقاً على منافسة الجيش الفرنسى من سائر النواحي . على أن الألمان كان لهم التفوق المئوى أيضاً . لأن تحلى أحد الحلفاء من الجبهة المتحدة خشية الحرب يبعث الضعف فى القوى المئوية لأى جيش فضلاً عن الشهور بالحاجة والخصوع وماله من أثر فى ضعف معنويات الضباط والجنود .

وكان الجانب الألمانى يزداد حماسة كلما رأى النجاح الذى يحالفه والقوة العسكرية التى تنمو وتزداد فتشتد عزيمته وتقوى روحه المئوية بينما كان اعتراف فرنسا بضعفها يفت فى عضد جنودها على مختلف رتبهم ويحبط من معنوياتهم .

ولكن كان هناك ميدان حيوى واحد بدأنا نلاحق فيه ألمانيا ونحسن مركزنا باطراد . وفى سنة ١٩٣٨ بدأنا نستبدل الطائرات القاذبة ذوات المحركين من أمثال « الفلاد ييغورز » بأنواع جديدة من طائرات الهاريكين والسيغفاري . وفى سبتمبر سنة ١٩٣٨ لم يكن عندنا إلا خمس أسراب من طائرات هاريكين وفى أثناء ذلك

توقف إنتاج قطع النيار والاحتياطي من أنواع الطائرات القديمة . بعد أن أصبحت غير صالحة للاستعمال . وكان الألمان قد سبقونا كثيراً في إنتاج الطائرات المقاتلة الحديثة وأصبح لديهم عدد كبير من طائرات المرسحيث ١٠٩ التي تقف أمامها طائراتنا القديمة عاجزة عن العمل . وقد نحنن . وضمنا سنة ١٩٣٩ إلى حد بعيد بعد أن ألقت أسراب جوية جديدة . وفي يولية من تلك السنة أصبح لدينا ستة وعشرون سرباً من المقاتلات الحديثة ذات الثمانية مدافع . مع أن الوقت لم يكن كافياً لبناء عدد يكفي من الطائرات الاحتياطية وقطع النيار .

فلما حل شهر يولية سنة ١٩٤٠ وقعت معركة بريطانيا كان عندنا سبعة وأربعون سرباً من أحدث المقاتلات .

وكان الألمان كذلك قد وصلوا إلى ما يبتفون من التوسع الجوي عدداً وعدة قبل بدء الحرب وكان مجيئنا متأخراً عنهم قرابة عامين . ولكنهم لم يحققوا في سنتي ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ إلا زيادة بسيطة تباغ العشرين في المائة بينما كانت زيادتنا في الطائرات الحديثة تباغ ثمانين في المائة . وفي سنة ١٩٣٨ كنا متأخرين عن ألمانيا وعلى الرغم من أننا قطعنا سنة ١٩٣٩ مرحلة كبيرة في طريق المساواة إلا أننا كنا أسوأ بكثير من وضعنا سنة ١٩٤٠ عند ما جاءت ساعة التجربة .

وكان متوقفاً أن تتعرض مدينة لندن سنة ١٩٣٨ لغارات جوية لم نكن على استعداد لها بصورة مؤلة . ولكن لم يكن ثمة ما يجعلنا نعتقد أن في الإسكان وقوع معركة حاسمة للسيطرة على بريطانيا قبل أن يتمكن الألمان من احتلال فرنسا والأراضي المنخفضة وتأمين القواعد الجوية لتكون على المدى الذي يمكنها من إطلاق النار والإغارة على شواطئنا .

ولم يكن في مقدور ألمانيا دون هذه القواعد أن تبث بطائراتها المقاتلة التصاحب القاذفات في غاراتها علينا في تلك الأيام ، ولم يكن في استطاعة ألمانيا أن تهزم جيش فرنسا في سنتي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ .

ولم ينجح لألمانيا الإنتاج الهائل من الدبابات التي استطاعت بها أن تحطم الجبهة

الفرنسية إلا في سنة ١٩٤٠. ومن ثم لم تستطع ألمانيا وأمامها التفوق الفرنسي في الغرب ووراءها بولندا التي لم تخضعها في الشرق ، أن تركز كل قوتها الجوية ضد بريطانيا كما تم لها ذلك بعد أن أرغمت فرنسا على الإذعان والاستسلام .

ولم يعمل حساب روسيا بالطبع في هذه المقارنة . أو ما يمكن لتشكوسلوفاكيا أن تقوم به من مقاومة . لذلك فإن سياسة أخذ النفس « التي كثيراً ما كان يقال إن اتفاق ميونخ قد أتاحها لنا قد خلفت بريطانيا وفرنسا في وضع أسوأ إذا ما قورن بوضع ألمانيا المحقرة عند وقوع أزمة ميونخ » .

وأخيراً فهناك حقيقة أخرى تدعو إلى الدهشة فقد استطاع هتلر في سنة واحدة وهي ١٩٣٨ أن يضم إلى الرايخ وتحت سيطرته المباشرة سبعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف نمساوي وثلاثة ملايين وخمسمائة ألف سودتي أي عشرة ملايين من الرعايا . السال والجنود ولا شك أن هذه الحقيقة قد قلبت الميزان إلى صالحه إلى حد كبير .

براغ، ألبانيا، وضمانة بولندا

ما كاد ينتهى شهور الارتياح الذى تمتع به المستر تشمبرلن وحكومته بعد اتفاق ميونخ حتى ظهرت مشكلة حادة جديدة .

كان رئيس الوزراء قد أعلن رأيه « بأن السلام سيدوم هذا الجليل » لكن أكثر زملائه من أعضاء الحكومة . رأوا الإنادة فى هذه الفترة للتمجيد بالتسليم . وهنا وقع خلاف فى صفوف الحكومة . فقد دعا الفزغ الذى أثارته أزمة ميونخ . وما تبعه من كشف مواضع الضعف فى أوضاعنا إلى العمل على التسامح السريع . وقد قوبل هذا بالنقد الشديد من جانب الحكومة الألمانية ومهافها للوجهة . وعلى الرغم من دوافع السرور التى عمت البلاد لتفادى الحرب بفضل رئيس الوزراء فإن الشهور بالحاجة إلى السلاح كان شديداً وقد أخذت وزارات القوات المسلحة تتقدم بمطالبها معلنة من مظاهر النقص المفزعة التى كشفت الأزمة عنها . وقد توصل مجلس الوزراء إلى حل وسط مقبول لاتخاذ كل ما يمكن من استمداد دون تعريض تجارة البلاد للخطر وبغير استفزاز للألمان والإيطاليين .

وكان المستر تشمبرلن لا يزال يعتقد أن فى استطاعته أن يحدث تحسنا بارزا فى الوضع من طريق اتصاله بالديكتاتورين ولم يكن فى حسابه أنهما قد حزما أمرهما . وقد اقترح أن يقوم هو ولورد هاليفاكس بزيارة إيطاليا فى أوائل شهر يناير . وقد وصلت الدعوة بعد تريت وتردد من موسوليني فسافر هو ووزيريه فى الحادى عشر من يناير سنة ١٩٣٩ حيث تم الاجتماع وإن الإنسان ليحمر وجهه خجلا عندما يقرأ فى مذكرات تشيانو ما كان يقال فى إيطاليا من خلف الستار من بلادنا وممثلها قد كذب تشيانو بقول : كنا ننظر إلى الزيارة على أنها مسألة ثانوية ، وقد لم تجر أية اتصالات إيجابية . ما أبعدنا عن هؤلاء الناس أننا فى هالين مختلفين . وقد تحدثنا إلى الدوتس فى ذلك فقال : إن هؤلاء الناس ليسون الطينة التى أنبتت فرنسيس دريك وغيره من الماسرين البارزين الذين أقاموا الامبراطورية . وإتمام الذرية المنحلة (٢ - مذكرات)

لسلسلة من الأرياء الترفين « ومضى شيانو في يومياته بسجل » أن البريطانيين لا يريدون أن يحاربوا ، ويحاولون أن يتراجعا بخطى وثيدة . ولكنهم لا يريدون القتال . وقد انتهت محادثتنا مع البريطانيين دون أن تصل إلى تحقيق شئ ، وقد تحدثت تليفونيا إلى رينتروب لأقول له إن المحادثات كانت فاشلة ولكنها لاخير منها « ويمودت شيانو ويكتب بعد أسبوعين « قدم السفير البريطاني الخطوط الرقيقة للخطاب الذي سيلقيه المستر تشمبرلن في مجلس الموم للموافقة عليه وإبداء مايريد من مقترحات أو تبديلات بشأنه . وقد وافق الدوتشي على الخطاب . وعلق عليه قائلا : هذه أول مرة يقدم فيها رئيس حكومة بريطانية مسودة خطايه إلى حكومة أخرى وهذه ظاهرة لا تبشر بخير لهم ولكن تشيانو وموسوليني هما اللذان ذهبا إلى مصيرهما الممؤم . وفي خلال ذلك أى في شهر يناير ١٩٣٩ كان رينتروب قد سافر إلى وارسو ليواصل هجومه الدبلوماسي على بولندا . فضم تشكوسلوفاكيا يجب أن يتيمه الاحاطة ببولندا . وكانت الرحلة الأولى ترى إلى عزل بولندا عن البحر بثنيت سيادة ألمانيا على دانزج والتوسع في اشراف ألمانيا على سواحل البلطيق حتى ميناء ميمل الليقواني . وقد أبدت الحكومة البولندية مقاومة شديدة لهذا الضغط . وكان هنتر في أثناء ذلك يربط تطور الأمور ينتظر حلول الفصل الصالح للحملات العسكرية وانتشرت الأخبار في الأسبوع الثاني من شهر مارس عن تحركات عسكرية واسعة النطاق تقوم بها الجيوش الألمانية في ألمانيا والنمسا لاسيما في منطقة فيينا - سافزبرج . وقيل إن أربعين فرقة ألمانية قد احتشدت واصبحت متأهبة للمركة . وكان السلوفاكيون ، بعد أن تأكدوا من مساعدة ألمانيا يضمنون الخطط لفصل بلادهم عن الجمهورية التشكوسلوفاكية وقد شعر الكونليل بيك وزير خارجية بولندا بالارتياح حين رأى الرياح التيتوتونية تهب في أنباء آخر ، فأعلن في وارسو أن حكومته تعطف كل المطف على آمال السلوفاكيين واستقبل هنتر في برلين الأب تيسو الزعيم السلوفاكي بالظاهر التي اعتاد أن يقابل بها رؤساء الوزارات . وعند ماسثل المستر تشمبرلين في الثاني عشر من شهر مارس من الضمانة للمطاة لتشكوسلوفاكيا وحددوها ذكر المجلس بأن هذه الضمانة مقرونة بشرط المدوان التي لم يستغفر ولم يكن وقع عدوان بعد ولكنه وقع بعد وقت قصير .

وانشرت موجة من التفاؤل الضلل في سائر أنحاء بريطانيا في شهر مارس سنة ١٩٣٩ . وعلى الرغم مما كانت تمنيه تشكوسلوفاكيا من الضغط الألماني الشديد خارج البلاد ودخلها . فان الصحف البريطانية التي دبرت اتفاق ميونخ لم تكن قد فقدت ثقها بالسياسة التي جرت إليها البلاد وقد ألقى وزير الخارجية في المائير من شهر مارس خطابا في دائرته الانتخابية عن أمه في مشروع خمس سنوات لأجل السلم يؤدي في النهاية إلى خلق العصر الذهبي . وكان يجري البحث في ذلك الوقت لمقعد مهادنة تجارية مع ألمانيا .

ونشرت صحيفة « بنش » الأسبوعية المشهورة رسما كاريكاتوريا يصور جون بول . وقد أفاق من كابوس مرعب وقد تهددت الشائعات والشكوك والأوهام وطارت من النافذة .

وفي نفس اليوم التي نشرت فيه هذه الصورة . وجه هتلر انذاره النهائي إلى الحكومة التشكوسلوفاكية الهزيلة التي أفقدتها قرارات ميونخ خطوطها الدفاعية المحصنة . وزحف الجيوش الألمانية إلى براغ وسيطرت على الدولة التي لم تقاوم . وأذكر أنني كنت أجلس في حجرة التدخين مع المستر إيدن عندما أصدرت الصحف المسائية ملاحظتها لتسجيل هذه الحوادث . وقد كان هذا المدوان السافر بما فيه من عنف ومفاجأة موضع دهشة لدى الجميع حتى نحن الذين لا نجرى وراء الخيال . والذين كنا ننتظر هذه التطورات ولم يكن يحظر نبأ أي إنسان أن حكومة جلالة الملك بكل عائلتها من أجهزة المخابرات ستفاجأ بهذا العمل . وقد شهد اليوم الرابع عشر من شهر مارس انحلال الجمهورية التشكوسلوفاكية وهبوطها ، وسرعان ما أعلن السلوفاكيون استقلالهم . واجتازت القوات المجرية تشد أزرها بولندا بصورة سرية الحدود إلى المناطق الشرقية من تشكوسلوفاكيا أو ما يسمى بالكرايات . — الأوكرانية التي كانت المجر تطالب بها . ووصل هتلر إلى براغ يعلن فرض حماية ألمانيا على تشكوسلوفاكيا التي ضمت إلى الرايخ . وقد وجد المستر تشرلن نفسه مضطرا إلى التحدث في مجلس العموم في الخامس عشر من شهر مارس فقال : « في الساعة السادسة من صباح هذا اليوم بدأ احتلال القوات العسكرية الألمانية لبوهيميا ، وقد أصدرت

الحكومة التشكية أوامرها إلى شعبها بعدم المقاومة . ومضى يوضح للمجلس أن الضمان الذي كان قد قدمه إلى تشكوسلوفاكيا لم يبد صالماً فقد تغير الوضع تماماً منذ أعلن مجلس البايت السلوفاكي استقلال سلوفاكيا وأنهى هذا الإعلان ما اعتزمناه من ضمان حدودها . لهذا فإن حكومة جلالته لا تجد نفسها بعد ذلك مرتبطة بهذا الالتزام » .

وقال في ختام خطابه الحاسم : « ومن الطبيعي أن أجد نفسي أسفا لما حدث ولكن هذا الأسف لا يصح أن يحولنا عن طريقنا وعلينا أن نذكر أن العالم أجمع يرغب في السلام » .

وكان مقررأ أن يلقى المستر تشمبرلن خطاباً آخر بعد يومين في برمنجهام . وكنت أنتظر منه أن يقبل ماحدث بكثير من التسامح فقد كان يظن أنه قادر على تفهم طبيعة مثل كل الفهم وخيل إليه أنه يستطيع بشيء من الدعاء أن يقيس المدى الذي يذهب إليه هتلر وقد اعتقد أن اجتماع ميونخ كان لقاء للمقول وأنه هو وهتلر ومسؤولين قد استطاعوا إنقاذ العالم من ويلات الحرب وواضح أن هذا الاعتقاد وما نشأ عنه من أعمال وأقوال قد تبدد فجأة وكأنه لم يكن . فتبين له أنه خدع نفسه وفرض أخطائه على زملائه المناضمين وعلى الرأي العام البريطاني المسكين وسرمان ما انقلب على ماضيه وتكرره . وإذا كان تشمبرلن قد أخطأ فهم هتلر . فإن هتلر قد صنف تقديره لصيفه رئيس الوزراء . فقد أخطأ في مظهره السالم ورغبته الشديدة في السلام . وعدما جزأ يارزأ من شخصيته . وقد جعل من مظلته رمزاً لهذه الشخصية . ولم يحظر لهتلر أن لنيفل تشمبرلين إلى جانب هذا طبيعة سلبية قاسية وأنه عفت من بعده .

وقد جاء خطاب برمنجهام يمزج على نعمة جديدة : فوجه اليوم الشديد إلى هتلر واتهمه بالتكبر لوفوده وهو ذاك التي قطعها في اتفاق ميونخ . وعدد التأكيدات التي صدرت عن هتلر مثل قوله « هذا آخر مطلب أقليمي في أوروبا » أو قوله « لم يمد يديني شأن الدولة التشيكوسلوفاكية وأستطيع أن أضمن حدودها . إننا لا نريد في بلادنا تشيكيين » ومضى رئيس الوزراء يقول « وإنني على اقتناع بأن النابالية

المظنى من الشعب البريطاني بعد ميونخ كانت تشترك معى فى الرغبة الصادقة فى السير بهذه السياسة نحو الأمام . أما اليوم فأنا أشارك الشعب خيبة أملة وحفقه لظهور هذه الآمال فكيف نستطيع أن نوفقى بين أحداث هذا الأسبوع وبين التأكيدات التى تلونها عليكم ! ولا أدرى أهذا آخر هجوم على دولة صغيرة أم أن هجمات أخرى ستقبه ؟ وهل هذا الهجوم خطوة لفرض السيطرة على العالم بالقوة ؟

وليس من اليسير علينا أن نتصور من التناقض ما هو أشد من هذا الذى يبدو بين خطاب اليوم وبين موقف رئيس الوزراء وسياسته فى الخطاب الذى ألقاه قبل يومين فى مجلس العموم . ولا شك أنه فى هذين اليومين قد اجتاز فترة من الإجهاد الجسدى العنيف . ولم يبق الفخير الذى طرأ على تشميرلن عند حدود اليكالات . وكانت الدولة الصغيرة التالية فى حساب هتلر هى بولندا ولم يضع المستر تشميرلن وقته سدى فى استشارة من يجب عليه استشارتهم وفى الحادى والثلاثين من شهر مارس أعلن فى البرلمان ما يلى :

« إذا وقع أى حادث يهدد استقلال بولندا ويضطرها إلى مقاومته بقواتها الوطنية . فإن حكومة جلالتهم تجدد نفسها مضطرة إلى أن تقدم - فى الحال - إلى الحكومة البولندية كل مساعدة تستطيعها . وقد أرسلت حكومة جلالتهم مثل هذا التأكيد إلى حكومة بولندا » .

« وأريد أن أضيف أن الحكومة الفرنسية . صرحت لى بأن أوضاعها تقف نفس الموقف الذى تقفه من هذه المسألة وقد أعلنت هذا القرار إلى سائر حكومات الدوميتيون ولم يمد الوقت صالحا لتبادل التهم فيما يتعلق بالماضى فقد أيد زعماء الأحزاب جميعها فى المجلس الضمان الذى قدمته الحكومة إلى بولندا .

وعلمت أنا بقول « بدون الله لن يكون ثمة بد من أن نعمل هذا » فقد كان هذا الفعل أمرا لا مفر منه بالنسبة إلى النقطة التى وصلنا إليها . ولكن كل من كان يدرك الموقف لم يكن يشك فى أن هذا الضمان يبنى حربا عالية على كافة الاحتمالات .

وهكذا وصلنا إلى الناية القصوى فى أمر هذه الأحكام المخاططة التى وقم فيها أناس أكفأ خسنوا التية ولا شك أن وقوعنا فى هذا المأزق يجعل المسئولين منه

مهما خلصت بيتهم . ملومين أمام التاريخ . ولنمد إلى الخلف لنرى ما قبلناه وما تركناه .

كانت ألمانيا مزودة السلاح بحكم معاهدة فريه حاسمة . ثم سلحت نفسها معاهدة هذه المعاهدة . ثم تخليتها عن تفوقنا الجوي وحتى عن تبادلتنا معها . ثم احتلال منطقة الراين بالقوة وإقامة تحصينات سيجفريد ثم إقامة محور رومة — برلين وابتلاع النمسا والتخلي من تشيكوسلوفاكيا وتحميلها في اتفاق ميونخ بوقوع خط دفاعها الحصين في أيدي الألمان وانتقال مصانع سلاحها العظيمة في شكودا إلى الجانب الألماني لتقوم بصنع الذخائر للجيش . ونجاهل المحاولة التي قام بها الرئيس روزفلت لإيجاد الاستقرار في أوروبا أو العمل على إيجاده عن طريق تدخل الولايات المتحدة . وإهمال الرغبة الصادقة للاتحاد السوفيتي للاشتراك مع الدول الغربية والمضي إلى أبعد الحدود لإيقاد تشيكوسلوفاكيا . وإضاعة خمس وثلاثين فرقة تشيكوسلوفاكية كان من الممكن استخدامها ضد الجيش الألماني الذي لم يستوف نصيبه وإعداداته . في حين لم يكن في استطاعة بريطانيا المظلي نفسها أن تقدم إلى فرنسا أكثر من فرقتين لتقوية جبهتها وكل هذه أمور ذهبت مع الرياح .

والآن بعد أن ذهبت هذه الزايا وتبددت تقبل بريطانيا وتتقدم الصفوف وتقود فرنسا من يدها لتقدم معاً الضمان الواجب لحياة حدود بولندا . وهي الدولة نفسها التي كانت لها شهرة الضيع واشتركت قبل سنة أشهر فقط في تدمير الدولة التشيكوسلوفاكية سنة ١٩٣٨ ولم يكن في وسع الجيش الألماني أن يحشد أكثر من ست فرق مدربة على الجدار النري . بينما كان في استطاعة فرنسا أن تحشد ستين أو سبعين فرقة . تحرف بها على الراين أو الرور على الأقل . ولكن مثل هذا العمل اعتبر في ذلك الوقت تهوراً وتسرعاً ويميداً عن المنطق والتحمل : وزولا عن المستوى من ناحيتي الفكر والأخلاق . ولكن الدولتين الديموقراطيتين جاءتا تملتان الآن استمدادهما للتضحية دفاعاً عن سيادة بولندا الإقليمية .

ولو بحثنا في بطون التاريخ عن حادث مماثل لهذا التنوير الفجائي لسياسة ظلت تمل خمس سنوات أو ست للتهدة المسكينة الخاضعة ثم تحولت بين يوم

وليلة إلى سياسة قتيل الحرب الواضحة التي لا محالة منها ، في ظروف أسوأ وأشمل ،
لما وجدنا مثيلا لهذه السياسة على الإطلاق .

وثمة شيء آخر . إذ كيف نستطيع أن نحصى بولندا . وأن نفق بتمهيدنا . لا سبيل
لنا إلى ذلك إلا بإعلان الحرب على ألمانيا ومهاجمة جدار غربي أصبح أقوى مما كان
عند تراجعنا في سبتمبر سنة ١٩٣٨ . ويدافع عنه جيش ألماني أشد قوة وصلابة إن
هناك قائمة كبيرة من حوادث الاستسلام حين كان كل شيء هينا وسهلا . بنمو قوة
ألمانيا وتضخمها .

أما الآن فقد جاء دور الانتهاء من سياسة الخدوع التي اتبناها البريطانيون
والفرنسيون . واتخذ القرار الواجب ولكن في أسوأ الظروف وعلى أسس أقل من
التي سبقتها وتؤدي ولا شك إلى ذبح عشرات الملايين من الأنفس وهكذا نرى أن
القضية الحقة الماددة قد برزت أخيراً في معركة مهلكة عن هزم وتصميم سابقين وبعد
تزويق من الفن المقلوب وبعد أن فقدت هذه القضية الكثير من مزاياها بسبب
التفريط وسوء التصرف .

فاذا تخلفت عن القتال في سبيل الحق وكل وسائل النصر في يدك . وكان
فوزك مؤكداً قليل التكاليف . فقد تجد نفسك مرغماً على القتال وسائر القوى المضادة
تغالب عليك ولا تجد أمامك إلا أملاً ضعيفاً في البقاء .

وما زال هناك وضع أسوأ فقد ترغم على القتال وليس لك أمل في النصر . فن الخبير
للإنسان أن يموت كريماً ولا يعيش عبداً ذليلاً .

وكان البولنديون قد كسبوا مقاطعة نيش بعد موقفهم الخزي من تصفية الدولة
التشيكوسلوفاكية . ولكن ما أسرع أن وجدوا أنفسهم في موقف يحتم عليهم أن
يدفعوا النزم فلما استقبل ديبنتروب في الحادي والعشرين من شهر مارس سفير بولندا
في برلين . كانت لهجته أكثر حدة من المرات السابقة فقد أدى احتلال بوهيميا
وخلق دولة حلوقا كيا التابعة لألمانيا إلى وصول الجيش الألماني إلى حدود بولندا
الجنوبية وقد أوضح السفير أن رجل الشارع البولوني لا يستطيع أن يدرك لماذا أخذ

الراجح على نفسه أمر حماية نبلوفا كيا تلك الحماية التي لا تحمل أى معنى عداوى ضد بولندا .

وطلب المغير معلومات عن المهادنات الأخيرة التي دارت بين ريبنتروب وبين وزير خارجية ليتوانيا . وهل تتناول ميناء ميبيل ، وقد تلقى الرد على سؤاله بمد يومين أى في الثالث والعشرين من شهر مارس حين احتلت القوات الألمانية ميناء ميبيل ولم يبق هناك وسيلة لوقف المدوان الألمانى في أوروبا الشرقية فالجر إلى جانب ألمانيا . وكانت بولندا قد وقفت بمنأى عن تشيكوسلوفا كيا ولم تكن على استعداد للتعاون مع رومانيا ، ولم تكن بولندا أو رومانيا ترضيان لروسيا بالتدخل ضد ألمانيا عن طريق أراضيها . وكان مفتاح التحالف هو الوصول إلى تفاهم مع روسيا ، واقترحت الحكومة الروسية في التاسع عشر من مارس . تحت عوامل التأثير بما دار ويدور — على الرغم من بقائها بعيدة من اجتماع ميونخ — أن يعقد مؤتمر جديد للدول الست . وكانت للسرا تشيرلن آراؤه الخاصة للقررة في هذا الشأن فقد ذكر في رسالة شخصية أنه « يتصرف في أعماق نفسه بمضم الثقة بروسيا » ومضى يقول « وإنى لا أعتقد مطلقاً بأنها تستطيع القيام بهجوم فعال حتى لو أرادت ذلك فضلاً عن أننى لائنق بدوافعها . ويظهر لى أنها لا تمت بقليل أو كثير بأفكارنا عن الحرية . وكل ما يستهويها هو أن تمسك بالآخرين من آذانهم . وهى فوق هذا مكروهة من معظم الدول الصغرى وفي مقدمتها بولندا ورومانيا وفنلندا » .

وعلى هذا قد استقبل الاقتراح السوفياتى الذى يذهب إلى عقد مؤتمر سداسى بقنور أدى إلى فشله .

وأخذت تخفى آمال الدوائر البريطانية الرسمية في احتمال إخراج إيطاليا من المحور . تلك الآمال التي كانت بريطانيا تضمها في حساباتها ، وألقى موسولوى في السادس والعشرين من شهر مارس خطاباً شديداً أكد فيه مطالب إيطاليا من فرنسا في البحر الأبيض المتوسط وفي بحر السابغ من شهر أبريل سنة ١٩٣٩ نزلت القوات الإيطالية في ألبانيا وقد سيطرت على سائر البلاد بمد اشتبا كات قصيرة . وكما كانت تشيكوسلوفا كيا نقطة ارتكاز للمدوان على بولندا قد رؤى أن تكون

ألبانيا نقطة لامتدادات مقبلة على اليونان - وظل يوغسلافيا ومنعها من الحركة . وكانت بريطانيا قد التزمت بضمان السلام في الشمال الشرقي من أوروبا فاحسب أن يكون موقفها من الخطر الجديد من الجنوب الشرقي ؟ فقد سمح للأسطول البريطاني الذي كان يستطيع أن يقف الايطاليين عند حدهم في البحر الأبيض المتوسط بالانصراف وبدأت باخرة السلام تتعرض للقنوب من كل ناحية . وفي الخامس عشر من أبريل - تم بعد إعلان الحماية الألمانية على يوغينيا ومورافيا اجتماع جورجيج بموسوليني وتشيتانو في روما ليشرح لها التقدم الذي وصلت إليه استمدادات ألمانيا في طريق الحزب .

وفي نفس اليوم بث الرئيس روزفلت رسالتين شخصيتين إلى هتلر وموسوليني حثهما فهما على أن يمهدا بدم القيام بأى عدوان جديد لمدة عشر سنوات « أو خمس وعشرين سنة إذا كنا نريد . أن نتطلع للامام » وقد رفض موسوليني في البداية أن يطلع على الرسالة وقد علق عليها بعد الاطلاع « إنها عمرة شلل الأطفال » ولم يدرك بخلده أنه سيساق فيما بعد إلى آلام أشد من شلل الأطفال .

واتخذ رئيس الوزراء في السابع والعشرين من شهر أبريل الخطوة الحاسمة بتقرير الخدمة العسكرية الإلزامية . على الرغم من تأكيدات سابقا بأنه لا يتخذ مثل هذا الإجراء . ويرجع الفضل في هذه القطة المتأخرة إلى المستر هوربليشا وزير الحرية . وقد قام كما يبدو بحياته السياسية في هذا الشأن إذ كانت المقابلات المديدة التي تمت بينه وبين رئيسه في هذا الشأن متسمة بالصراحة والعنف . وقد رآه كثيراً في خلال هذه الفترة وكان دائم الاعتقاد بأن اليوم الذي كنت أراه فيه هو آخر أيامه في الوزارة

ولم يكن إدخال التجنيد الإجباري في جيشنا ليؤدي إلى تأيين جيش لنا . فقد طبق هذا القانون على الشبان الذين يبلغون سن العشرين . وكان عليهم أن يجتازوا فترة من التدريب وكان على الحكومة بعد ذلك أن توفر لهم السلاح اللازم . ولكن هذه الإعانة الرزمية كانت لها الأهمية الكبرى بالنسبة لفرنسا وبولندا وغيرهما من الدول التي أغرقناها بضماناتنا ووعودنا . وقد تواتت الممارسة في المناقشة العامة

التي دارت في مجلس العموم عن أداء الواجب . وتخوف حزبا المال والأحرار من مواجهة الكراهية العميقة الشديدة في إنكسار الخدمة العسكرية الإجبارية .

ووجد زعماء البرات اللازمة لمعارضة هذه الخطوة . ولا شك أن هؤلاء الزعماء قد ساءورهم الألم لاضطرارهم إلى الوقوف هذا الموقف الذي أمثلته عليهم الأهواء الحزبية ولكنهم اتخذوه على كل حال ووجدوا البرات الحزبية التي عملية . فلما أجرى الاقتراح في المجلس وجد الانقسام على أسس حزبية وتمسك المحافظون من تأييد سياستهم بأغلبية ٣٨٠ صوتا إلى ١٤٣ ، وقد بذلت كل ما استطاع من محاولات في الخطاب الذي ألقته لإفناء المعارضة بتأييد هذا الأجراء الذي لا مفر منه ، ولكن محاولاتي كلها ذهبت سدى وقد أدركت خرج موقفهم « سببا وم يواجهون حكومة يعارضونها كل المعارضة » ورأيت من واجبي تسجيل هذا الحادث لأنه يحرم أنصار الأحرار والمال كل حق في لوم الحكومة إذ ذاك ، فقد كانوا يقيسون آراءهم بالنسبة للحوادث بسذاجة وبساطة ، ولكن سرعان ما وجدوا أنفسهم في حال تحتم عليهم أن يقيسوا الأمور بمقياس صادق جديد .

واشتركت في مارس مع المستر إيدن ونحو من ثلاثين نائبا محافظا في تقديم مشروع قرار إلى المجلس يدعو إلى تأليف حكومة قومية .

وظهرت حركة قومية طوال الصيف تدعو إلى تأييد هذه الفكرة أو إلى إدخالنا أنا والمستر إيدن في الوزارة . وأحس السير ستافورد كرييس في موقفه المستقل من الأحزاب بالقلق الشديد للأخطار التي تهدد الوطن .

وقد زارني وزار عددا من الوزراء ليدعوا إلى تأليف حكومة « تضم الجميع » ولم أكن أستطيع أن أتحمل شيئا ولكن المستر ستافلي وزير التجارة . تمحس للفكرة كل التمحس . وكعب إلى رئيس الوزراء يعرض منصبه الوزاري . إذا كان بأمل إعادة تأليف الحكومة على أسس جديدة واكتفى المستر تشمبرلين بإشارته يتسلم الكتاب بصفة رسمية

وأخذت سائر الصحف تقريبا مع مرور الأيام وفي مقدمتها الديلي تلغراف والمانستر جارديان تنشر هذا الرأي وتطالب به بالحاح . وقد أدهشني ما رأيته فيها

من تكرار يومى للحملة وبنت ألوف اللافئات فى أماكن مختلفة من العاصمة تحمل
شعار « تشرشل يجب أن يموت » وكان عشرات التطوعيين من الشباب والفتيات
يحملون شارات مماثلة يدورون بها جيئة وذهابا أمام مجلس العموم . ولم يكن لى شأن
بهذه الطرق . ولكن لو طاب منى فى ذلك الوقت أن أشترك فى الحكم ما ترددت .
ويظهر أن حظى الطيب قد أراد أن يكون حليق فى هذه الفترة أيضا وظلت الأمور
تسير إلى نتائجها الطبيعية والمنطقية المروفة .



على أبواب الحرب

وصلت العلاقات بين بريطانيا وألمانيا إلى حد يهدد باقطاعها . ونحن نعرف أن العلاقات بين البلدين لم تكن صادقة منذ تولى هتلر الحكم ، وغاية الأمر أنه حاول أن يلزم بريطانيا بالإقناع أو الإرهاب على أن تطلق يده في أوروبا الشرقية . في حين حاول تشمبرلين تهدئته وإصلاحه والرجوع به إلى النهج السليم . لكن الوقت قد حان أخيراً لتمود الحكومة البريطانية إلى نفسها وتمدد عن كل أمل لها في هذا الشأن .

وقد اقتنع مجلس الوزراء أخيراً بأن ألمانيا النازية جادة في سبيل الحرب . فبادر رئيس الوزراء بالضمائم وعقد الأحلاف يلقيها حيث شاء دون دراسة محيصة للمعن الذي نستطيع أن نقدمه لتلك البلاد . وفضلاً عن الضمان الذي قدمه لبولندا وجدناه يعطى ضماناً مماثلاً على اليونان ورومانيا ويمتد حلقاً مع تركيا .

ولم ند بدا كرتنا إلى تلك القمصانة التي دفع المستر تشمبرلين هتلر إلى توقيعها في ميونخ . والتي عاد يلوح بها للجواهر المحتشدة من الشعب . بعد مفادرة الطائرة التي في مطار هيستون . وكان اعتماده في هذه الورقة على الارتباطين القائمين بينه وبين هتلر وبين بريطانيا وألمانيا وما اتفقا ميونخ والماهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا . وقد قضى على الارتباط الأول إخضاع هتلر تشيكوسلوفاكيا ، أما الثاني فقد تخلص منه في الثامن والعشرين من شهر إبريل . ثم أعلن الإناء ميثاق عدم الاعتداء الموقع بين ألبانيا وبولندا . متخذاً ضمان بريطانيا لها سبباً لهذا الإنلاء .

وقد أصبح حتماً على الحكومة البريطانية أن تجعل بدراسة الوسائل العملية لتنفيذ ضماناتها لبولندا ورومانيا ، ولم يكن لهاتين الضماتين قيمة من الناحية العسكرية إلا إذا دخلتا في دائرة اتفاق عام يعقد مع روسيا . ولتحقيق هذه الغاية تتردد أن تبدأ المحادثات في موسكو في الخامس عشر من إبريل بين السفير البريطاني والسويفتوتوف .

وإذا نظرنا بين الاعتبار إلى الطريقة التي اتخذت مع الحكومة السوفياتية في

للاضى ، اتضح لنا أنه لم يكن ينتظر منها الآن الشيء الكثير ، ومع ذلك فقد عرض الروس بصفة رسمية في السادس عشر من شهر ابريل مشروعاً لم تشر نصوصه ، لإيجاد جهة متحدة للتعاون المشترك تضم بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتى وفرنسا على أن تقوم هذه الدول الثلاث وبولندا معها إذا أمكن ، بتقديم الضمانات اللازمة لأوروبا الشرقية والوسطى المهددة بخاطر العدوان الألمانى .

وكانت العقبة في طريق هذا الاتفاق هي خشية هذه الدول نفسها من تلقى العون الروسى في جيوش سوفياتية . تحف نحو أراضيها لإيقاع عنها ضد الألمان ومن ثم تضمها إلى النظام الشيوعى السوفياتى ، الذى كانت هذه الدول في المقدمة من معارضيه ولم تكن بولندا ورومانيا وقلنديا ودول البلطيق تدرى أى الناحيتين تنفق : العدوان الألمانى أم العون الروسى . ولعل هذا الوقت الخفيف للاختيار بين الناحيتين هو الذى شل حركة السياسة البريطانية والفرنسية وأفندها .

ولا ريب — على ضوء ماحدث فيها بعد أن الأسرى كان يحتم على بريطانيا وفرنسا أن تقبلوا المرض الروسى — وأن تعلمنا تأليف التحالف الثلاثى ، وتجملا طريقة التطبيق في حالة نشوب الحرب . محتملة التصديق بين الحلفاء المتضامدين في الحرب ضد العدو المشترك .

ففي ظروف الحرب : تتحكم ظروف وعوامل مختلفة كل الاختلاف ، فيميل التحالفون إلى التساهل فيما بين بعضهم من رغبات حتى لا يسيطر على الجبهة إلا صوت الحركة . وقيل السكل أموراً كانوا يكرهونها وقت السلم . ولم يكن من السهل في حلف كبير كهذا الحلف الذى كان متوقفاً أن يدخل أى حليف أراضى حليف آخر إذا لم يمدح إلى ذلك .

لكن السمر تشمبرلن ووزارة خارجيته وفقاً حائرين إزاء هذه المعضلة ، التى تشبه لنزأى الجول ، وكان من الحكمة والأحداث تنابم سراعاً على هذا النحو ، أن تتخذ الخطوات واحدة إثر أخرى .

فلو تم إعلان التحالف بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في سنة ١٩٣٩ لآتى هذا العمل الفزع في قلوب الألمان . ولكان من المستطاع تجنب الحرب . وكان في مقدور

الحلفاء بعد أن يصلوا إلى القوة المتفوقة أن يخطوا الخطوة التالية . حيث يكون موقفهم قد أتاح لهم فرصة المبادرة . وكان على هتلر أن يواجه مشكلة معقدة ، فهو لا يستطيع أن يحارب في جبهتين وقد حل في كتابه « كفاحي » في شدة وعنف على هذه الناحية . . ولا يستطيع من الناحية الأخرى أن يهتمل أثر الكبح وما له من نتائج وقد أضعنا مع الأسف فرصة وضعه في هذا المأزق الذي كان من المحتمل أن يكلفه غاليا وربما كلفه حياته .

ليس كل ما يرجى من رجال الدولة أن يبتقوا في بسائط الأمور فحسب لكن فرصهم الحقة وكفائتهم تبدو في قراراتهم العظيمة التي يقدر لها أن تنفذ العالم حين يكون الميزان متأرجحاً . وتكون الأمور المتضادة مخفية وراء الحجب . ولما كنا قد وصلنا أنفسنا إلى تلك الحال الرهيبة التي وصلنا إليها سنة ١٩٣٩ فقد تحتم علينا أن ننتهر الفرص العظيمة . ولو أجاب الستر تشيرلين عندما تلقى العرض الروسي وقال : « نعم لتتفق نحن الثلاثة على تدمير هتلر » أو قال كلمة أخرى من هذا القبيل فإن البرلمان كان سيؤيده في سياسته ولاشك . وكان ستالين سيدرك العرض المقصود ويسير التاريخ في طريق مخالف لما حدث . ولن تكون النتيجة أسوأ مما وقع .

ومع ذلك طال الصمت ، وظلت تمدأ نواصف الحلول والتسويات البطيئة . وكانت هذه الماطلات ضربة قاضية لتتيفينوف . فقد أدرك أن معاولاته الأخيرة للوصول مع الحلفاء النرييين إلى قرار حاسم قد فشلت كل الفشل . وتدهورت الثقة بنا عند الروس . الذين بدوا يحسون بحاجتهم إلى سياسة مخالفة كل المخالفة لتأمين سلامة روسيا .

وصدر في الثالث من شهر مايو بيان رسمي من موسكو بإقصاء لتتيفينوف عن وزارة الخارجية بناء على طلبه وتولى رئيس الوزراء مولوتوف أعمال الوزارة بدلا منه . وهكذا أقصى عن العمل اليهودي البارز الذي كان هدفا لعداء ألمانيا . وقد ألقى به من مسرح السياسة العالمية إلى زوايا النسيان والرقابة البوليسية . ولم يسمح له بكلمة واحدة يبرر بها موقفه . وقد أصبح مولوتوف الذي لم يكن معروفا خارج روسيا قوميئارا للشؤون الخارجية يعمل بالداون الوثيق مع

ستالين . وكان هذا متحررا من سائر القيود التي عليها البيانات السابقة وكذلك من محيط عصبة الأمم . وكان في مقدوره أن يتحرك في أى اتجاه يرى فيه سلامة روسيا . ولم يكن أمامه إلا طريق واحد يتجه إليه . إذ كان دائما من المؤيدين للوصول إلى تسوية مع هتلر وقد اقتنعت الحكومة السوفياتية باتفاق ميونخ وغيره بأن بريطانيا وفرنسا لم تكونا على استعداد لخوض المعركة إلا إذا هوجتا . مما لا يحمل لحرهما قيمة ما قاله صافى على وشك المهبوب وعلى روسيا أن تمنى بحالها الخاصة .

ولا شك أن هذا التحول الشديد الغير الطبيعي للسياسة الروسية لا نستطيع أن نقوم به غير الدول الجماعية . ولم يكن قد مضى غير عامين على ذبح قادة الجيش الروس وآلاف من ضباطه لقبولهم تلك الاتجاهات التي أصبحت الآن مقبولة لدى فئة من القلقين من سادة الكرملين . كانت الدول المؤيدة لألمانيا كفرا وخيانة . لكنها الآن سرعان ما أصبحت سياسة الدولة وقد أصبح الربل والشقاء لمن يجردون على معارضة تلك السياسة أو الذين لا يسرعون إلى تقبل هذا التغير .

ولم يكن هناك من هو أجدر من القوميسار الجديد للشئون الخارجية ولا أكفا منه للقيام بهذه المهمة الجديدة .



إن هذه الشخصية التي وضعها ستالين آنذاك على رأس السياسة الخارجية السوفياتية تستحق شيئا من الوصف الذي لم يكن متوفرا في ذلك الحين للحكومتين البريطانية والفرنسية . فقد كان فياشيسلاف مولوتوف رجلا ذا كفاية ظاهرة باسم بالقوة والمنف ، وقد تصدى للخطار والمحن الرهيبة التي تعرض لها الزعماء البلاشفة إبان اقتضار الثورة . وعاش ويزغ نجمه في مجتمع حافل بالدسائس التي تعرض شخصه لخطر التصفية وكان رأسه الذي يشبه في صورته قذيفة المدفع . وشاربه الأسود وعيناه اللتان تتوقدان فهما وذكاه ، ووجهه المكثظ ، ولسانه الذلق ، ومظهره الساكن المطمئن . كلها ظواهر تدل على ماله من كفايات وهزايا . وكان أصاح من سواء لتنفيذ سياسة جهاز لا تمد قواه ولا تحصي . ولم ألق به إلا ونحن في وضع واحد متساو . وفي محادثات كان يظهر فيها متأثرا بطرفة لطيفة أو في مأدبة كان يقترح فيها

بعض الانحياز التقليدية ولم أر في حياتي رجلاً غيره تمثل فيه الفكرة المصرية من الرجل الآلى .
ولكن كانت تخفى خلف هذه الصفات سياسة معقولة في ظاهرها مهذبة إلى درجة كبيرة . ولا أستطيع أن أبدي حكى على موقفه بمن يعملون تحت رآسته .
أما موقفه من السفير الياباني في السنوات التي تلت مؤتمر طهران عند ما وعد ستالين بمهاجمة اليابان بعد هزيمة الجيش الألماني . فليستطيع أن ندركه من محادثاته السجلة .
قد تمت مقابلات متتالية تقسم جميعها بالرفقة والتمتع والفرابة مآ . وكانت تجري وفقاً لفرض محقق محتجب ، وأتران تام ! وجدرسى ، ولم يثر في هذه المقابلات مشكلة أو يحدث ثرة ، ولكنه كان يمثل بالقسامة الباردة سقيم شقاء سيريا . مع كلمات متزنة متخيرة ومظهر محبوب ، يجمعه وكلياً بمنازاً للسياسة السوفياتية في عالم شديد الاضطراب .

وكانت طريقة التراسل معه في الأمور المختلف عليها لا تجدى . وإذا مضى هذا التراسل قدماً فإنه كان ينتهى بالأكاذيب والإهانات . التي سيحتوى هذا الكتاب على أمثلة بارزة منها . ولم أر فيه الاستجابة الإنسانية المألوفة إلا مرة واحدة وكان ذلك في ربيع سنة ١٩٤٢ عند ما نزل إلى بريطانيا في طريق هودته من الولايات المتحدة إلى بلاده ، وكنا في ذلك الوقت قد وقمنا الماهدة البريطانية السوفياتية وهو على وشك الرحيل في رحلته الجوية الخطرة نحو بلاده .

فلما وقفت معه في مدخل حديقة داوونج سريت التي كنا نلوذ به حين نتحدث في أمور سرية - أمسكت بذراعه . وأخذ كل منا ينظر في وجه صاحبه . وفجأة ظهر لي وكأنه تأثر تأثراً عميقاً . وبدت لي من وراء الصورة حقيقة الإنسان . فاستجاب لقبضتي وأمسك كل منا بيد الآخر بشدة في مودة وفي سكون ، ولكننا كنا مآ نخوض معركة الحياة أو اللوت بالنسبة لنا أولئك كثيرين ممن معنا . إن الحراب والهلاك يحيطان به في كل لحظة إماله أو عليه .

ولا شك أن الآلة السوفياتية قد وجدت فيه ممثلاً ممتازاً في إخلاصه الحربي المذهبي الشيوعي . ومن دوامى فيبطى أننى لم أغان ما هاناه من الشدة فقد كنت

أفضل حينئذ أننى لم أوه . ولا شك أن مازاران وتاليران ومترنيخ يرحبون به في زمرتهم لإدارة السياسة الخارجية لو كان البلاشفة يسمحون لأنفسهم أن يعيشوا في العالم الآخر .

وقد سار مولوتوف على سياسة ترى إلى عمل تسوية مع ألمانيا على حساب بولندا . وكانت المفاوضات الروسية مع بريطانيا تدير سيراً وثيقاً . وقد أثير الموضوع كاملاً في مجلس العموم في التاسع عشر من شهر مايو . وقد كانت المناقشات مقصورة على البارزين من رجال السياسة ومن الوزراء السابقين . وقد كفت أنا والستر لويدي جورج والستر إيدن نستعص الحكومة على الوصول إلى تسوية طاعة مع روسيا على أن تكون على قدم المساواة وعلى أسس واضحة .

وقد أجاب رئيس الوزراء . وكشف عن آرائه في المرض السوفياتي قد استقبله استقبالاً قاتراً يتطوى على السخريه . ويفتقر إلى التقدير شأنه في رفض الأتراح الذي أرسله روزفلت قبل عام . وقد تحدث أتلي وسنكلير وإيدن عن الخطر العاجل والحاجة إلى التحالف مع روسيا . ولم يكن هناك أقل شك في قوات الوقت . قد ارتطمت جهودنا بجمود لا يتحول . فلي الرغم من قبول الحكومتين البولندية والرومانية الضمان البريطانى . فإنهما لم يكن ليهما اعتماداً لقبول تمهد مثل هذا من الحكومة الروسية . وقد ظهر موقف مماثل في منطقة استراتيجيه حيوية أخرى هي دول البلطيق . وكانت الحكومة السوفياتية قد أعلنت أنها لن تسام في ميثاق لتبادل المساعدة إلا إذا شمل فنلندا ودول البلطيق الأخرى . وكانت هذه الدول ترفض هذا الميثاق وترفض قبول هذا الشرط تحت عامل الخوف وقد قالت فنلندا وأستونيا في هذا الرفض فأعلننا أن أى ضمان يقدم دون موافقتها تمدانه عملاً عدائياً . ووقت أستونيا ولاتفيا في السابع من شهر يونيه موافق عدم الاعتداء مع ألمانيا .

وهكذا استطاع هتلر بسهولة أن ينفذ إلى الخطوط الدفاعية الأخيرة لذلك الحلف المتشكك المتأخر الذى أقيم ضده .

وأخذت تنصرم أيام الصيف ، والتأهب للحرب مستمر في سائر أنحاء أوروبا . ولم يمد ثمة تقدير لمواقف الدبلوماسيين وخطب الساسة وآمال الجنس البشرى ، (٣ - مذكرات)

وبدت النذر الألمانية لتسوية مشكلة النزاع على حائز مع بولندا بطريق العنف . كقائمة للمهجوم على بولندا . وأعلن السّر تشمبرلن للبرلمان عن قلقه في المآثر من شهر يونية . وكرر اعتراه الوقوف إلى جانب بولندا إذا تعرض استقلالها للخطر . وأعلنت الحكومة الباجيكية بطريقة متنافية لما عليه الحق . وتأثير من ملكها . في الثالث والعشرين من يونية معارضتها احراء محادثات لأركان الحرب مع انكلترا وفرنسا وقد أكدت عزمها على التمسك بالحياة الدقيق .

وقد أدى تطاول الأحداث إلى توحيد الصفوف بين بريطانيا وفرنسا وفي داخل بريطانيا نفسها ، وتمددت حركات الانتقال بين لندن وباريس خلال شهر يولية . وكانت احتفالات الرابع عشر من شهر يولية في فرنسا فرصة سانحة لإعلان الاتحاد بين انكلترا وفرنسا . وأرسلت الحكومة الفرنسية دعوة إلى لشهود هذه الاحتفالات .

وقد اقترح على الجنرال جلان وأنا أبارج ميدان « ليبورجيه » بعد العرض العسكري أن أزور الجبهة الفرنسية وقال : « إنك لم تترك قط قطاع الراين . فهاذا في شهر أغسطس لأطملك على كل شيء » وأعددت الخطة اللازمة لهذه الزيارة . وفي الخامس عشر من شهر أغسطس ذهبت أنا والجنرال سبيرز وقد رحب بنا سديقه الجنرال جورج القائد العام للجيش الجبهة الشمالية الشرقية والمرشح لتولي القيادة العليا ، عند غياب جلان . وقد سررت كثيرا لقاء هذا الضابط العظيم المهذب ، وقضينا الأيام العشرة التالية معه ننظر في شتى المسائل العسكرية وتصل بجملان وكان يقوم بتفتيش بعض الأماكن في الجبهة .

بدأنا رحلتنا في ليربورج عند متخرج الراين ومررنا بسائر القطاع حتى وصلنا إلى الحدود السويسرية . وكان الشعب في انكلترا كما كان سنة ١٩١٤ ياهو بقضاء اجازاته ، والامم مع أطفاله على الشواطئ ، أما هنا في الراين ، فقد بدا لي منظر مغاير فقد رفعت جميع الجسور المؤقتة القائمة على النهر من أماكنها إلى أماكن أخرى أما الجسور الثابتة فقد وضعت تحته الأنعام وأقيمت عليها الحراسة القوية وعهد إلى ضباط أكفاء بمراقبتها ليلا ونهاراً . ليضبطوا على الأضرار اللازمة لنسف هذه الجسور في اللحظة اللازمة .

وكان النهر العظيم يسير في فيضان عارم لما علت مياهه من تلوج الألب القابضة . وكانت الراكر الفرنسية الأمامية تحتل أماكنها بين الشجيرات القصيرة . وكان في استطاعة رجلين أو ثلاثة منا ان يصلوا إلى ضفة الماء ولا يكون منا هدف مرض للاصابة وكذا نرى الألمان على مسافة ثمانية ياردة منفشرين بين الأدغال في الجانب الآخر . يملكون في بسر واطمئنان في إعداد مراكزهم الدفاعية والفؤوس والمجاريق في أيديهم . وقد أجلى المدنيون من الحى الواقع على ضفة النهر في مدينة ستراسبرج . ووقفت لحظة على الجسر أراقب السيارات وهي تمر من فوقه . وكنت أرى أن عملية غص الجوازات والبطاقات تستغرق وقتاً أكثر من المألوف على الجانبين ، ولم يكن الواقع الألماني يبعد عن الفرنسي هنا أكثر من مائة ياردة . وليس مع ذلك بين المومنين أى اتصال لكن أودبا كانت ما تزال تفتتح بالسلام حتى تلك اللحظة . ولم يكن هناك أى صراع بين ألمانيا وفرنسا . وكان نهر الراين لا يزال يجرى بسرعة ستة أميال أو سبعة في الساعة . ولم أر الراين مرة أخرى إلا بعد خمس سنوات في مارس سنة ١٩٤٥ وأنا أعبه مع الرشال مونتجمرى بالقرب من ويسل إلى ناحية الشمال .

ولم أحم ما لفت نظري في هذه الزيارة هو الروح الدفاعية التي سيطرت على مضيقى من البارزين الفرنسيين وقد فرضت على فرضاً فقبلتها راضياً . وقد انضح لى من الأحاديث التي دارت بينى وبين هؤلاء الضباط الفرنسيين المظاء أنهم جميعاً يشعرون بتفوق القوة الألمانية على قوامهم . وأن فرنسا لا تستطيع القيام بهجوم عظيم . ولكنها تحارب دفاعاً عن كيائها فحسب . فهناك خط سييجفريد المحصن بكل ما للأسلحة الحديثة من قوة عظيمة ضاربة وكنت أشعر برعدة تتساب في جسدى عند ما أذكر هجومى السوم وباشينديل ، وكان الألمان الآن أقوى مما كانوا عليه أيام ميونخ ولم نكن ندرك ما تحسه قيادتهم العليا من القلق . وقد قبلنا هذا الوضع من الناحيتين الواقعية والنفسية . ولم يكن لأى إنسان مسئول - ولم أكن مسئولاً حتى تلك الآونة - أن يعمل على أساس اقتراحين ، أن اثنتين وأربعين فرقة ألمانية فحسب بمجهزة نصف تجهيز ومدرية نصف تدريب تتوالى لحراسة هذه الجبهة الطويلة الممتدة من بحر الشمال إلى سويسرا وكان هذا الرقم لا يتجاوز ثلاث عشرة فرقة أيام ميونخ .

ولشد ما كنت أخشى في هذه الأسابيع الأخيرة أن تراجع حكومة جلالة على الرغم من ضمانتها لبولندا عن الحرب ضد ألمانيا . إذا حاربها . ولكن لم يكن هناك شك في أن المستر تشمبرلن كان قد استقر رأيه على الحرب على الرغم مما في هذا القرار من مضمض ولكني لم أكن أعرفه كما عرفته بعد مضي عام . وكنت أخشى أن يقدم هتلر على أكتوبة جديدة من مبتدعاته فيزعم وجود سلاح جديد يهرب مجلس وزرائنا الذي تراكت عليه الأعباء وكان الأستاذ ليندلمان يتحدث إلى على الدوام عن الطاقة الذرية فطلبت منه أن يطلعني على معلوماته في هذه الشأن وبعد حديثي معه بشت إلى كنجزلي وود وزير الطيران بالرسالة التالية وكانت سلقى به وثيقة .

« ظهرت صحف الأحد منذ أسابيع مملنة من الطاقة الهائلة التي يمكن استخراجها من اليورانيوم ، من طريق سلسلة من التجارب التي اكتشفت حديثاً والتي تقع عند ما ينفلق هذا النوع من الذرة وقد تلقى هذه للمكتشفات في روعنا الخوف من وجود متفجرات جديدة لها قوة تدمير هائلة ولهذا يجب أن نعلم ألا خطر لهذا الا اكتشاف على الرغم من قيمته العملية إذ لا يمكن أن يؤدي إلى نتائج عملية قبل بضعة سنوات . »

« وقد بدت إشارات تدل على أن قصصاً متحاك عند ما نشهد الأزمة الدولية من استخدام هذا الا اكتشاف العلمي في متفجرات سرية جديدة ذات أثر بالغ يمكنها أن تمحو مدينة لندن من الوجود ، وستبدو محاولات من طريق رجال الطابور الخامس يهديدنا ودعوتنا إلى استسلام جديد . لهذا رأيت من واجبي أن أوضح لك الموقف على حقيقته . »

فالخوف من أن يكون لدى النازيين سلاح جديد يستعملون به أن يدسروا أعداءهم لا يستند على أساس على سليم . وستظهر ولا شك : إعياءات سود من هذا النوع ، وستنتشر همسات خفيفة من هذا النوع بصور مكبرة ، ولكن كل ما آمل أن لا يصدق أحد من المسؤولين هذه الشائعات . »

ومن الواضح أن هذا التنبؤ كان دقيقا وفي غاية الدقة . ولم يكن الألمان هم الذين
مروا على الطريق الذى يريدون ولكنهم ولاشك قد سلكوا الطريق الخطأ . ثم
تخلوا فعلا عن البحث عن القنبلة الذرية وقد وضوا كل همهم فى صنع الصواريخ
الموجهة والطائرات التى تقاد بغير طيارين . فى الوقت الذى كنت فيه أنا والرئيس
روزفلت نتخذ القرارات ونضع الاتفاقات الخالفة التى سأتشرحها فى موضعها من هذا
الكتاب ، لصناعة القنابل الذرية على نطاق واسع .

وفى السابع من شهر يولية قال موسولوى للسفير البريطانى « قل لنشمبرلين
إن انكلترا إذا كانت مستعدة للقتال دفاعا عن بولندا فإن إيطاليا ستحمل السلاح
مع حليفها ألمانيا .

لكن موقفه الحقيقى الذى كان يخفيه وراء الستار كان مخالفا لهذا كل المخالفة
تقد كان لا يريد أكثر من تثبيت أقدامه ورعاية مصالحه فى البحر الأبيض المتوسط
وشمال أفريقيا ، وقد جنى ثمرة تدخله فى أسبانيا ، ونتائج احتلاله ألبانيا . ولم تكن
له رغبة فى أن يساق إلى حرب أوروبية بسبب احتلال ألمانيا لبولندا .

وكان على كثرة ما يدعى ويتبجح يعرف أكثر من غيره حقيقة ضعف إيطاليا
سياسيا وعسكريا . وكان على استعداد للتحدث عن دخول الحرب سنة ١٩٤٢ إذا
قدمت ألمانيا له السلاح . أما الإقدام على الحرب سنة ١٩٣٩ فلا .

ولما اشتد على بولندا الضغط فى أشهر الصيف عاد موسولوى يكرر دوره الذى
مثله فى ميونخ كوسيط واقترح عقد مؤتمر عالمى للسلام . ولكن سرعان ما بدد
هتلر هذه الأفكار من ذهنه . وصرح لنشيانو فى شهر أغسطس بأنه مغمض على تسوية
الوضع مع بولندا وأنه ربما أجبر على الدخول فى حرب مع انكلترا وفرنسا . كذلك
وأنه يريد من إيطاليا أن تشترك فى الحرب . وقال « إذا كانت انكلترا ستبقى
القوات اللازمة فى بلادها فإنها لا تستطيع أن تبث إلى فرنسا أكثر من فرقتين
من المشاة . مع فرقة مدرعة ولا تستطيع أن تبث إلى برلين غير الطائرات القاذفة
للقنابل أما المقاتلات فليس فى وسعها أن تبث منها طائرة واحدة إذ أنها ستحتاج
إليها فى بلادها إذ أن القوة الجوية الألمانية ستهاجم انكلترا فى الحال . وستسكون

في حاجة إلى مقاتلاتها للدفاع عن أرضها » وقال متحدثا عن فرنسا إنه بعد تدمير بولندا القدي لا يستغرق وقتا طويلا ستستطيع ألمانيا أن تعمد مئات الفرق على جدارها الغربي . فتصبح فرنسا مضطرة إلى حشد سائر قواتها على خط ماجينو . من أن تنقل ما لديها منها من المستعمرات أو على الحدود الإيطالية . لمركة هي معركة الحياة والموت بالنسبة لبلادها . وعاد تشيانو أسفا لينقل إلى مولاه ما أتى على سمه فوجده . فمتما كل الانتعاج بأن الدول الديمقراطية ستدخل الدركة ووجده مصمما على البقاء خارجها .

وبذلت الحكومتان البريطانية والفرنسية محاولة جديدة للتفاهم مع روسيا السوفياتية . وقرر إيفاد مندوب إلى موسكو وقبل السترايدن القيام بهذه المهمة وقد سبقت له اتصالات عديدة مع ستالين قبل بضع سنوات . إلا أن رئيس الوزراء رفض هذا العرض وعهد بهذه المهمة إلى المستر سترانج في الثاني عشر من شهر يونية وهو موظف كفء من موظفي وزارة الخارجية ولكن ليست له مكانة سياسية خارج وزارة الخارجية . وكان ذلك خطأ كبيرا إذ أن إيفاد موظف كهذا بمد صغيرا مهما ارتفع شأنه أساء كثيرا إلى روسيا . وإني لأشك في أنه استطاع النفاذ من القشرة الخارجية للجهاز السوفياتي . وقد فأت الوقت المناسب ووقعت أحداث كثيرة منذ بعث السيرو مايسكي لكي يلتقي بي في شارتويل في سبتمبر سنة ١٩٣٨ . وقعت ميونخ . وأنتجت للجيش هتلر فرصة سنة كاملة لتزداد قوة ونفذا . وأخذت مصانع الأخيرة الألمانية التي ضمت إليها مصانع شكودا تعمل ليلا ونهارا في إنتاجها . وكانت الحكومة السوفياتية قلقة أشد القلق من جراء تشيكوسلوفاكيا . ولكنهما قد اندثرت وأرسل بنيش إلى منفاه وقد حل محله حاكم ألماني في براج .

وكانت بولندا تتمثل لروسيا في عدة مشاكل استراتيجية وسياسية طويلة أمدها . وكان الاشتباك الأخير بينهما قد وضع في معركة وارسو سنة ١٩٢٠ عندما سد بلودسكي الجيوش الهاشمية التي قادها كاهنييف . بتأييد الجنرال فيججان والبعثة البريطانية التي كان رأسها القورد دايرنون . ثم سرعان ما تأثرت لنفسها وطاردتها

بإهراق كثير من الدماء . وظلت بولندا طوال هذه السنوات رأس دمع في جانب الباشقية . وكانت تمد يدها اليسرى لتأييد دول البلطيق العادية للسوفيات ونصرتها بينما كانت تمد يدها اليمنى في أزمة ميونخ لتقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا . وكانت الحكومة السوفياتية تعلم علم اليقين أن البولنديين بكرهونها وأنهم لا حول لهم للوقوف في هجوم الماني . وكان الروس فضلا عن هذا يعرفون كل المعرفة ما يتضرعون له من الأخطار ويعرفون الوقت الذي يحتاجونه لإصلاح ما حل بقيادة جيوشهم من أضرار . ولم يكن من المنتظر أن يتجبع السبرسترايخ في مهمة في مثل هذه الظروف .

ومن ثم بدأت المفاوضات تدور حول تردد بولندا ودول البلطيق في قبول مساعدة السوفيات ضد ألمانيا . ولم تنته إلى نتيجة . وظلت المحادثات تدور في هذا الشأن دون انقطاع طوال شهر بولية . وقد اقترحت الحكومة السوفياتية أخيرا أن تظل المحادثات قائمة على أسس عسكرية باشتراك ممثلين عن القيادتين البريطانية والفرنسية . ومن ثم أرسلت الحكومة البريطانية الأميرال دراكس على رأس بعثة إلى موسكو في الماشر من شهر أغسطس ولم يكن لديهم أى تفويض كتابي بحق المفاوضة . ووصلت البعثة الفرنسية برأسه الجنرال دومانك ومثل الجانب الروسي في المحادثات الرمال فوروشيلوف . وقد وافقت الحكومة السوفياتية على أن يعمل إلى موسكو مفاوض ألماني . ولكن سرعان ما اصطدم هذا المؤتمر العسكري برفض بولندا ورومانيا السماح للقوات الروسية بعبور أراضيها وكان شعار البولنديين « إننا سنفامر مع الألمان بفقد حريتنا . أما مع الروس فإننا سنفامر بأرواحنا » .

وقد شرح لي ستالين في أغسطس سنة ١٩٤٢ ونحن في الكرملين في الساعات المبكرة صباح يوم من الأيام ناحية من نواحي الموقف السوفياتي فقال : « لقد أيقنا بأن الحكومتين البريطانية والفرنسية لا تلتزمان الاشتراك في الحرب إذا هوجمت بولندا . ولكنهما يتوقمان أن يؤدي إملان الحلف البريطاني الفرنسي الروسي إلى إرهاب هتلر ووقفه عند حده . ولكننا كنا موقفين بأن هذا الإعلان لا يصد هتلر ويرجعه عن عزمه » وكان يسأل أثناء المفاوضات « كم فرصة تستطيع فرنسا

أن تبعت بها إلى الميدان في حالة التهيئة ضد ألمانيا « وكان الرد « حوالى مائة فرقة »
وعاد ينسأل « ولم نستطيع إنكساراً أن تبعت « وكان الرد « فرقتين في الحال » ثم
فرقتين أخريين فيما بعد « وعاد ستالين يقول « آه فرقتين الآن وفرقتين فيما بعد !! »
ثم مضى يقول « أنصرفون كم عدد الفرق التي ستدفعها إلى الجبهة الروسية إذا دخلت
روسيا الحرب ضد ألمانيا ؟ » ولم يجب أحد من المتفاوضين فقال ستالين « أكثر
من ثلثائة فرقة » ولم يخبرني ستالين عن الرجل الذى أفضى إليه بهذا الحديث
ولا من تاريخه . ولكن يجب أن نتعرف بصحة ما كان يقول وإن كان هذا
لا يوافق الاستراتيجية .

وكان ستالين ومولوتوف قد قررا ضرورة إخفاء نواياهما للمساومة إلى اللحظة
الأخيرة . وقد أبدى مولوتوف ومساعداه حذراً شديداً في التراجع أثناء هذه
المفاوضات التي كانت تجري مع الفريقين وأعلن ستالين مساء التاسع عشر من شهر
أغسطس في جلسة عقدها المكتب السياسي للحزب الشيوعي احترامه عقد ميثاق
مع ألمانيا . ولم يستطع ممثلوا الحلفاء أن يمتروا في الثاني والعشرين من شهر أغسطس
على الريشال فوروشيلوف حتى ساعة متأخرة من الليل وقد وصل ريبنتروب إلى
موسكو في اليوم التالي وأعلنت ألمانيا في اتفاق سرى عقده في روسيا أنها لا تهتم
سياسياً ببلاتيا وإستونيا وفنلندا . وقد اعتبرت لتوانيا داخلة في حدود منطقة
نفوذها . وتم رسم خط للحدود بعد تقسيم بولندا . ولم تطلب ألمانيا من دول
البلطيق سوى بعض المصالح الاقتصادية . وقد وقع في ساعة متأخرة من ليلة الثالث
والعشرين من شهر أغسطس على ميثاق عدم الاعتداء والاتفاق السرى .

وعلى الرغم من جميع الوقائع المحزنة التي أوضحها في هذا الفصل . لم يكن إلا في
مقدور الديكتاتورية الجماعية أن تواجه الكراهية المترتبة على هذا العمل الشاذ .
ونستطيع أن نتساءل هل كانت كراهية هتلر لهذا العمل أشد من كراهية ستالين ؟
أو كان الأمر على النقيض . ولكن لا شك أن الرجلين كانا يدركان أن هذه التسوية
أمرها موقوت وأنها تسوية ألمتها النفمة المؤقتة . فالمداء بين النظامين والإمبراطوريتين
عداء قتال . وربما خطر لستالين أن هتلر سيكون عدواً أضنف قوة بعد سنة من

القتال مع الدول القريبة . أما هتلر فقد سار على القاعدة التي اتبناها « عدو واحد في وقت واحد » ، ولكن وقوع هذا الاتفاق يدل على مدى ما وصلت إليه السياسة البريطانية الفرنسية من الفشل طوال هذه السنوات .

ويضحّ علينا أن نذكر أن الجانب الروسي كان في حاجة شديدة إلى إبقاء الجيوش الألمانية مشغولة في الغرب إلى أبعد مدى ليجد الوقت الكافي لتجميع القوى الروسية المنتشرة في سائر أنحاء الامبراطورية الواسعة الأرجاء . وكانوا قد شغلوا أذهانهم بالتفكير فيما حل بجيوشهم من الكوارث في سنة ١٩١٤ حين اندفعت لمهاجمة الألمان ولم تكن قد استكملت استعدادها . ولكن حدودهم الآن تقع بعيداً في الشرق من حدودهم في الحرب العالمية الأولى . وعليهم أن يحتلوا دول البلطيق وجزءاً كبيراً من بولندا بالقوة أو بالخديعة قبل أن يهاجموا . وإذا كانت السياسة السوفياتية معروفة بالأناة فإنها كانت في هذه المرة واقعية إلى أبعد مدى .

ويجدر بنا أن نسجل هنا نص الميثاق الذي أشرنا إليه :

« ترى الدولتان المتعاقدتان الساميتان ، أن من واجبهما الامتناع عن أى عمل من أعمال القوة أو المدوان أو الهجوم بهضمهما على البعض بصفة فردية أو بالاشتراك مع دول أخرى على حد سواء » .

وكان من المقرر أن يبقى هذا الميثاق نافذاً عشر سنوات ويتجدد تلقائياً لمدة خمس سنوات أخرى إذا لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين إلثاءه قبل سنة من انتهاء هذه المدة . وقد احتفل بتوقيع هذا الميثاق احتفال كبير . وتبدلت الانتخابات الكثيرة على مائدة المؤتمر واقترح ستالين أن يشرب الحاضرون نخب الفوهرر « بهذه البشارة » أنا أعرف تماماً كيف يحب الشعب الألماني زعيمه لذلك فإني أشرّب نخب سمته أو نستطيع أن نخرج من كل هذه الوقائع بمنزى واحد في غاية من النشطة . وهو « أن الاستقامة هي السياسة المثلى » وسرى في صفحات هذا الكتاب أمثلة عديدة تبرز هذه النظرية . فقد نجدح الساسة والدهاة في تقديراتهم التي قصروا زمناً في وضعها . ولكن هذا المثل يبدو أكثر وضوحاً حينما نرى أنه لم يمض أكثر

من اثنين وعشرين شهرا حتى أرغم ستالين وعشرات الملايين من الشعب الرومى على دفع ثمن باهظ مربع لما حدث . وقد نصلاية حكومة على فوائد جمة وليست لها قواعد ومثل أخلاقية تحد من حربتها فى العمل . ولكن الأمور تتعادل فى نهاية اليوم ثم تتعادل أكثر وأكثر فى نهاية الأيام .

وهبطت الأنباء المشثومة على العالم كالقنبلة . ولكن مهما تكن العواطف التى اجتاحت الحكومة البريطانية فإن الخوف لم يكن سبيلها ولم تضع وقتاً حتى أعلنت « أن الحادث لن يؤثر بحال من الأحوال على التزاماتها التى صممت عليها » .

وقد سجل بانحاذ الاجراءات الاحتياطية وسدوت الأواصر للدفاع الساحل ضد الطائرات . وتأمين الدفاع عن الجهات المعرضة للخطر . وأرسلت برقيات الإنذار إلى دول اللومنيون وألنيت الاجازات فى القوات المسلحة ، وأسدرت الاميرالية تحذيرها إلى البواخر التجارية ، وأخذت السلطات خطوات أخرى . وأعلنت الحكومة البريطانية فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس توقيع معاهدة رسمية مع بولندا تؤكد الضمانات السابقة ، وكان الأمل من وراء هذا الاتفاق ، إعطاء الفرصة المثلى لألمانيا وبولندا لتسوية خلافتهما بالتفاوض . ملماً بأن فشل هذه المفاوضات يعنى وقوف بريطانيا إلى جانب بولندا فى حالة الحرب ، وقد أجل هتلر موعد النزول النهائى من الخامس والعشرين من أغسطس إلى اليوم الأول من شهر سبتمبر وأخذ فى مفاوضات مباشرة مع بولندا ، تحقيقاً لرغبة تشمبرلن . ولم يكن هدفه الحقيقى الوصول إلى اتفاق مع بولندا ولكن إعطاء حكومة جلالاته كل فرصة للتهرب من ضماناتها . ولكن أفكار الحكومة وأفكار البرلمان وأنكار الشعب كانت جميعها تسير فى طريق مخالف . ومن الحقائق العجيبة التى تؤثر من سكان هذه الجزر البريطانية الذين يكرهون التدريب والذين لم تنز بلادهم منذ ألف سنة إن أعصابهم تبدأ شيئاً فشيئاً كلما اقتربوا من الخطر ورأوه مائلا أمامهم ثم سرعان ما ينقلبون إلى حال من القوة المستشرية .. وعندما يصبح الخطر واقعاً يظلمون بوسائل لا يهابون الموت وقد نجحهم هذه الشائلا مرات عديدة من أخطار ساحقة وأخرجتهم من كثير من السأق .

وقد استبان هتلر بعد اتصاله بموسوليني - إن لم يكن قد توقع - أنه لا يستطيع أن يمول على تدخل إيطاليا المسلح إذا نشبت الحرب . ولعل الدوتشي علم بالخطوات الأخيرة من المصادر الانكليزية لا من المصادر الألمانية ، ويقول تشيانوفى بوميانه بتاريخ السابع عشر من شهر أغسطس « لقد نقل إلينا الانكليز نبوءات الافتراحتات التي قدمها الألمان إلى لندن . ولم نكن نعرف عنها شيئاً من الألمان » ، وكان كل ما يبنى موسوليني هو أن يقبل هتلر حياد إيطاليا وقد قبل هتلر هذا الحياد .

وأصدر هتلر في الحادى والثلاثين من أغسطس « دعوته الاولى لإدارة دفعة الحرب »

« ١ - لما كانت سائر الاحتمالات السياسية المأمولة لتسوية الأوضاع على الحدود الشرقية بالطرق السلمية قد استنفدت ، وهى أوضاع لا يمكن لألمانيا أن تحتملها فقد قررت الوصول إلى حلها بطريق القوة » .

« ٢ - يجب تنفيذ الخطوة الموضوعة للهجوم على بولندا ، وقد حدد الموعد فى صباح اليوم الاول من سبتمبر سنة ١٩٣٩ الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين » .

« ٣ - وفى الغرب يجب أن تقع مسئولية البدء بالاممال المدوانية من جانب انكلترا وفرنسا بحالة ظاهرة . وفى حالة وقوع أحداث بسيطة من المدوان على الحدود يجب الاكتفاء بالأمر الهللى البحت » .

وبعد هودق من جهة الراين ، قضيت أياما سعيدة أتمتع بالشمس فى رحاب السيدة بلسان مع رفقة مؤنسة وإن سيطر عليهم شئ من القلق . وذلك هى النار نفسها التى قضى فيها هنرى ملك النافار ليلته الأخيرة قبل معركة إيفرى . وكان كل إنسان يحس ذلك الجو الزميج الذى يجيم على الجميع . حتى كان الضوء المألوف فى هذا الوادى الجميل فى حوض الأور قد فقد بريقه وقد رأيت أننى لا أستطيع أن أرسم لوحاتى فى هذا الجو اللئى بالقلق والزيب .

وقد قوت في السادس والعشرين من شهر أغسطس أن أهود إلى الوطن حيث أكون على مقربة من الأحداث وأستطيع الاتصال بها . وأبليت زوجتي أنني سأرسل في طلبها في الوقت اللازم . ودعوت وأنا في باريس في طريقى إلى لندن الجنرال جورج ليتناول معى الغداء . فأطلمنى على الأرقام الخاصة بمجيوش فرنسا وألمانيا وقد وضع أمامى كفايات الفرق ونوعها وعددها وقد كانت النتيجة ذات تأثير بالغ على نفسى حتى اننى قلت لأول وهلة « إذن فأنتم المتفرقون » ورد بقوله « إن للألمان جيشاً عظيم البأس . ولن نستطيع أن نكون البادئين بأية حال ولكن إذا هوجمنا فإن بلادنا سيقعان في صف واحد لقيام بالواجب » .

وأمضيت تلك الليلة في شارتريل حيث كنت قد طلبت إلى الجنرال ابرونسايد أن يزورنى في اليوم التالى . وكان قد عاد لساعته من بولندا وقدم تقارير مرضية عن الجيش البولندى الذى شاهد مناوراته الناجحة بنيران المدافع الحية وكانت الروح المعنوية عند البولنديين عالية . وقد أمضى الجنرال ثلاثة أيام معى . وحاولنا معاً أن نصل إلى أعماق الأمور ونكشف أسرارها وعادت زوجتى . من طريق دنكرك في الثلاثين من شهر أغسطس بعد أن تلقت منى إشارة بالمودة .

وكان في إنجلترا نحو عشرين ألف من النازيين الألمان ومن المنتظر قيامهم بأعمال القتل والتخريب عند نشوب الحرب وفقاً لتقاليدهم . ولم يكن في نيتى أن أطلب لنفسى حماية إلا أننى أعلم بأن شهرتى وپروز اسمى يجنبان على الاحتياط وكانت معاملات كافية لأفانعى بأن هنار يمدنى في الصف الأول من أهدائه . وكان مفتش الشرطة السابق للستر طومسون من الذين سبق لاسكوتلنديارد أن اتقدبتهم لرافقتى قد أحيل إلى التقاعد فطلبت إليه أن يرافقتى في شارتريل ومعى مسدسه وأعددت أنا أسلحتى الخاصة . وكانت على أحسن حال . وكنت أتبادل معه مراقبة المكان فلا نسمع لأجده بالاقتراب من المنزل وكنت أقدر أن الحرب إذا وقعت فسوف يقع عبء تقبل على كاهل .

ملاحظات الحرب

قامت ألمانيا بالهجوم على بولندا فجر أول سبتمبر وفي صبيحة اليوم نفسه أسدرت حكومتنا أمرها بتمهئة سائر قواتنا ورغب إلى رئيس الوزراء في زيارة بداونج سترت بعد ظهر ذلك اليوم وقد قال لي إنه لا أمل لديه في تجنب الحرب مع ألمانيا ويقترح تأليف وزارة صغيرة للحرب تضم وزراء ليست لهم وزارات خاصة لإدارتها . وذكر أن حزب العمال - ليس على استعداد للاشتراك في حكومة ائتلافية . أما الأحرار فإنه يأمل أن يشتركوا معه .

ودعاني أن أكون عضواً في هذه الوزارة الحربية الصغيرة . ووافقت بنير تعليق . وقد دار بيننا على هذا الوضع حديث طويل حول الشخصيات والإجراءات .

وكان موضع دهشتي أنني لم أسمع شيئاً من المستر تشمبرلن طوال اليوم الثاني من سبتمبر على ما كان في هذا اليوم من أزمات لخطر لي أنه يبذل محاولة أخيرة لانقاذ السلام . وقد دلت الأيام على صدق ظني . ومع ذلك فقد دارت عند انعقاد البرلمان في المساء مناقشة حادة وإن كانت قصيرة . وقد تلقى المجلس خطاب الهدنة الذي ألقاه رئيس الوزراء إلقاء سيئاً فلما قام المستر جرينود ليتكلم باسم المعارضة صاح المستر ايمري من مقاعد المحافظين قائلاً « دافع عن انكلترا » . وقد استقبلت صرخته بهتاف مدو ولاشك أن المجلس كان ميالاً إلى الحرب ، ولعله كان أكثر عزماً وتآلفاً في ذلك اليوم مما كان في الطرف المائل في الثالث من أغسطس سنة ١٩١٤ وكنت مشاركاً فيه وعلمت أن بريطانيا أرسلت إنذاراً إلى ألمانيا في الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم الأول من شهر سبتمبر وأن هذا الإنذار سيقبضه إنذار آخر نهائى في الساعة التاسعة من صباح اليوم الثالث من سبتمبر وأعلنت الإذاعة البريطانية في الساعات الأولى من صباح اليوم الثالث من سبتمبر أن رئيس الوزراء سيوجه رسالة إلى الشعب في الحادية عشرة والربع من صباح ذلك اليوم .

وأعلننا رئيس الوزراء في إذاعته بأننا قد أصبحنا في حالة حرب مع ألمانيا .

وما كاد ينتهى من كلامه حتى قرع آذاننا صوت غريب طويل صارخ بكاد يخترق الآذان وقد ألقنا هذا الصوت فها بعد وجاءت زوجتى إلى الحجرة وقد قوت الأزمة من عزيمتها وعلقت تسليقاً في صالح الألمان . ووصفتهم بالدقة والتصميم ثم مسمعدنا إلى الدور العلوى من المنزل لرى ما يحدث وكنا نرى حولنا في ذلك الصباح الصافى من أيام سبتمبر أبراج لندن وأسطحة منازلها وقد خيم على ذراها نحو ثلاثين أو أربعين منطاداً لسطوانيا . ولم يسمنا إلا التناء على هذه الإشارة التى تدل على حسن اعتماد الحكومة فلما مرت ربع الساعة من الإنذار التى قيل لنا أن ننتظرها . أسرعنا إلى الملجأ المخصص لنا وقد تسلحنا بزجاجة من « البراندى » وببعض ما يلزم من الوسائل الطبية .

وكان مخبؤنا على بعد مائة ياردة من المنزل . وهو كهف لا نحميه حتى أ كياس الرمل ويلجأ إليه سكان سعة منازل . وكانت أمارات المرح بادية على الوجوه وتلك عادة انكثرتا عند مواجهة الشدائد . وقد نظرت إلى الشارع الفقير من الناس والتفت إلى الخبأ المزدحم فارتسمت في خاطرى صور للخراب والذبح والانفجارات التى تهز الأرض والشوارع والمباني التى تنهار وتتحول إلى أقباض وسيارات الإسعاف والطاقي تدوى وسط الدخان تحت أزيز الطائرات المادية . ألم نعرف شيئاً عن أهوال الغارات الجوية ؟ وقد بالث وزارة الطيران لإظهار أهميتها في تصوير هذه الغارات . وكان دعاة المزعمة يحاولون التأثير على عواطف الشعب عن طريق هذه الصور . وكنا ومن كانوا على شاكلتنا ممن يدعون إلى الاستعداد للتفوق الجوى - على الرغم من رفضهم هذه الحكيمات والصور للزعمة - يرون فيها ما يحفز الهمم . وقد عرفت أن الحكومة أعدت في الأيام الأولى من الحرب نحو مليون سرير في المستشفيات لتلقى المصابين من الغارات الجوية . ولم يكن في ذلك رقم خطأ في التقدير من حيث قلته ولننظر الآن إلى الحقائق .

دوت أسوات صفارات الإنذار من جديد بعد عشر دقائق على التقريب ولم أكن أنا شخصاً أعتقد أن هذا الدوى كان تأكيذاً للإنذار الأول ولكن رجلاً جاء إلينا مسرعاً من الشارع ليخبرنا بانتهاء النارة فعدنا متفرقين إلى منازلنا ومضينا إلى أعمالنا

وكان على أن أذهب إلى مجلس الموم الذى اجتمع فى الموعد الم عين عند الظاهر بصورته المألوفة بعد صلاة قصيرة . وتلقيت فى المجلس رسالة من رئيس الوزراء يطلب فيها أن أوافيه فى حجرته بعد انتهاء المناقشة . فذا جلست على مقعدى أصنى إلى الخطب استولى على إحساس قوى من الهدوء بعد تلك المواطن الثائرة والمصعب الذى سيطر علينا فى الأيام القليلة الماضية . وشمرت بصفاء ذهنى . وانفصال عن المشا كل الذاتية فأعجاء بريطانيا المجوز الحبة للسلام . والقليلة المدد والمدد قد تمثلت أمامى فى هذه الشجاعة والجلد عندما دعا دأى الكرامة والشرف وشمرت بنوع غريب من المجلس استثمرته فى هذا السمو بمسيرنا إلى آفاق بعيدة عن الحقائق الأرضية . وحاولت أن أقل صورة من هذا الإحساس إلى المجلس فتحدثت إليه وقد شمرت بقبل الأعضاء لما قلت .

وقال لى الستر تشمبرلن ذلك اليوم إنه يسقط على أن يعرض على وزارة البحرية مع مقعد فى وزارة الحرب . وقد سرنا ذلك العرض سروراً كبيراً . فلى الرغم من أنى لم أر الحديث فى هذا فأننى كنت أفضل ولا شك أن يمد إلى بمجة معينة بدلاً من الجدل فى أعمال وشئون قام بها غيرى من الوزراء وأسهل للانسان أن يصدر التوجيهات من أن يعطى النصائح ويرضى أن يكون له حق العمل وإن كان محدوداً من أن يكون له حق الحديث حتى ولو فى الموضوعات التى يكون المجال فيها واسماً ولو خيرنى رئيس الوزراء بين عضوية وزارة الحرب ومنصب وزير البحرية لاخترت المنصب . أما الآن فقد مهد إلى بالمعين .

ولم يجر الحديث عن الوقت الذى سأنولى فيه وسام منسجى من الملك ولم ألبس على بالفعل حتى الخامس من شهر سبتمبر . إلا أن ساعات المبادأة فى الحرب قد تكون ذات أثر حوى بالنسبة للأساطيل . ولهذا بعثت بكلمة إلى الأميرالية أنول فيها لنى سأنولى القيادة عاجلاً ، وإننى سأسل فى الساعة السادسة . وأبرق مجلس الأميرالية إلى الأسطول فى سائر وحداته « لقد عاد ونسعون » وهكذا عدت إلى الحجرة التى كنت قد فارقها ونفسى حزينة قبل ربع قرن عندما أدت احتفالة القورود فيشر إلى تنحيته عن منصب وزارة البحرية ونحطمت فكرة اقتحام الفردنيل فلما أخذت

مقدمى وجدت على بعد بضعة أقدام منى إلى الخلف مجموعة الخراطيط الخشبية التى أعدتها سنة ١٩١١ وفيها خريطة بحر الشمال التى كتبت أطلب إلى دائرة الخابرات البحرية تركيز الاهتمام بالهدف الاسمى أن تسجل لى عليها حركات الأساطيل الألمانية وطرق توزيعها . وقد مر أكثر من ربع قرن ومازال الخطر المميت يهددنا على أيدي نفس الشعب الذى هددنا من قبل . وها نحن نمود مرغين إلى حمل السلاح دفاعا عن دولة صغيرة انتهكت حرمتها وتعرضت للعدوان لغير ما سبب يدعو إلى ذلك وهكذا أصبح حبا علينا أن نحارب دفاعا عن كيانتنا وشرقنا ضد غضب الشعب الألمانى وقواته العنيفة البعيدة عن الشفقة . وقد أصبحنا من جديد نحوض غمار الحرب .

واسرع لورد الأميرالية إلى لقائى وكتبت أعرف « داتلى باوند » بمضى المعرفة منذ كتبت فى الوزارة ، وكان أحد أركان حرب اللورد فيشر الذى يقف بهم كل الثقة . وكتبت قد حملت حملة عنيفة فى البرلمان على طريقة توزيع أسطولنا فى البحر الأبيض المتوسط حيث كان قائدا له فى اللحظة التى غزا فيها الإيطاليون ألبانيا . وقد اجتمعنا الآن كزميلين يعتمد عمل الأميرالية الضخم على علاقة كل منا بالآخر ويسير سيرته فى هدوء ويسر وإن كان كل منا ينظر إلى الآخر فى شيء من الود بمازجه بمضى الشك . ولكن صداقتنا والثقة المتبادلة بيننا ظلنا فى ازدياد منذ اليوم الأول . وقد قدرت واحترمت السكفايات الشخصية التى يشتمع بها الأميرال باوند وأصبحنا رقيقين ومديقين على مدى الحرب فى شدتها ورخائها وسعودها ونحوسها . فلما فارق الحياة بعد أربع سنوات فى الوقت الذى حققنا فيه النصر ضد إيطاليا ريثقه فى كلمة وجهتها إلى الأسطول والأمة جماء مملنا من الخسارة التى أحسستها بموته .



ولعل القارئ يعرف . أنه كان لى إلام ملحوظ بشئون الأميرالية والأسطول الملكى . وربما كانت أهم أيام حياتى تلك السنوات الأربع التى قضيتها بين سنة ١٩١١ ، ١٩١٥ فى وزارة البحرية وأنا أؤدى واجبى فى تهيئة الأسطول للحرب وتوجيهه فى الأشهر المشرة الدقيقة فى الحرب الماضية . وكتبت قد كوفت لنفسى

المعلومات واسعة عن الأسطول وحرب البحار متخذاً من دروس الماضي شتى الصور وفي تلك الفترة المتقضية بين عمل الماضي وعمل اليوم درست كثيراً من الشئون وكتبت كذلك الكثير من المشاكل الحربية . وكنت أخذت كثيراً في مجلس العموم عن الشئون البحرية . وما زلت طوال السنوات الماضية على اتصال وثيق بالأميرالية . وإذا كنت في تلك السنوات من نقادها الشديدين فقد كنت أطلع على كثير من أسرارها وقد أدى عمل أربع سنوات في لجنة البحوث المتعلقة بالدفاع الجوي إلى معرفتي الوثيقة بآخر التطورات المصرية في شئون الرادار تلك التطورات التي أصبح لها أبلغ الأثر في الأعمال البحرية وكان اللورد شافيلد لورد الأميرالية الأول السابق قد مضى ممي بنفسه في يونيو سنة ١٩٣٨ في جولة بمدرسة مكافحة الغواصات ببورتلاند ومضيت معه إلى البحر في مدرسة تقوم بالتدريب على كشف الغواصات باستخدام جهاز « أسديك » وكانت علاقاتي الوثيقة بالأميرالية هندسون الذي كان قبل موته مرافقاً للأسطول حتى سنة ١٩٣٨ . والمحادثات التي شجعتي وزير البحرية في ذلك الوقت على إجرائها مع اللورد شافيلد حول تصميم البوارج الجديدة والطرادات قد أتاحت لي أن أطلع أطلاعاً واسعاً على مجال المنشآت الجديدة . وكنت أدرك بحكم اطلاعي على الوثائق قوة أسطولنا وطرق تأليفه سواء ما كان منه في حكم الواقع أو ما كان تحت التصميم وأعرف كيف أفادني بينه وبين أسطول كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان .

وما أن تملت زمام الأميرالية وأصبحت عضواً في وزارة الحربية حتى قمت بتأليف دائرة خاصة لي للأرقام واعتمدت في ذلك على الأستاذ ليندمان صديق اليمين منذ عدة سنوات . وقد استطعنا بما أن نكون آراءنا وتقديراتنا واستبقيته في الأميرالية مع بضعة من الاختصاصيين والاقتصاديين الذين تتق باهتمامهم بالحقائق الواقعة دون غيرها وقد استطاعت هذه المجموعة بإرشاد ليندمان من الاطلاع على سائر المعلومات الرسمية أن تمدني على الدوام ببيانات ورسوم عن سير الحرب . وكانوا ينظرون نظرات دقيقة في سائر الوثائق الوزارية التي تنشر على وزارة الحرب ويتحصونها بدقة ويتابعون البحث عن الأسئلة والاستعلامات التي أطلبها منهم .

. ولم تكن هناك آنذاك دائرة حكومية للإحصاء . وكان لكل وزارة إحصاءاتها وحساباتها فكانت وزارة الطيران مثلا تتبع نظاما في الإحصاء غير الذى تتبعه وزارة الحرية . وكانت وزارتا التموين والتجارة تتفاهان بطرق مختلفة وإن اتفقا في المرمى وكثيراً ما أدى هذا إلى الكثير من الاختلاف وإضاعة الوقت عند مناقشة أى موضوع في وزارة الحرب . أما أنا فقد كانت لي من البداية مصادر الوثيقة في معلوماتي التي تتصل كل منها بالأخرى اتصالاً وثيقاً . وعلى الرغم من أن هذه الأرقام كانت تشمل جزءاً خاصاً من الميدان أول الأمر ولكنها كانت ذات نفع كبير في استحصار صورة شاملة صحيحة عن سائر الحقائق والأرقام التي تتتابع علينا .

ولم يكن الوضع البحرى المزيج الذى واجهناه سنة ١٩١٤ قد تكرر في تلك الأيام كانت بوارجنا الكبيرة تعادل ست عشرة إلى عشر بالنسبة إلى بوارج العدو . وكانت طراداتنا ضعف قوته : أما الأسطول الألمانى فانه مازال في مرحلته الأولى ولم يكن في مقدوره أن يخوض معركة بحرية .

فالبارجتان الكبيرتان بسمارك وتيريتز . اللتان زادت حولتهما عن الحد المفق عليه كانتا مازالتا في دور الإنشاء وبعضى عام كامل على اكملها أما البارجتان — الطرادان شارهوردست وجيرنارد اللتان زاد الألمان حولتهما من عشرة آلاف طن إلى ستة وعشرين ألفاً فقد تم تشييدهما سنة ١٩٣٨ بالإضافة إلى هذه الوحدات كان لدى الألمان ثلاث بوارج جيب حمولة الواحدة منها عشرة آلاف طن وهى جراف شبي والأميرال شيروود ونيشلانند مع طرادين سريعين يحملان مدافع عيار ثمانى بوصات وحمولة كل منهما عشرة آلاف طن وسعة طرادات خفيفة وستين مدرعة وقطعة سفيرة . وهكذا لم يكن ثمة من خطر يهدد أسطولنا من القطع الألمانية البحرية المائمة ويلحق الخطر بسيطرتنا على البحار . ولم يكن هناك أدنى شك في تفوق الأسطول البريطانى على الأسطول الألمانى في عدده وعدده وقوته . ولم يكن ثمة ما يجعلنا نفترض احتياج أسطولنا إلى شيء من الناحية العملية أو التدريبية . وإذا استثنينا حاجتنا إلى بعض المدرسات والطرادات فقد كان الأسطول في مستواه الرفيع الذى نعرفه وكان عليه أن يقوم بواجبات عظيمة

ولم تسكن إيطاليا قد دخلت الحرب بعد . وكان موسوليني كما هو ظاهر يتربص بالأحداث وقد رأينا على سبيل الاحتياط أن نحول سائر ملاحقاتنا إلى طريق رأس الرجاء الصالح . وكان معنا فوق تفوقنا البحرى العظيم على اسطول ألمانيا وإيطاليا مسا اسطول فرنسا القوى الذى وصل بإدارة الأميرال دارلان إلى حد كبير من القوة لم تتوفر له في يوم من الأيام منذ أيام الملكية وإذا اشتركت إيطاليا في الحرب فإن ميداننا الأول سيكون في البحر الأبيض المتوسط . وكنت أعارض ممارسة كلية . إلا أن يكون إجراء مؤقتا . كل خطة ترى إلى التخلي عن المراكز وإغلاق مداخل ذلك البحر وكانت قواتنا البحرية دون مساعدة الأسطول الفرنسى وموانئه المحصنة ، نستطيع أن تطرد السفن الإيطالية من البحار وتسيطر سيطرة تامة على البحر الأبيض المتوسط في خلال شهرين على أكبر تقدير .

وكان من رأى الصحافة بزعماء صحيفة التيمس أن تقوم وزارة حرب محدودة تضم خمسة وزراء أو ستة على أكثر تقدير يخلون من المسئوليات الوزارية في وزارات أخرى وقد أشارت تلك الصحف إلى أن هذه هى الطريقة المثلى التى بها يتيسر وضع سياسة حربية قوية على أسس واسعة . ولا سيما في النواحي الخطيرة الكبيرة الذى وكان القصد كما ذكرت تلك الصحف أن يوضع « خمسة رجال لامل لهم إلا إدارة دفعة الحرب » إلا أن هذا الإجراء كانت تفتدونه إجراءات عملية فوجود فئة من الساسة بمنأى عن العمل — مهما تكن كفايتهم — يجعلهم غير قادرين على التعامل مع وزراء يقولون مسئوليات الوزارات الكبيرة التى تهتم بشئون الحرب . وهذا الغزل يطبق بصفة خاصة على وزارات القوات المسلحة . وليس وزراء الحرب بمسؤولين عما يقع كل يوم من الأحداث . وإذا كانوا يستطيعون أن يقدموا نصائحهم في كلمات عامة في بادئ الأمر أو ينتقدوا فيما بعد ، فإنهم لا يستطيعون أن ينفذوا أمام وزراء البحرية أو الحربية والطيران وجها لوجه ليتعرفوا كل صغيرة وكبيرة ويؤيدم زملائهم من المحترفين في تلك الوزارات ويتحملون المسئوليات العملية . وقد يستطيعون إذا أجمعوا أمرهم أن يقرروا ما يشاءون وإن كانوا كثيرا ما يخطئون . ولا تنتهى فيما بينهم الحجج والأقوال . والحرب تدور رحاها وتسير في تيارها وسيكون

أعضاء وزارة الحرب عاجزين عن التصدي للوزراء المختصين الزودين بكل الحقائق والأرقام . وقد يؤنهم الضمير إذا وجدوا أنهم سيضيفون متاعب جديدة لأولئك الذين يدبرون الادارة التنفيذية . ومن ثم يتحولون إلى مراقبين نظريين يقرأون ركاباً هائلا من المواد كل يوم ولا يستطيعون أن يستخدموا مآرفهم دون أن يلحقوا ضرراً بالجهودات العامة . وقد لا يستطيعون في غالب الأحيان إلا أن يقدموا بدور الحكم وتسوية ما يقع من خلاف بين الوزارات . ولهذا كان مما لا بد منه أن يكون وزراء الخارجية والدوائر الحربية أعضاء دائمين في وزارة الحرب . وأن يكون من المحتمل أن يختار منهم عدد من الخمسة الكبار لأهميتهم السياسية لمرئتهم بشئون الحرب وهكذا أخذ العدد يتزايد عن الحد القبي كان مقرراً . فلما توليت رئاسة الوزارة لم أشأ أن أرى حول وزراء غير مثقلين بالأعباء والأعمال وفضلت التعاون مع رؤساء دوائر ومنظمات على أن أحمل مع مستشارين . فمن الواجب أن يكون لكل معاملة البوي ومهامه المحددة . حتى لا يستطيع هؤلاء الذين لا عمل لهم أن ينفقوا المسائل ويخلفوا للمشاكل رغبة في خلقها أو رغبة في عورتهم أو إنقاصه .

وقد أدت الأحوال القاهرة إلى التوسع في وزارة الحرب التي وضعا المسترشميرلن فأصبحت تضم اللورد هاليفاكس وزير الخارجية والسير صمويل هور حامل أختام الملك والسير جون سيمون وزير المالية واللورد شانفيلد وزير تنظيم شئون الدفاع واللورد هانكي الوزير بلا وزارة وأضيف إلى هؤلاء وزراء القوات المسلحة وهم أنا والمستر هور بليشيا وزير الحربية والسير كينجزلي وزير الطيران فضلا عن ذلك فقد تقرر أن يحضر اجتماعات وزارة الحرب دون شرط المضوية المستر إيدن بوسفه وزيرا للممتلكات السقطة والسير جون أندرسون وزير الداخلية والأمن الداخلي ومن ثم أصبح عدد الوزراء أحد عشر وزيرا .

وكان سائر الوزراء قد ساهموا في شئون الدولة عدة سنوات في الفترة الأخيرة أو ارتبطوا بما نواجهه من الارتباطات في ميدان السياسة والحرب . ولم اشترك في الحكم منذ أجد عشر عاما على وجه التقريب ولهذا لم أكن مستولا عما مضى ولم أكن في غفلة عن الأعداء بل على المكس كنت طوال السنوات الست أو السبع الأخيرة

أتمكّن دائماً بالشروع الى أخذتها أراها تنزل بنا . وإذا رأيتني اليوم اتسلخ بقوة الأسطول المتحيدة التي تكفلت بحمل أعباء القتال فاني لا أجدني أشعر بنقص أو حاجة وإذا أحسست شيئا من ذلك فإن هذا الاحساس يتبدد سريما بما أراه من إخلاص رئيس الوزراء وزملائه وولائهم ودعمهم وكنت أعرف بعضهم معرفة تامة . فقد عمل أكثرنا ما في وزارة السّتر بلديون خمس سنوات وكنا متصلين على الدوام اتصالا وديا أو معارضا على ستين المناظر المتغيرة للحياة البرلمانية وكنت أنا والمسترجون سيمون نمثل جيلا سياسيا أقدم من الجيل الذي يشمل الوزراء الحاليين وكنت أنا وهو قدم قطفنا قرابة الخمسة عشر عاما في مناصب الوزارات قبل أن يصل إليه أحد من الآخرين . وقد قمت بالعمل في وزارتي التّوطين والبحرية إبان الحرب العالمية الأولى ورغم أن رئيس الوزراء كان متقدما عني في السن بضع سنوات فقد كنت الوحيد الذي بقي بعد الطوفان . وإذا كانت الضرورة والطبيعة تحتمان على اللجوء إلى قوة الشباب وإلى الأنسكار الحديثة فقد شعرت أن من واجبي أن أبذل جهدي لكي أكون ندا للجيل الحاكم . وأنف على قدم المساواة مع الجبابرة من الشباب الذين يحتمل ظهورهم على المسرح في أية لحظة .

وقد حولت على معرفتي وما لدى من حماس وعقلية متيقظة حية ومن ثم عبت إلى طريقة التزمّتها مرّغا أيام اشتغالي بالأميرالية عامي ١٩١٤ - ١٩١٥ وقد وجدت أنها تزيد من نشاطي ومقدرتي على العمل . فقد كنت أنام ساعة في الساعة الأولى من وقت الظهيرة وأستقل إلى ايمد الحدود بهذه مقدرتي عاجلا على النوم العميق وبهذه الوسيلة كنت أستطيع أن أؤدي عمل يوم ونصف في يوم واحد . ولم تسكن الطبيعة لتسمح للإنسان أن يعمل من الثامنة صباحا حتى منتصف الليل دون هذه الراحة . وقد أسفت لأفني وجئت نفسي بجرا على النوم كالطفل ظهر كل يوم . ولكن كان يخفف عني هذا الأسف أنني كنت أستطيع المضي في العمل حتى الساعة الثانية أو الثالثة أو ما بعدها من الصباح وأعود فأبدأ يومى في الساعة الثامنة أو التاسعة وقد سرت على هذا النظام طوال سني الحرب وإنى لأنعيج كل من يجد نفسه مضطرا إلى بذل كل ما يمكن من جهد الإنسان وبنياته أن يسير على هذا النوال . ولا رأى لورد البحر

الأول الأميرال باوند الطريقة التي أنبها لجأ إليها لكنه كان يختلف على أنه لا يذهب إلى فراشه بل يستريح على مقعده وقد سارع على هذه الطريقة إلى حد المبالغة فيها فكننا كثيرا ما نراه نائما في جلسات مجلس الوزراء . إلا أن كلمة واحدة من الأسطول كانت كافية لابقاظه واستمادة حيويته إلى الحد الأقصى ولم يكن يفوت عقله المتيقظ أي شيء .

وكذا في خلال ذلك فرب حول مائدة مجلس الوزراء التدمير الآلي الخاطف لدولة ضعيفة . حسب الخطة التي ابتكرها هنر فقد بث أكثر من ألف وخمسمائة طائرة إلى أجواء بولندا وأرسل ستا وخمسين فرقة بينها فرقة التسع المدرعة ليتألف منها جيش الفوز . ولم يكن البولنديون في مقدرة مهاجمهم لا من حيث العدد ولا من حيث التعداد الحربي . ولم تكن خططهم في توزيع قوتهم قائمة على أسس قوية فقد وزعوا قوتهم على سائر حدود بلادهم ولم يتركوا داخلها قوة احتياطية مركزية . وإذا كانوا يقدرون من إعدائهم هذا الوقت فقد كانوا يخافون أن يتموا بالاستفزاز إذا عاؤا قوتهم في وقت مبكر أمام القوات الهائلة المحتشدة أمامهم ، وعندما قم الهجوم الخاطف الذي وجهه شدم لم يكن يواجه هذا الهجوم أكثر من اثنتين وثلاثين فرقة تمثل ثلثي قوتهم الفعلية . وقد أدت الأحداث السريعة وتدخل القوات الألمانية الجوية إلى حجز القوات الباقية لديهم ومنعها من الوصول إلى المواقع الأمامية حتى انهارت الجبهة . ولم تستطع الاشتراك إلا في الأحداث الأخيرة . وهكذا واجه البولنديون النزو على نصف قواتهم في جبهة طويلة دون أن يجدوا وراهم سندا . ولم يكن ضعفهم من خصومهم راجعا إلى الناحية المددية فحسب بل كانوا ضعفاء في قوة المدفعية . ولم تكن لديهم إلا كتيبة واحدة مدرعة أمام تسع فرق ألمانية مدرعة . وكانت فرقة الفرسان الإثنى عشرة تهاجم البوابات والسيارات المدرعة بسيوفها ورماحها ولكنها لم تستطع أن تلحق بها أي أذى . وقد فوجئت قوتهم الجوية - وتبلغ تسعمائة طائرة للخط الأمامي منها نحو نصفها من النوع الحديث - في مطاراتها ودمر عدد كثير منها قبل أن تغير في الهواء . ولم يمس على الحرب بومان حتى كانت القوة البولندية قد دمرت كل التدمير . وبعد أسبوع واحد كانت الجيوش الألمانية قد توغلت بعيدا داخل بولندا ولقد كانت المقاومة شديدة قوية بأسلة ولكنها لم تجد نفعا وانهار الجيش البولندي ويبلغ عدده مليونين اسما في مدى أسبوعين .

وجاء دور السوفييات . فقد أخذوا يطبقون ما يسمونه الديمقراطية وفي السابع عشر من شهر سبتمبر تدفقت الجيوش الروسية على حدود بولندا الشرقية المجردة من الدفاع وانجحت غربا في جهة واسعة وفي الثامن عشر من سبتمبر التقوا بالألمان الذين يتعاونون معهم في بريست ليتوفسك . وكان البلاشفة قد نقضوا اتفاقاتهم الرسمية مع حلفائهم الغربيين وعقدوا مسلحا مع جيوش القيصر الألماني خاضعين لشروط الألمان القاسية . أما اليوم فقد وقفوا مع جيش هتلر في بريست ليتوفسك يصاغونها . واستمر تدمير بولندا واستعبادها على حدة الأكل . وكانت مقاومة وارسو بفضل المزيمة الجبارة التي أبدتها أبنائها عظيمة . ولم تحس أيام طريقة من قصف المدافع من الجو والدفعات الثقيلة التي تقل أكثرها بصفة سرية من الطرق الألمانية الرئيسية من الجبهة الغربية وتوقفت إذاعة وارسو عن إذاعة النشيد الوطني البولندي ودخل هتلر إلى أطلال المدينة وهكذا قضى الأمر كله في شهر واحد . وقع شعب عدده خمسة وثلاثون مليوناً في قبضة لا ترحم لقوم لا يبحثون عن الاحتلال فحسب بل يريدون استعباد السكان واهلاكهم .

وقد شاهدنا سورا صحيحة للغارات الجوية الساحقة والقاصد بين قوات الجو والقوات البرية في ميادين القتال وصحق طرق الواصالات وتسلح الطابور الخامس والاندفاع الذي لا يقاوم قوات هائلة من الميكانيكيات والمدفعات . وليس البولنديون بأخر من قدر لهم هذا البلاء .

عمل الأميرالية

ذهل العالم حين رأى فترة طويلة تم ساحات القتال بمد هجوم هتلر المدرى على بولندا . وبعد إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا . وقد وصف المستر تشمبرلين هذه المرحلة في خطاب له إلى صديق نشره مؤرخ حياته بأنها فترة « طلائع الحرب » وقد رأيت صدق هذا التعبير حتى أنني جلسته عنونا لهذه الفترة . فالجيوش الفرنسية لا تقوم بأى هجوم على ألمانيا . وعلى الرغم من استحالة التعبئة فقد ظلت هذه الجيوش واقفة فى أماكنها بلا حراك . ولم يتم الألمان بنشاط جوى على بريطانيا عدا أعمال الاستطلاع . ولم يقوموا بنارات جوية على فرنسا وقد طلبت إلينا الحكومة الفرنسية أن لا تقوم بنارات جوية على ألمانيا حتى لا تسكون هذه النارات سبباً فى استفزاز الألمان للقيام بنارات للنار على مصانئهم الحربية التى كانت فى حاجة ماسة إلى الحماية واكتفينا بإلقاء النشودات على ألمانيا لندفع الألمان إلى المستوى الأخلاقى الرفيع . وقد دهش الجميع لهذه للرحلة الغربية من الحرب فى البر والجو فقد وقفت فرنسا وبريطانيا موقف المجدود وقد تم تدمير بولندا وإخضاعها خلال أسابيع عن طريق القوة الهائلة التى استخدمتها ألمانيا . ولم يكن هتلر ليتحرج من ذلك .

إلا أن الحرب البحرية بدأت على العكس من الساعة الأولى إلى حد كبير من الشدة ومن ثم أصبحت الأميرالية المحور الأساسى للأحداث . وكانت باخرنا فى الثالث من سبتمبر . تبحر فى سائر أنحاء العالم فى أعمالها المعتادة . وسرعان ما هاجمتها القوادمات التى كانت قد وزعت من قبل ببناءة فى الدداخل الغربية . فى الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم قذفت بالطوربيد باخرة الركاب أوتينا وحولتها ١٣٥٠٠ طن وغرقت مع ١١٢ شخصاً ممن كانوا على سطحها منهم ثمانية وعشرون من الرعايا الأمريكيين . واقتشر النباء سريعاً فى سائر أنحاء العالم . ونشرت الحكومة الألمانية بحجة لسوء التفاهم مع الولايات المتحدة بياناً زعمت فيه بأننى التى أمرت بنسف هذه الباخرة — لأوقع بين الحكومة الألمانية والولايات المتحدة . وقد لقي

هذا الادعاء من يصدقه في بعض الدوائر المادية . وأغرقت في اليومين الخامس والسادس من شهر سبتمبر بواخر « البوسنة والمسلمان الملكي وديوكلاو » قرب ساحل أسبانيا وكانت هذه البواخر كلهما من السفن ذات الأهمية .

وكانت الأميرالية قد أعدت برامج شاملة لمضاعفة عدد وحدات مكافحة النواصات . وقد اتخذت الإجراءات السريعة بمد إعلان الحرب مباشرة لتنفيذ البرامج المدة لبناء الدمرات الصغيرة والكبيرة والطرادات والسفن الانضائية الأخرى مع كل ما يتعلق بها . وكانت الحرب الماضية قد أثبتت نجاح نظام القوافل الحربية فعملنا بتطبيقه في شمال الأطلنطي . ولم ينته شهر سبتمبر حتى كانت القوافل البحرية المنظمة تسير راحة من مصب التيمس وليقربول . وآية من هاليفاكس وجبل طارق وفريتاون .

وقد شعرنا في هذه اللحظة . التي ألقت علينا عبء إعلام الجزر البريطانية وتسمية قوتنا لخوض غمار الحرب بالحساسة التي منبنا بها كفضياع اللواتي الايرانية . فمدم حيازتنا لها قد حد من نشاط مدمراتنا القليلة المدد .



وقد أصبح حتما علينا بمد أن أدخلنا نظام القوافل أن نبعث من قاعدة سليمة للأسطول . وكانت قاعدة سكاياغو في أي حرب مع ألمانيا القاعدة السليمة التي يستطيع الأسطول البريطاني منها أن يشرف على مداخل بحر الشمال ويفرض الحصار وقد رأيت من واجبي أن أقوم بزيارة هذه القاعدة في أقرب فرصة . وأخذت إجازة من جلسات مجلس الوزراء وسافرت مع فئة من موظفي ليلة الرابع عشر من سبتمبر وقضيت معظم اليومين التاليين في التفتيش على الليناء ومداخل بما عليه من شبكات وحواجز . وقد ارتاحت نفسي حيث كانت ما زالت كما كانت في الحرب الماضية من اللناعة والقوة . وقد أدخل عليها كثير من الإصلاح والتعمير . وزلت ضيقا على السير تشارلز فوربس القائد المام في سفينة قيادته . وبحثت معه ومع كبار المسؤولين من ضباطه الحالة العامة للأسطول . وكانت بقية تخطي . في « لوك يو » وفي السابع عشر من سبتمبر ذهبت مع الأميرالاي إلى هناك على ظهر نلسون . وكان المدخل

الضيق إليها مقفلاً بسدود ممتدة من الشباك وسفن الدورية وألغام الأعماق والأوتاد البحرية . وكل مشغول بأداء واجبه وعلى طرفي المضيق ترتفع جبال أسكوثلنديا بكل ما فيها من جمال ورجعت بي الذّاكرة إلى ربع قرن مضى في مثل هذا الشهر حيث قُت زيارتي الأخيرة لسيرجون جيليكو وربابنته في نفس هذا الميناء . وقد وجدتهم مع العصف الطويل من بوارجهم وطراداتهم كما هم الآن رهن المخاوف والريب .

وكان ربابنته تلك الأيام وأميرالانها قد تزحوا عن هذه الدنيا أو أجبلوا إلى التقاعد أما اليوم فقد كانت النالبية من الضباط الذين وفدوا إلى في زيارتي للقطاعات المختلفة إما من سنار اللازمين أو البعارة . وقد مررت قبل الحرب الماضية بثلاث سنوات للتعرف على كبار الضباط والمواقفة على تعيينهم أما اليوم نأى أرام جيماً حديثين على . وإن كان النظام والدقة وسائر المظاهر الأخرى قد ظلت كما كانت دون تغيير . وغاية الأمر أن جيلاً جديداً أصبح يملأ هذه المراكز ويرتدى تلك الملابس البحرية . أما البواخر فأكثرها خرج إلى البحر أثناء عملي بالأميرالية ولم يكن بينها أى قطعة جديدة . وقد شمرت بأني أردت إلى حياة قديمة في حياتي الجديدة . وقد رأيت أنني الرجل الوحيد الذى يشغل مركزاً كان يشغله من قبل . ولكن الأخطار ما زالت نحققنا كمآلف حالها . بالخطر الدائم من تحت الأمواج تهدد به غواصات أقوى وأشد ، وانخطر من الجو في غارات قوية شديدة الدمار .

ولا أظن إنساناً مر بتجربة كهذه مرتين مع ما بينهما من طول الزمن . ولا أحسب إنساناً أحس بالخطاطر والمسئوليات من القدرة التى هو فيها كما أحسست بها . وقد تزلت من القدرة لكى أدرك كيف يحس وزراء البحرية وكيف يماولون عند ما تفرق بواخر كبيرة أو عند ما تسوء الأحوال . وإذا كنا نمر بنفس التجربة مرة ثانية . وهل أستطيع أن أتحمّل ألم الطرد من وزارة البحرية مرة ثانية ؟ لقد مضى ويلسون وفيشر وباتنبرج وجيليكو وبتى وكنهام وستروى .

« وأسبغت أشمر كما يشمر إنسان وحيد

تطاً أعذابه قاعة حفل بهيج

أطقت أضواءه ، وذبت أزعاره

وانصرف الكل ما عدا « (١)

ولانظر إلى الهنة التي لاحد لها التي نرى أننا غرقنا فيها من جديد ؟ فبرلندا
تميش في آلامها . وفرنسا تمشي في انكاس حماسها في الحرب السابقة والمارد الروسي
لم يعد حليفا لنا ، ولا على الحياد . يحتمل أن يكون عدوا لنا وإيطاليا ليست بالصديقة
واليابان ليست حليفة لنا . فهل لأمريكا أن تهمل إلى موتنا وتنضم إلى حلنا مرة
ثانية ؟ وقد ظلت الأباطورية البريطانية متأسكة معقدة ولكنها ليست على استعداد
نحن مازانا نسيطر على البحار ولكننا نقف متأخرين بدرجة خفيفة . في ذلك السلاح
الرهيب سلاح الجو وقد احتجب عن بصيص النور الذي كان أمانى .

وأخذنا القطار في اينفريس وسافرنا طوال ساعات الظهر والساء إلى أن وصلنا
إلى لندن . ودهشت حين رأيت أمير البحر الأول في انتظارى ، استقبلنى مابس الوجه
ثم قال « هدى أخبار سيئة لقد غرقت الكوريجيوس مساء أمس في قناة بريستول »
وكانت الكوريجيوس من أقدم حاملات الطائرات في أسطولنا . ولكنها لاغى عنها
في هذا الوقت . فسكرته لتعمله مشقة الحضور ليبلننى هذا النبأ . وقلت « ليس في
استطاعتنا أن نتحمل حربا تسير هكذا وإذا سرنا على هذا النوال فسوف يحدث لنا
مثل هذا من وقت لآخر . وإن كنت قد رأيت الكثير منه فيا مضى . ومضيت
إلى الحمام لأبدأ عمل يوم آخر .

فلما انقضى شهر سبتمبر لم يكن ثمة كثير مما نشكوه من نتائج للرحلة الأولى من
الحرب البحرية . وقد أحسست أنني أودى على بقوة ونجاح وقد تحملت مسؤولية
تلك الوزارة التي أحبها وأمرها كل المرفة . وقد المت بكل ما يحدث وما ينتظر
حدوثه . وعرفت أين تقف الأمور . وكنت قد قمت بزيارة القواعد البحرية الرئيسية
على اختلافها واجتمعت بمختلف القادة البحريين وأناى وزير البحرية المسئول أمام النتائج
والبرلمان عن كافة أعمال البحرية . وقد كنت ولا شك على استعداد تام للقيام بواجبى .

(١) من أبيات الشاعر توماس مور

واضقت فترة الانتقال الرهيبة الخطر من السلام إلى الحرب وكان على التجارة المالية أن تتحمل غرما كبيرا . فالنواصات تهاجما بشير تميز منتهكة حرمة القوانين الحربية البحرية والاتفاقات الدولية لكن سير التوافل أخذ يتمشى في طريقه الطبيعي وقد أخذت السفن التجارية ترحل من موانئنا كل يوم في مجموعات وقد زودت كل منها بمدفع وفريق من الدفعية المدربين وأخذت كاسحات الألغام المجهزة بمعدات كشف النواصات والقطع البحرية الصغيرة المسلحة بقنابل الاقوار مما أعدته الأميرالية قبل أن تؤدي جيسها واجها في عدد كبير وزيادة دأمة . وأحسنا أن هجوم النواصات السابق على التجارة البريطانية قد انهار وأنها قد سيطرنا على الخطر . وكان من الملوم لنا أن الألمان سيشيدون مئات من النواصات . وأن عددا كبيرا منها بوشك على الانتهاء علينا أن نتوقع أن تبدأ الحرب الرئيسية للنواصات في مدى اثني عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا على الأكثر . ولكننا كنا نتوقع في ذلك الوقت أن نكون قد أتممنا تشييد مدمرانا والقطع المضادة للنواصات . وقد جعلنا لها الشأن الأول من اهتمامنا حتى نكون على استعداد لمواجهة الخطر بقوة .

ومضت خلال ذلك عملية قتل قوات الحلة البريطانية إلى فرنسا تسير قدما وفي بساطة ويسر . وقد أقننا على ألمانيا حصارا كالقنى أقناه عليها في الحرب السابقة وكانت طراداتنا على سطح البحار تطارد البواخر الألمانية . ونحني بواخرنا من هجوم الوحدات الألمانية وقد توقفت الملاحة الألمانية . وأجبرت ، ٣٢٥ باخرة ألمانية تبلغ حمولتها ثلاثة أرباع مليون طن إلى التوقف في الموانئ الأجنبية . ولعب حلفاؤنا الفرنسيون كذلك دورهم في هذه الحرب فتكفلوا بمهمة الإشراف على البحر الأبيض المتوسط . وعاونونا في المعركة ضد النواصات في المياه الداخلية وخليج بسكاي . كما قامت قوة كبيرة في ميناء داكار بدور كبير في تنفيذ خطط الحلفاء في أواسط الاطلنطي وأعمال الرقابة من قطع الألمان المهاجمة .

وقد وقع في نفسى موقع السرور تلقى رسالة شخصية من الرئيس روزفلت وكنت قد قابلته مرة واحدة في الحرب الماضية في حفلة عشاء وقد أدهشنى بما يتمتع به من يقظة الذهن ومن شباب وحيوية . ولم يكن بيننا إلا تبادل التحيات . وقد كتب إلى

يقول « لما كان ضمنا في الحرب المالية الماضية متشابها . فاني أود أن أبلغك مقدار سروري بعودتك إلى الأميرالية وإذا كانت مشاكلكم قد ألت بها عوامل جديدة جعلتها معقدة إلى حد ما فاني أرى الوضع الرئيسي لم يختلف عن سابقه . وكل ما أريد منك ومن رئيس الوزراء أن تعرفا أنني أرحب باتصالكما الشخصي بي وموافقي بكل ما تريدان أن تبلغانني من الأخبار . ومن اليسور أن تبعثا إلى برسائل مفصلة ومختومة بحقيقتنا السياسية أو حقيقتكم » .

وقد أسرعت بالرد على هذه الرسالة واستخدمت توقيع « شخص من البحرية » وبهاتين الرسالتين بدأنا مراسلاتنا الطويلة التي تجاوزت الألف رسالة من كل منا وقد تناهت باستمرار حتى وفاته في حوالى خمس سنوات .

وفي شهر أكتوبر وقع حادث كان له أسوأ الأثر على الأميرالية في الرابع عشر من ذلك الشهر جاء تقرير بأن غواصة دخلت إلى ميناء سكاكافلو . واختارت وسائلنا الدفاعية وأغرقت البارجة « رويال أوك » بمرساها بالميناء . فقد انطلق عدد كبير من الطوربيدات أصاب أحدها قوس البارجة وأحدث فيها انفجاراً مكثوما ولم يستطع الأميرال والربان وما على ظهر البارجة أن يوقنا بأن طوربيدا أصاب إرجتهما وهي راسية بميناء سكاكافلو في أمان واعتقدا أن الانفجار داخل ولم تحض عشرون دقيقة حتى انهال على البارجة سيل آخر من الطوربيدات وأصابت ثلاثة طوربيدات أو أربعة البارجة فهوت إلى الأعماق وكانت الغالبية من رجالها يقومون بمعلمهم ولم يستطع أحد منهم أن ينجمو من الفرق للسرعة القاطعة التي أغرقت فيها البارجة .

ولاشك أن هذا الحادث الذي يمد من أعمال الشجاعة والجسارة الخارقة بالنسبة إلى قائد الغواصة الربان براميين قد اهتز له الرأي العام البريطاني . وكان هذا الحادث كافياً للقضاء قضاء سياسياً على أى وزير من الوزراء إذا كان مسؤولاً عن إعداد الإجراءات الوقائية قبل الحرب . وقد أخلأني من اللوم في هذه الأشهر الأولى التي كنت حدث عهد بالوزارة ولم تحاول المارضة استغلال الحادث ضد الحكومة . وقد وعدت بعمل تحقيق شديد وقد تبين من التحقيق ضرورة تأمين وسائل الدفاع

عن الميناء ضد أى هجوم قبل اتخاذ قاعدة للأسطول وقد انسلخت ستة أشهر حتى
أمكن الانتفاع بما أقدناه من تحصينات .

وبدا خطر جديد رهيب يهدد كيفأنا . ذلك أن ما يقرب من اثنتى عشرة باخرة
تجارية أغرقت عند مداخل موانئنا في شهرى سبتمبر وأكتوبر على الرغم من إخلاء
هذه الموانئ من الألغام وقد شكت الاميرالية من وجود ألغام منخفضة يستخدمها العدو .
ولم تكن هذه الألغام بالجديدة علينا فقد بدأنا باستخدامها على نطاق ضيق في آخر
الحرب العالمية الأولى . ولكننا لم نكن قد أدر كنا مدى الأضرار البالغة التى تحدث
من استخدام ألغام أرضية كبيرة تبثها السفن أو الطائرات على أغوار بعيدة . لم
يكن من اليسور الوصول إلى علاج لهذه الحال إلا إذا عثرنا على نموذج من هذه الألغام .
وقد بلغت الخسائر من بواخر الحلفاء والبواخر المحايدة من جراء الألغام في شهرى
سبتمبر وأكتوبر نحو ستة وخمسين ألف طن مما دعا هنر فى شهر نوفمبر إلى أن
يشير إشارة خافية إلى هذا السلاح السرى الجديد الذى لا يمكن اتقاؤه وقد جاء فى ذات
ليلة وأنا فى شارنوبل الاميرال باولند . وقد ظهرت عليه أمارات القلق ليخبرنى بفرق
ست بواخر عند مداخل نهر التيمس . إن البواخر التى تدخل الموانئ البريطانية
وتخرج منها تعد بالآلاف . وإن هذه الحركة تتوقف عليها حياتنا . ولا شك أن خبراء
هتلر قد أوعزوا إليه بأن مثل هذا الهجوم سيؤدى إلى هلاكنا ويسرع بنهائنا .
ومن حسن الحظ أن هتلر قد بدأ يستخدم هذا السلاح على نطاق محدود .

وقد أسمعنا الحظ بصورة مباشرة فقد ظهرت طائرة ألمانية بين الساعة التاسعة
والعاشرة مساء اليوم الثانى والمشرى من شهر نوفمبر وشوهدت وهى تلقى شيئاً
كبيراً بمظلة إلى البحر بالقرب من شوبارنيس . وفى هذه المنطقة تتمر الساحل
مباحات شاسعة من الطلى الذى يبدو عند انحسار مياه البحر . ولا شك أن الشيء
الذى ألقته الطائرة أياً كان لا بد أن يثر عليه ويفحصه شخصاً جيداً بعد إخراجهم من
الماء . وكانت هذه فرصة سانحة لنا . وقبيل منتصف تلك الليلة استعدى إلى مقر
الاميرالية ضابطان كبيران من الضباط البارزين فى مؤسسة تطوير الاسلحة المائية
وهما أوفرى ولويس واجتمعت بهما مع لورد البحر الأول وسمعنا آراءهما . وفى الساعة

الواحدة والنصف صباحاً من الصباح ركبا السيارة إلى ساويند للقيام بعملية الاستخلاص الرهية . وقد تمكن قبل فجر الثالث والعشرين من الشهر في الظلمة وبلاستمانه بمصباح صغير من العثور على القنم على بعد خمسمائة ياردة ونظرا لشدة الدخان لم يستطيعا أن يقوما بأى عمل غير فحص القنم وعمل الترتيبات اللازمة لمعالجته بعد انحسار الدخان .

وبدأت العملية الدقيقة في الساعات الأولى من الظهر وقد عثر على لنم آخر بالقرب من الأول . وقام أوفرى بمساعدة ضابط آخر يدعى بلدوين بمعالجة القنم الاول ووقف زميله لويس ومعه البحار القدير فيرنيسكب في مكان أمين ينتظران النتيجة متأهبين للطوارئ . وكان أوفرى كلما انتهى من عملية بحث بنتيجتها بالإشارات إلى لويس حتى يمكن الاستفادة منها في معالجة اللنم الثاني . وهكذا حققت الجهود التي بذلها الرجال الاربعة النجاح المأمول في القنم الاول . وعاد بعض الاشخاص تلك الليلة إلى الاميرالية ليبلغونا أن القنم قد استخلص سليما وأنه في الطريق إلى بورتسموث لفحصه فحماً دقيقاً . وقد تلقيت هذا النبأ بحماس شديد وأسعرت بمقد اجتماع في صالنتنا الكبرى شهدهم نحو من ثمانين أو مائة مائة ضابط وموظف وقد أخذوا يصنفون إلى الحوادث والاختلاف التي كانت تهددنا .

وبدأنا نطبق كل ما لدينا من علم وقوة حتى أدت التجارب إلى نتائج عملية . وكنا نلجأ الأمور على سائر الوجوه ونبتكر كل الوسائل للقضاء على هذه الألغام بالطرق المستحدثة لكسحها وإعداد وسائل الدفاع السلبية لتسليح سائر البواخر لمواجهة مثل هذه الألغام إذا لم يمكن تجنبها أو اكتساحها قبل . وقد استطعنا تحقيق هذه الناية بإبتكار نظام فعال لنزع مغناطيسية البواخر بتطويقها بأسلاك كهربائية . وقد وزعت الأجهزة الخاصة بذلك على جميع البواخر من شتى الأحجام . لكن الحوادث الخطيرة ظلت كما كانت . فقد انفجر لنم تحت الطراد الجديد بلفاست في « فيرت أوف فورث » في الحادي والعشرين من نوفمبر وأصاب لنم في الرابع من ديسمبر البارجة نلسون وهي في طريقها للدخول إلى « لوك يو » . ومع ذلك فقد استطاعت القطعتان من الوصول إلى ميناء أحواض السفن لإصلاحهما . وجدير بالذكر

أن الحاربات الألمانية لم تستطع أن تخترق ستر الكتان التى أرغيناها على حادث إصابة البارجة نلسون حتى تم إسلاحها وعادت سيرتها إلى البحار على أن الألوف من الأنكليس قد ألوا بالحقيقة منذ البداية .

وقد أمكننا التجارب عاجلاً من الحصول على وسائل أسير وأحدث لكافة الأنعام . وكان لذلك النجاح تأثيره المعنوى العظيم لكن اعتمادنا الأساسى فى التغلب على محاولات العدو ظل قائماً على عمل كاسحات الأنعام البحرى ، إلى جانب الجهود المتارة التى ما زال يبذلها الفنيون الذين اكتشفوا الأجهزة الجديدة التى تستعملها تلك الكاسحات ورجالها .

وقد استطعنا على الرغم مما طائنا من أوقات القلق أن نسيطر على خطر الأنعام وتهديدها . ومن ثم أخذ ينفش خطرها .

وأقف هنا لحظة لاستعرض هذه الناحية من الحرب البحرية فقد كان علينا أن نركز جزءاً كبيراً من جهودنا الحربية فى مكافحة الأنعام . وقد قلنا الكثير من المال والمعدات من الميادين الأخرى إلى هذا الميدان . وقد كان الألوف يجازفون بحياتهم ليل نهار فى كسح الأنعام . وقد وصل الرقم إلى أقصاه فى يونيو سنة ١٩٤٤ حيث كان نحو ستين ألفاً يعملون فى هذا المجال . ولم يكن ليؤثر أى شيء على حماس أسطولنا التجارى وقوته المعنوية التى كانت ترتفع مع الصمودات التى صاحبت معركة الأنعام وما اتخذناه من الإجراءات القوية الفعالة .

ولا شك أن جهود الأسطول وشجاعته وجلده كانت جميعها السبيل الوحيد إلى الخلاص . ولم نكن قد تعرضنا بعد لأى تحد بارز فى الميدان الواسع للمعارك البحرية . ولكن هذا التحدى لم يلبث أن وقم . ولعل الإسام بوصف عمليات رئيسيتين مم قطع ألمانيا غازية ، يكون خير خاتمة لهذا الفصل من الحرب البحرية سنة ١٩٣٩ .

لا شك أن خط الحصار الطويل الذى أقناه إلى الشمال من أوركىى والذى يتألف

غالباً من الطرادات التجارية المسلحة التي تؤيدها بعض السفن الحربية بمضى الأحيان كان معرضاً على الدوام لهجوم مباغت من القطع الألمانية الكبيرة وعلى الأخص البارجتان الطرادان السريمان شارنهورست وجينزاو ولم يكن في مقدورنا أن نصد هذه الضربات . وكان كل أملنا أن نضطر هذه القطع المهاجمة إلى أن تدخل معنا في معركة حاسمة .

ورأت الطرادة التجارية المسلحة راوليندى بعد ظهر الثالث والعشرين من شهر نوفمبر بارجة معادية فأخذت تقترب منها بسرعة وظلت أن البارجة المدونة هي بارجة الجيب دوتشلند فأبرقت بذلك في الحال . ولم يكن قائد راوليندى القبطان كيندى ، يشك في نتيجة مثل هذه المركة . فسفينة باخرة ركاب عادية حولت إلى طراد به أربعة مدافع قديمة عيار ست بوصات . بينما تحمل البارجة سعة مدافع من عيار احدى عشرة بوصة . بالإضافة إلى الأسلحة الثانوية التي تحملها . وعلى الرغم من ذلك فقد جازف قائد السفينة وقرر أن يقاتل إلى النهاية . وبدأت السفينة المعادية باطلاق النار على مسافة عشرة آلاف ياردة فردت هاها السفينة راوليندى . ومازالت المركة بينهما حتى تمطلت جميع مدافع راوليندى وأصبحت قطعة من النيران وغرقت مع ربانها و ٢٧٠ من رجالها البواسل في حلقة الظلام .

ولم تسكن السفينة الألمانية المعادية التي قامت بهذه المركة هي دوتشلند ولكنها كانت الطراد شارنهورست ومهما جينزاو وكاتنا قد غادرنا ألمانيا قبل المركة بيومين المهاجمة قواغلنا في الأطلنطى وقد عدلنا عن إتمام مهمتهما بعد أن اصطدمتا براوليندى وأغرقتاها وخشيتمنا من هذا العمل بعد أن اكتشف أمرهما . وشاهد الطراد نيوكاسل أثناء قيامه بدوريته النيران المندلعة وقد استجاب لرسالة راوليندى الأولى ووصل إلى مكان المركة مع الطراد دلهي وقد وجدا الباخرة الملتهية مازالت طائمة . وحاول نيوكاسل مطاردة العدو ولكن القطعتين اختفى أثرهما وتمكن العدو من الفرار .

وامتلات نفوس الجميع أملا في إرغام هاتين السفينتين الألمانيتين على خوض المركة . وخرج القائد العام في الحال إلى عرض البحر بأسطوله كاملا . وكان أربعة عشر طرادا يكتسنان بحر الشمال في الخامس والعشرين ومهما الدمرات والنواصات (٥ - مذكرات)

وبارحة القيادة ولكن لم يكن الحظ موافقاً لنا . فلم يستطع أسطولنا العثور على شيء ولم يبد مايدل على أية حركة معادية نحو الغرب وظلت عملية البحث تسير بنشاط وحاس على الرغم من رداءة الجو سبعة أيام ثم علمنا أن شارنهورست وجيبنز جاو دخلتا بحر البلطيق سالمين وقد تبين لنا أنهما مرتا عند خط طرادتنا التي كانت تقوم بأعمال الدورية بالقرب من الساحل النرويجي صباح السادس والعشرين من شهر نوفمبر وقد تمذرت رؤيتهما لكثرة الضباب .

وكان من الممكن أن يفرض الاتصال بواسطة الرادار المصري ولكنه لم يكن موجوداً . وقد كان لهذا الحادث أثر سيء لدى الرأي العام بالنسبة للإمبرالية ولم يكن في وسعنا أن نبين لكل إنسان اتساع البحار والمجهودات الجارية التي يقوم بها الأسطول في سائر المناطق وقد مضى شهران على نشوب الحرب مع مامنيا به من الخسائر المديدة ولم نكن نستطيع أن نبدى شيئاً مما ألحقناه بالعدو ولم نجد مجالاً للرد على من يسأل « ماذا يعمل الأسطول ؟ »

وكانت السفن الألمانية المهاجمة تستطيع أن تكون ذات أثر في الإغارة على سفننا وإصابة تجارتنا إذا سمحت على ذلك فقد شيدت بوارج الجيب الألمانية الثلاث التي سمحت بها معاهدة فرساي على أن تكون مدمرات تجارية . وقد اشتملت كل منها بطريقة عجيبة على ستة مدافع من عيار إحدى عشرة بوصة مع أسلحة إضافية عديدة ودروع من الفولاذ ، وكانت تسير بسرعة ست وعشرين عقدة في اليوم ولم يكن في مقدور أى طراد بريطاني واحد أن يقف وجهاً لوجه أمام بارجة جيب من هذا الطراز .

وكانت الطرادات الألمانية ذات مدافع من عيار ثمانى بوصات وهي حدث من طراداتنا . وتستطيع أن تكون سلاحاً رهيباً إذا استخدمت في الإغارة على السفن التجارية . وكان في استطاعة العدو أن يستخدم كذلك سفننا تجارية ثقيلة التسليح تحت ستار العمل التجاري البريء : ولم تبرح القاذورة أعمال النهو والسلب التي قامت بهما السفينتان إيدن وكونيجزبرج سنة ١٩١٤ حين اضطورنا إلى التوج بأكثر من ثلاثين بارجة وقطعة بحرية في معركة تدميرها .

وأشيع قبل نشوب الحرب أن بارجة أو اثنتين من بارج الجيب البحرنا من ألمانيا وبعثنا حاول أسطولنا أن يثر عليهما . وقد تبين أن كلا من دوتشلند وجراف شبي قد أبحرنا ما بين الحادى والعشرين والرابع والعشرين من شهر أغسطس واخترقا منطقة الخطر وأصبحتا طليقتين تتحركان كيف شاءتا فى المحيطات وذلك قبل أن نعرض حصارنا وننظم شئون دورياتنا . وكانت الدوتشلاند فى الثالث من سبتمبر قد عبرت مضيق الدانمارك وأخذت تتربص ببواخرا الدوائر على مقربة من جرينلاند . أما جراف شبي . فقد اجتازت طريق القوافل شمال الأطلنطى ولم يرها أحد وانبرت إلى الجنوب من جزر الآزور وكل منهما تصعبها باخرة لتمونها بالوقود وغيره من المطالب الأخرى . وظلت البارجتان فى البداية متوقفتين عن النشاط وقد احتجبتا فى غيابة المحيطات ولم يكن لهما من أثر مالم توجها ضربات شديدة إلا أنهما كانتا فى مأمن من الخطر .

وفى الثلاثين من سبتمبر غرقت الباخرة البريطانية كليمنت وحولتها خمسة آلاف طن وهى تبهر منفردة بالقرب من برنامبوكو وقد هاجتها جراف شبي . واثارت ثائرة أميرالية وكان هذا وقتها المنتظر فتألفت فى الحال وحدات لاسطلياد البارجة تشتمل على حاملات الطائرات والبوارج والطرادات وقد زودت كل منها بالقوة اللازمة للقضاء على البارجة الألمانية مجرد العثور عليها .

وفى الأشهر التالية كانت تسع وحدات مطاردة تضم أكثر من ثلاث وعشرين قطعة من أقوى القطع البحرية تبحث عن البارجتين الألمانيتين . وكان فى استطاعة هذه الوحدات أن تحمى المناطق الرئيسية التى تمر بها سفننا التجارية فى الأطلنطى والمحيط الهندى وإذا أندم العدو على مهاجمة أى طريق من طرقنا التجارية سيكون ولا شك فى مقاتول مجموعة من هذه الوحدات .

وقد أدركت الدوتشلاند التى كان عليها أن تمطل طرقنا الحيوية شمال غرب الأطلنطى منزى الأوامر التى صدرت إليها بالحرس البالغ فلم تقصد خلال الشهرين ونصف من إبحارها لقوافلنا التجارية وقد ترتب على اعتمادها عن الاشتباك بالقوات البريطانية إلى عدم قيامها بعملية إغراق رئيسية . ووقفت جهودها عند إغراق

سفينتين صغيرتين إحداهما نرويجية . وفي نوفمبر استطاعت أن تعود متسللة إلى ألمانيا
من طريق المحيط المتجمد الشمالى . وقد كان وجود هذه الباقرة الحربية في طريق
مواصلاتنا الرئيسى يفرض عبئاً ثقيلاً على وحدات حراستنا والوحدات المسكفة
بالبحث عنها في شمال الأطلنطى . وكنا نفضل لو تصدت لنا الباقرة المعادية على أن
نبقى معرضين دائماً لخطرها .

وكانت جراف شبي أكثر جرأة وأوسع حيلة . وقد أصبحت موضع الاهتمام
في جنوب الأطلنطى . وكان سبيلها في العمل أن تظهر فترة قصيرة تتمكن خلالها
من فريسة توقعتها ثم تختفى في مجاهل المحيطات الواسعة وقد ظهرت مرة ثانية إلى
الجنوب من مكانها الأول على طريق رأس الرجاء الصالح فأغرقت بإخرة ثم اختفت
من الأنظار أكثر من شهر كانت وحدتنا خلاله تبحث عنها في كل مكان وقد
ركزت بحثنا في المحيط الهندى ولم يكن ثمة شك في أنها تتجه إلى ذلك المحيط ، فقد
أغرقت في الخامس عشر من نوفمبر ناقلة زيت بريطانية صغيرة في مضيق موزمبيق
بين مدغشقر والشاطئ الإفريقى . وقد سجلت مكان ظهورها في المحيط الهندى
للتشل الأنظار بوجودها في هذه المنطقة . وأمر ربانها « لانجسد ورف » وهو من
خبرة ضباط البحرية الإكفاء بمودتها سريعاً إلى المحيط الأطلنطى ماراً على بعد كبير
من رأس الرجاء ولم نكن نجهل هذه الحركة . إلا أن خططنا قد فشلت لسرعته
في الانسحاب . ولم تسكن الاميرالية على ثقة من عدد السفن الألمانية المتيرة أهى
واحدة أو اثنتان . فلك قد ظل البحث على أشده في المحيطات . وقد خيل إلينا أن
الاميرال شير ، شبهة جراف شبي تسيير أيضاً في عرض المحيط . فكان العبء الملقى
عليها كبيراً لا يقصوره العقل على الرغم من أن قوة المدو كانت صغيرة . وقد دار
بجملدى وأنا ذكر أحداث اليوم ذكر الاسابيع المقلقة التى سبقت معركة كورونيل
وجزر فولكلاند في ديسمبر سنة ١٩١٤ حيث كنا مستمدين في سبع جهات أو ثمان
في المحيط الهادى وجنوب الأطلنطى في انتظار الاميرال شبي بطراديه السابقين
شار نهودست وجيتزناو . وقد مر نحو ربع قرن .

ولكن الفز مازال كما كان . وقد شعرنا بارتياح حين علمنا أن جراف شبي

عاد إلى الظهور عن طريق مدينة الرجا ، فريفاون وأغرقت الباهرة دوريك ستار مع باخرة ثانية في الثاني من ديسمبر ثم ثالثة في السابع منه .



وكانت مهمة الكومودور هارود منذ بداية الحرب حماية البواخر البريطانية للبحيرة من نهر لابلاتا وميناء ريدوي جانبرو وكان واتفا من أن جراف شي ، سقاني ولا محالة إلى الأماكن القريبة من مصب نهر لابلاتا وكان قد وضع خطة بمد تفكير طويل للملاحة البارجة عند وصولها وكان مقدرا أن في استطاعة طرايه كبرلاند وابكستر اللذين يحملان مدافع من عيار ثمانى بوسات وطرايه إجاكس وأخيل اللذين يحملان مدافع من عيار ست بوسات أن تقصدى لبارجة العدو وتفرض عليها إذا اجتمعت الأربع معا عند المعركة وإن كانت ضرورات الوقود لا تجبل ذلك يسيرا فلما سمع في الثاني من شهر ديسمبر أن جراف شي أغرقت الدرويك ستار قدرها روود وكان تقديره صحيحا أن البارجة الألمانية على الرغم من وجودها في تلك اللحظة — على بعد ثلاثة آلاف ميل ستنتج إلى مصب لابلاتا وقد قدر موعد وصولها تقديرا سديدا صاحبه شيء من حسن الحظ في الثالث عشر من الشهر فأمر جميع وحداته بأن تحتشد هناك في الثاني عشر من شهر ديسمبر وكانت كبرلاند لسوء الحظ تجرى بعض الاصلاحات في ذلك الوقت إلا أن الطرادات الثلاثة الأخرى تجمعت على مقربة من مصب النهر صباح الثالث عشر وفي الساعة السادسة والدقيقة الرابعة عشرة شوهد الدخان من بعد وجاء وقت المعركة .

وكان هارود يقف على سطح طرايه إجاكس وقد أمر بتوزيع قواته للمهاجمة بارجة الجيب الألمانية من جهات مختلفة لتفريق قوة نيرانها ثم اقترب مسرعا من البارجة المدوة ، وخيل للريان لانجسدورف بادى الأمر أنه أمام طراد ضئيف واحد ومدمرتين فأسرع إلى المعركة ، ولكنه سرعان ما أدرك قوة الخصم وعرف أن معركة فتاكة في انتظاره . وأخذ كل من الخصمين يقترب من الآخر بسرعة خمسين ميلا في الساعة ولم يتسع الوقت أمام لانجسدورف ليتخذ قرارا وكان أسلم طريق له أن يمد أدراجيه ويشغل مهاجميه أكبر وقت ممكن وهم على مدى نيران

مدافنه الثقيلة البعيدة لدى ينهم حازون من إصابته . وكان في مقدوره أن يستفيد من اليزة التي يجمع بها في إطلاق مدافنه وقد يستطيع أن يشل حركة أحد الطرادات المهاجمة قبل أن يصل إلى مسافة إطلاق النار عليه ولكنه قرر عكس ذلك ورأى أن يواصل مهاجمة أيكسيتير وقد بدأ العمل من الجانبين في وقت مما .

وبرهنت طريقة الكومودر هاروود على سدادها ، فقد أصابت مدافع أيكسيتير من عيار ثمانى بوسات البارجة المادية في أولى مراحل الحركة بينما كان الطرادان الآخران اللذان يحملان مدافع من عيار ست بوسات يصبان على العدو نيران مدافهما وأصيب الأيكسيتير إصابة مباشرة أطاحت ببرجه ودمرت سائر المواصلات وترك جميع من يقفون على ظهره بين قتيل وجريح وقد أفقدت ربانه السيطرة على سفينته . ولكن جراف شي لم يستطع أن يتجاهل الطرادين الآخرين فخل لا يجمدورف إليهما نيران مدافنه الثقيلة وقد أتاح للاكسيتير فرصة تسريح فيها في تلك اللحظة الحرجة .

وأحسن الزبان الألمانى خطورة الموقف فاستدار عازما على الاتجاه إلى نهر لا بلاتا وقد أطلق ستاراً من الدخان ليضفى وجهته وكان أولى له أن ينفذ هذه الخطوة بادية الأمر .

ثم عاد جراف شي بمد هذه الاستدارة إلى إطلاق النار على الأيكسيتير الذى أصيب إصابات شديدة عطلت سائر مدافنه الأمامية واشتملت النيران في وسطه وعلى الرغم من ذلك فقد جمع الزبان بل ضابطين أو ثلاثة في مراكز الرقابة الثانى وحافظ على حركة الباخرة أطول مدة مستطاعة حتى لم يبق في وسعه أن يعمل شيئاً فاستدار في الساعة والدقيقة السابعة الأربعين واتجه إلى أقرب ميناء لعمل الإصلاحات اللازمة وتوقف عن خوض غمار الحركة .

ومازال أجاكس وأخيل يطاردان الجراف شي في معركة من أقوى المارك . وقد اعتدلت لهما البارجة الألمانية بجميع مدافنها الكبيرة وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والمشرين نسفت قنبلة برجامن أبراج أجاكس وأصيب أخيل

بأضرار بالغة . ولم يكن في مقدور هذين الطرادين الخفيفين أن يبقيا في معركة أمام
فيران بارجة المدو . فلما أحس هاروود أن ذخيره تكاد أن تنتهي قرر التوقف من
القتال حتى يرخي الليل سدوله ويتاح له فرص أحسن لكي يستخدم مدافعه الخفيفة .
وقد يجد فرصة لاستخدام الطوربيد . وانسحب هاروود تحت ستار من الدخان
ولم يحاول المدوان يطاردّه وظلت هذه المعركة ساعة وعشرين دقيقة واتجهت
الجراف شي سائرة نحو مونتفيديو والطرادان البريطانيان في إثرها على بعد دون أن
يشتبكا معها في معركة عدا بعض طلقات متبادلة بين الفريقين . وقد دخلت
الجراف شي ميناء مونتفيديو بعد منتصف الليل لإصلاح ما فيها والتزود بالمؤن وأزال
الجرحي وتقلد رجالها إلى سفينة تجارية ألمانية وأبرقت إلى الفوهرر . ووقف الطرادان
أجاكس وأخيل خارج الميناء وقد فقدوا المزم على تدميرها إذا غامرت بالخروج من
الميناء وفي خلال ذلك كان الطراد كبرلاند الذي كانت قد أنهت عملية إصلاحه في
جزر نولكلاند قد أسرع ليحل محل أبكسيتر الذي توقف عن العمل . ويوصل
الطراد الجديد تماثل الموقف الذي كان موضع الشك .

وأرسل الزبان لانجسدورف في السادس عشر من ديسمبر إلى الأميرالية الألمانية
بأن النجاة مستحيلة وتساءل إذا كانت التعليمات تقضى بأن يقوم بإغراق الطراد في
مصب نهر لا بلاتا على قلة غوره أو ترى أن يقدم نفسه أسيراً .

وعقد الفوهرر اجتماعاً تحت رئاسته وقد حضره الاميرال ريدير والجنرال يودل
وتقرر أن يرد عليه بهذه العبارة « حاول بسائر الطرق أن عند فترة بقائك في المياه
الحامدة وحاول أن تخلق طريقك نحو بيونيس ايرس إذا تيسر لك . لا أسرفي أوردوغواي
حاول تدمير البارجة تماماً إذا تقرر إغراقها ونقلت البارجة غراف شي أكثر من
سبعمائة من بحارتها مع أمتعتهم وزادهم إلى الباخرة الألمانية الراسية في الميناء . وبعد
قليل علم الاميرال هاروود أنها أخذت تفك مراسيها . وفي الساعة السادسة والربع
شوهدت على مرأى من ألوف النظارة وهي تنادر الميناء وتتجه في ببطء إلى البحر حيث
تنتظرها الطرادات البريطانية .

وفي الساعة الثامنة والسابعة والاربع والخمسين والشمس مؤذنة بالغروب . أمقلت

الطائرة الماملة من أجاكس أن جراف شي قد نسفت نفسها . وقد أنهارت أعصاب:
لأنجسدورف لخسارة باخرته فانتصر بعد يومين .

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من مراحل تهديد التجارة البريطانية في المحيطات
بواسطة الغييرات وقبل ربيع سنة ١٩٤٠ لم تظهر أية سفينة منيرة أخرى حين ابدأ
الالمان حملة جديدة واستخدموا البواخر التجارية المتكثرة وكان في مقدورها أن تتجنب
اكتشاف أمرها بسهولة إلا أن التدمير لم يكن يحتاج ذلك الجهد الذى يحتاجه تدمير
بارجة جيب المانية .

الجهة الفرنسية

اتجهت القوة البريطانية نحو فرنسا عندما بدأت الحرب وماكدنا فصل إلى منتصف شهر أكتوبر حتى كانت أربع فرق بريطانية من المحترفين قد احتلت مواقعها على الجهة الفرنسية البلجيكية ، ولم يحل شهر مارس سنة ١٩٤٠ حتى كانت ست فرق أخرى قد انضمت إلى هذه الفرق . فأصبح مجموعها عشر فرق وقد انقطعت جهتنا بازدياد قواتنا ، ولكننا لم نكن على اتصال بالمدى فى أى مركز من المراكز .

فلما وصلت الحملة البريطانية إلى مواقعها ، وجدت الخنادق عمدة للدبابات على طول الخط ، وعلى أبعاد حوالى ألف ياردة مواقع من الاسمات تتيح إطلاق نيران من الخنادق بالدافع الرشاشة والمضادة للدبابات ، وكانت الاسلاك الشائكة مقامة فى نطاق متصل . وكانت مهمة جنودنا فى فصل الخريف والشتاء متجهة إلى تحسين مواقع الدفاع التى أقامها الفرنسيون وتلطيها على صورة من خط سيجفريد .

وكان العمل يسير بخطى واسعة على الرغم من الجليد المتراكم وقد ظهر من الصور الجوية التى أخذت أن الالمان كانوا يقومون بتوسيع خط سيجفريد باتجاه الشمال عبر الموزيل ، وعلى الرغم من المزايا التى يفيد بها الالمان لقرب المواد الأولية وتيسير العمل . فقد كان عملنا يسير بنفس السرعة التى يسرون بها . وأقيمت المنشآت اللازمة لإقامة قاعدة كبيرة كانتهم تحسين الطرق . ومدت سكك حديدية واسعة طولها مائة ميل . وتم إنشاء وتحسين ما يقرب من خمسين مطاراً جديداً وقاعدة صغيرة وقد جمت خلف جهتنا مقادير كبيرة من المعدات والعتاد على طول طرق مواصلتنا . وأعدت الثوة الكافية لشرة أيام بين السين والسوم وسبعة أيام إضافية أخرى إلى الشمال من السوم . مما كان له أثر كبير فى انقاذ جيشنا بمد أن اخترق الالمان الجهة . وكانت فترة الهدوء فرصة سانحة لاستخدام الموائى الواقعة إلى الشمال من المافر على التوالى حتى أمكننا فى النهاية أن نستخدّم نحو ثلاثة عشر ميّءاء من الموائى الفرنسية .

كانت الروح الحماسية في الجيش الفرنسي والشعب سنة ١٩١٤ تلك الروح التي اشتعلت في نفوس الآباء والأبناء منذ سنة ١٨٧٠ روحاً هيجومية شديدة . وكانوا يفقدون أن الدولة الأقل عدداً في مقدورها أن تواجه النزو إذا قامت بهجوم مضاد في كل نقطة استراتيجية وتكتيكية . ولكن فرنسا اليوم كانت غير فرنسا التي قامت في أغسطس سنة ١٩١٤ تهاجم عدوها القديم . وكانت روح الثأر قد انطلقت لديها بالنصر الذي أحرزته . وكان القادة الذين حققوه قد فارقوا الحياة منذ زمن بعيد . وكان الشعب الفرنسي قد أدرك معركة راح ضحيتها نحو مليون ونصف من خيرة رجاله . وكانت الأعمال الهجومية عند الفرنسيين مقترنة بفكرة القتل الأول التي أصاب هجومهم سنة ١٩١٤ والقتل الثاني الذي أصاب الجنرال نيفيل سنة ١٩١٧ وما قاسوا من الآلام الطويلة في هجومى السوم وباشنديل . وقد وقع في روعهم أن قوة النار الضاربة للأسلحة الحديثة تكون مدمرة للهجوم . ولم يكن في فرنسا ولا في بريطانيا فهم واقى للحقيقة الجديدة . وهى أن السيارات المدرعة تستطيع أن تقف أمام نيران المدفعية وتقدم مائة ميل في اليوم . ولم يلق الكتاب التيم الذي صدر في هذا الموضوع باسم رجل يسمى القومندان دييجول أى اهتمام . وكانت سلطة الريشال المجوز بيتان في مجلس الحرب الأعلى قد طفت على الفكر العسكري الفرنسي . وسندت الطريق أمام سائر الأفكار الحديثة . ولم تشجع على قبول أية فكرة من الأسلحة الحديثة .

وقد طرقت أسماءها بعد الحرب حملات ضد سياسة خط ماجينو ولاشك أن هذه السياسة قد أوجدت عقلية دفاعية لدى الفرنسيين ومن التدابير الوقائية السديدة للدفاع من حدود تمتد إلى مئات الأميال أن يشاد أكبر عدد من السدود والحصون . وكان من الممكن إذا استخدم خط ماجينو استخداماً حسناً في خطة فرنسا الحربية أن يؤدي خدمة عظيمة لفرنسا .

وإذا نظرنا بين الاعتبار إلى أنه يكون سلسلة طويلة من نقاط الاندفاع ذات الأثر البالغ وكذلك الجيوب ويقف حاجزاً لأنها كن شاسعة من الجهة ليترك مجالاً لإعداد القوات الاحتياطية والمناورات الواسعة وإذا نظرنا كذلك إلى عدم التبادل

في عدد السكان بين فرنسا وألمانيا استطعنا أن نقرر أن إقامة خط ماجينو كان عملاً في متعنى الحكمة والسداد . ولعلنا لاندو الحقيقة إذا قلنا إن هذا الخط لم يمد على نهر ألز بصورة صحيحة . ولو امتد على طول هذا النهر لكان حصناً واقياً يستر لفرنسا تقوية جيشها المحجوى . ولكن الريشال يبتاع عارض هذا الامتداد ورأى وواقفه مجلس الحرب الأعلى على رأيه أن الأردن لا يمكن أن تكون ميداناً للمجوم لطبيعة أرضها .

ولما زرت ميتر سنة ١٩٣٧ شرح لى الجنرال جيرو الاعتبارات الهجومية لخط ماجينو ولكن آراءه لم تقفد ومن ثم كان خط ماجينو سبباً في «حجز عدد كبير من الجنود النظاميين للتدريين والفنيين ، كما أنه خلق نوعاً من التهدة في نظام الاستراتيجية العسكرية والوهمى القوى .

وقد اعتبرت السلاح الجوى سلاحاً قوياً في سائر العمليات الحربية وإذا نظرنا إلى النقص النسبى في إعداد الطائرات لدى الفريقين في ذلك الوقت . عرفنا أن تأثيرها قد بولغ فيه كثيراً . وقد اعتبر مجرد عامل في مرفقة تجمع الجيوش الكبيرة وطرق مواصلاتها عند الشروع في الهجوم . وعلى الرغم من أن إعداد الطائرات الألمانية في ذلك الحين كأعداد طائرات الحلفاء لم يكن كافياً للقيام بمثل هذا العمل فإن القيادة العليا الفرنسية قد أيقنت بأن فترة التهيئة خطيرة للغاية لا ينتظر من تدمير مراكز السكك الحديدية بسبب التفارات .

وقد دلت الظروف في السنوات الأخيرة على صحة الآراء التى أعرب عنها قادة السلاح الجوى حين أصبحت القوة الحربية عشرة أضعاف أو عشرين ضعفاً مما كانت عليه عند بدء الحرب .

من الفكات التى تدور على الألسنة في بريطانيا أن وزارة الحربية تعتمد اليوم للحرب الماضية . وقد تصح هذه السمكة على بعض الوزارات وبعض البلاد . لكنها كانت سداقة تماماً بالنسبة للجيش الفرنسى وكنت أرى ميزة عظمتى للإجراءات الدفاعية إذا نفذت تنفيذاً عملياً . ولم أكن مستولاً ولم تتوافر لدى

المعلومات الكافية لأضع في حسابى فكرة دقيقة جديدة من كل حال . وكنت أدرك أن مذابح الحرب الماضية قد خلفت في نفوس الفرنسيين أثراً بالئاً ، وقد وجد الألمان فرصة سانحة لبناء خط سيحفر يد . وقد كان من الخطر أن نلقى بالهزيمة الباقية من الشبيبة الفرنسية في أون من النار والأسمت السلاح لكي نقتحم هذا الحصن . وكانت وجهة نظرى في هذه الحرب العالمية الثانية لا تختلف من الوجهة العامة من حيث الدفاع وكنت أعتقد أن السلاح الكافح للدبابات ومدافع اليدان في مقدورها إذا وزعت بطريقة سديدة وتوفر لها المتاد أن تثل حركة أية دبابات أو تحطمها تحطياً ، إلا إذا كان الظلام يحيا والضباب منتشرأ سواء أكان حقيقياً أو صناعياً .

ولا تتكرر المشا كل على حالها فيما تقرضه القدرة الإلهية على عبيدها وإذا تكررت فإن ما بينها من الفارقات تحول دون تميم الحكم عليها . وإذا لم يكن العقل البشرى موجهاً بمقربة استثنائية فإنه لا يستطيع أن يقف أمام الحقائق للقدرة التى طاش تحت أهبائها . وقد رأينا هتلر بعد ثمانية أشهر من التبدل من الجانبين يبدأ هجوماً عنيقاً شاملاً تتقدمه حشود كبيرة من السيارات ذات الفولاذ الذى لا تؤثر فيه المدافع لتناكته فتطمس سائر المقاومات الدفاعية وتجعل من للدمنية لأول مرة في تاريخها منذ اخترع البارود سلاحاً عاجزاً وقد قدر لنا أن نرى أن ازدياد القوة النارية ، قد قلل من عدد الضحايا فجعل في الإمكان الاحتفاظ بالأرض اللازمة بأقل عدد من الجنود بما أبعد المنصر الإنسانى عن الهدف .

وعلى أية حال لم يكن في مقدور الفرنسيين أن يقوموا بأى هجوم قبل انتهاء الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر . ولكن قوة المقاومة البولندية كانت قد انتهت في ذلك الوقت وفي منتصف شهر أكتوبر كان الألمان قد حشدوا سبعين فرقة في الجهة الغربية ومن ثم لم يكن للتحقق السددى الفرنسى أى أثر .

وإذا قام الفرنسيون بهجوم في جبهتهم الشرقية نمرت جبهتهم الشمالية وهى أكثر أهمية وأشد حيوية من الأولى . وحتى إذا أحرزوا نصراً في البداية فلن ينفضى شهر حتى يجدوا أنفسهم غير قادرين على المحافظة على الأماكن التى احتلواها .

أضمت مما كان متوقفاً فإن هذا الخط سيكون مقدمة طيبة للدخول إلى ألمانيا والاشراف على منطقة الروهر الحيوية للاحتياج الألماني الحربى .

ويقول رؤساء أركان الحرب « إن الخطة الفرنسية التى تدعى خطة « د » قاتمة على أن البلجيكين إذا استطاعوا الاحتفاظ بمحوض نهر الوز فإن على الجيوش الفرنسية والبريطانية أن تسجل باحتلال خط جيفيت — نامور وتمثل القوات البريطانية فى الناحية اليسرى .

وليس من المقول تنفيذ هذه الخطة ما لم يكن البلجيكيون قد اشتركوا فى وضعها فى وقت كاف قبل بدء الزحف الألمانى . وإذا لم يتغير موقف بلجيكا الحالى وتوضع الخطط اللازمة لاحتلال خط جيفيت — نامور الذى يسمى أحياناً بخط الوز — انقورب فى وقت مبكر . فالتأخر بصفة قاطعة أن علينا أن نواجه الزحف الألمانى فى مواقع ندها فى وقت مبكر على الحدود الفرنسية نفسها .

وفى السابع عشر من نوفمبر اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى وقد اسطحب المستر تشمبرلين معه اللورد هاليفاكس واللورد شاتفيلد والسير كينجلى وود . واتخذ القرار على الصورة الآتية : « للأهمية القصوى التى نلقها على بقاء الألمان فى أقصى نقطة إلى الشرق ، ليتجه بذل كل محاولة للمحافظة على خط الوز — انقورب إذا تعرضت بلجيكا للغزو الألمانى » وقد تمسك المستر تشمبرلين والسيو دلاديه فى هذا الاجتماع بأهمية هذا القرار ومن ثم أصبح لهذا القرار التأثير على العمليات الحربية . وهكذا أمضينا فصل الشتاء وأخذنا ننتظر الربيع . وفى خلال الأشهر الستة التى انقضت بين هذا القرار وبين الكارثة الألمانية لم تتخذ أية قرارات ذات أهمية استراتيجية من أركان الحرب البريطانيين والفرنسيين .



وأضمت الحملة البريطانية الربيع والشتاء وهى تمتد مواقعها وتقوى خطوطها واستعداداً للحرب هجومية أو دفاعية . وقد اشترك الجميع فى هذا الإعداد من أكبر ضابط إلى أسنر جندى . وكان المظهر العظيم الذى ظهرت به الحملة راجعاً إلى حسن استغلال الفرص فى الشتاء وكان الجيش البريطانى فى نهاية مرحلة بوادر الحرب أعظم مما كان عليه

اذ سيقع مشيرون بصفتهم الخاصة للهجوم المضاد الذى يشنه الجيش الالمانى مجتمعاً من الشمال . هذا هو الرد على سؤال كثيراً ما تردد على الازهان وهو « لماذا ظلمت ساركين حتى تم ندمير بولندا ؟ » لقد تقرر الأمر فى هذه للمركة منذ سنوات . وكانت هناك فرصة طيبة للنصر سنة ١٩٣٨ . و تشيكوسلوفا كيا قائمة . وفى سنة ١٩٣٦ لم يكن هناك شك فى مقاومة فمالة وكان فى استطاعة ممصبة الأمم سنة ١٩٣٣ . أن تخضع الالان دون حاجة إلى سفك الدماء . ونحن لا نستطيع أن نلوم الجنرال جملان وحده لأنه فى سنة ١٩٣٩ لم يجازف بالحد من هذه الحال التى ازداد خطرها منذ الأزمات السابقة التى تراجعت أمامها الحكومتان البريطانية والفرنسية .

ما عسى أن تكون احتمالات الهجوم العام الذى يشنه الألمان على فرنسا ؟ هناك ثلاثة طرق . الأول : أن يقوم الهجوم من جهة سويسرا حول الجناح الجنوبى لخط ماجينو ولكن عقبات كثيرة جغرافية و استراتيجية تحول دون ذلك . والثانى أن تنزى فرنسا من الحدود المشتركة بين البلدين . ولم يكن هذا مقوقاً فإن الجيش الالمانى لا يملك المعدات والأسلحة اللازمة لاختراق خط ماجينو والثالث غزو فرنسا عن طريق بلجيكا وهولندا . وهجوم مثل هذا يمكن أن يتجنب خط ماجينو ويجب القيادة الألمانية الحسائر للتوقمة من هجوم عجايب على تحصينات منمية موطدة الأركان . ولم يكن فى مقدورنا أن نصد هجوما خاطفا على الأراضى المنخفضة وزده من هولندا . وإن كان من صالح الحلفاء وقفه إذا أمكن من بلجيكا . وكان أمام الحلفاء خطان إذا سمحت بلجيكا بأن يقدموا نحوها بناء على خطة سرية .

الخط الأول هو ما يدعى بخط « الشلث » ولا يبعد كثيراً عن الحدود الفرنسية وليس فى الوصول إليه مناصرة . ونستطيع الاحتفاظ به « كجبهة خيالة » على أسوأ احتمال أما فى أحسن الاحتمالات فأننا نستطيع أن نشيده ونبنيه وفق ما تدعو الحال .

أما الخط الثانى فإنه أكثر إغراء فهو يسير مع هر الموز من جيغيت ودبنات ونامور ولوفين إلى انخرب . وقد يتوقف الجناح الأيمن للاثزو الالمانى إذا أمكنت السيطرة على هذا الخطر فى مارك هنيقة . وإذا ثبت بمد للمركة أن الجيوش الالمانية

عند بدايتها . كما كان أكبر عدداً وعدة . ولكن كانت هناك ثغرة في نظامنا الذي سبق الحرب وهي أن الحلة البريطانية في فرنسا لم يكن لديها فرقة مدعومة . فبريطانيا أم الدبابات بسائر أنواعها . قصرت في تقديم هذا السلاح في الفترة ما بين الحربين وهو السلاح الذي كان له أكبر شأن في ميادين القتال . ولم يكن في حوزتنا بعد مرور ثمانية أشهر على إعلان الحرب ، مع جيشنا الصغير وال ممتاز رقم صفه في الساعة الحرجة إلا كتيبة الدبابات التي تشمل سبع عشرة دبابة خفيفة ومائة دبابة مشاة يحمل ثلاث وعشرون منها المدفع حيار رطلين .

وتسكن في الباقية يحمل المدافع الرشاشة . وكان هناك سبعة أنواع من الخيالة والفرسان المجهزة بالمدافع المنقولة والدبابات الخفيفة . وهي في طريق إعدادها في صورة لواءين مدرعين .

ولم تكن الأمور على الجبهة الفرنسية أحسن منها عندنا . ففي الجيش القائم على أسس التجنيد القوي ، يكون لأراء الشعب أثرها البالغ . لاسيما إذا كان الجيش مقبلاً في أرض الوطن . وكانت الصلة بينه وبين أفراد الشعب وثيقة العرا . ولا نستطيع أن نقول إن فرنسا في سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ واجهت الحرب بثقة أو بروح معنوية رفيعة . وكان ما يحيط بالسياسة الداخلية من قلق وريب في الفترة المصروفة قد خلق حالة من الفقرة والسخط . فثمة عناصر ذات أهمية اتجهت إلى الفاشية كرد فعل للشيووعية النفشية وكانت هذه العناصر تصنى إلى دعاية جوبلز الماهرة . وتحفظها وتنشرها بمختلف الطرق من همسات وشائعات . وهكذا كانت الشيوعية والفاشية كل منهما يقوم بدوره في التأثير على الجيش . وقد أتاحت أشهر الانتظار الطويلة في الشتاء الفرصة لشتر هذه السموم .

وثمة عوامل كثيرة تشترك في رفع بناء القوة المعنوية في أي جيش من الجيوش . وأهم هذه العوامل أن يستخدم الناس بصورة كاملة في أعمال نافعة . والبطالة تربة صالحة لخطر . وكانت في الشتاء أعمال كثيرة تحتاج إلى عناية . وكان التدريب يحتاج إلى اهتمام والوسائل الدفاعية لم تكن بحالة مرضية . حتى خط ماجينو نفسه كان في حاجة إلى بعض أعمال الميدان الإصلاحية لأن الكفاية الجسدية تحتاج إلى تدريب .

وكان كل من يزور الجبهة الفرنسية تتربيه الدهشة لتلك الهدوء السيطر عليها والصورة السيئة للعمل الذي يجري بها . وقد نادى التشاؤم بكافة أنواعه بين الفريقين . وكان عجيبياً خلو الطرق من وراء الخطوط بالمقارنة بالحركة الداعية التي تمتد أميالاً وراء القطاع البريطاني .

وما من شك في أن كفاية الجيش الفرنسي قد تأخرت خلال فصل الشتاء ولو قاتل في الخريف النصر لمكان قتاله أعظم منه في الربيع وقد قضى سريعاً على هذا الجيش بالدمار أمام القوات الألمانية المكتسحة الخاطفة . ولم ترتفع روح الجندي الفرنسي وماله من كفاية إلى الظهور إلا في المراحل الأخيرة من تلك الحملة القصيرة حين أصبح في حاجة ملحة للدفاع عن أرض بلاده ضد عدوه اللعوب ولكن كان الوقت قد فات .

وقد تأكد ما كان يساور قسماً من المخاوف بالنسبة للجبهة الغربية فقد صدرت الأوامر إلى ضابط من أركان حرب الجيش الألماني من الفرقة الجوية السابعة بأن يعمل وتأتي هامة إلى مقر القيادة العامة في كولون وقد فاته القطار فقرر السفر بالطائرة . وأخطأت طائرته عند خط الحدود الفاصل فنزل اضطراراً في الأرض الباجيكية فاعتقلته القوات الباجيكية واستولت على أوراقه التي حاول عبثاً أن يبددها . وقد اشتملت هذه الوثائق على الخطة الكاملة لغزو بلجيكا وهولندا وفرنسا وهي الخطة التي ضمها هتلر . وقد أطلق سراح « الميجور » الألماني ليمود إلى رؤسائه ويوضع لهم ما كان ، وقد نقلت إلى تفاصيل الحال في وقتها . ولم أكد أسدق أن البليجيكيين يضمنون خطة ويشركونها فيها . وكان ثمة حوار بين البلاد الثلاث . في هل تكون هذه الخطة قد وضعت للخداع والتضليل . وهذا الاعتقاد خاطئ إذ لم يكن هناك ما يدور الآن لايهام البليجيكيين بخطة تهمهم في تمام الأهبة مع الجيوش الفرنسية والبريطانية وقد أيقنت بوقوع هذا النزو .

وطلبنا إلى البليجيكيين أن يتعاونوا معنا في هذا الأمر ولكن ملك باجيكا وقادة جيشه فضلو الانتظار فربما حدث ما يغير الأمور ويحولها إلى مصلحتهم . وعلى الرغم من الوثائق التي صهبت مع « الميجور » الألماني . فإن قيادة الحلفاء أو الدول المهددة

لم نعلم بأي عمل ، أما هتلر بعد أن تأكد من مصادرة الوثائق وهي في الحقيقة وثائق
الغزو كاملة ، فقد استدعى جورنج . وأمره بإعداد خطة جديدة بعد أن أنهى وغضب
عليه غضباً شديداً .

ولو كانت السياسة البريطانية والفرنسية في السنوات الخمس السابقة للحرب قد
صممت على المحافظة على قداسة الماهدات وتمسكت بقرارات عصبة الأمم . لو فقت
بلجيكا إلى جانب حلفائها الأقدمين وصمحت بإقامة جبهة مشتركة معهم . ولو تم ذلك
لكان حصناً قوياً على طول الخطوط البلجيكية المقدمة إلى البحر ضد حركة
الالتفاف الخطرة التي كادت تطيح بنا سنة ١٩١٤ والتي أطاحت بفرنسا سنة ١٩٤٠
وما كانت بلجيكا ترى مصيراً كالذي رآته على أسوأ الاحتمالات .

ونحن إذا استعرضنا الأمر ونظرنا إلى ازواء الولايات المتحدة والحاح المستر
ماكدونالد في حملة نزع سلاح فرنسا وما لاقيناه من الازلال والنكسة من تعدد
حوادث خرق الألمان بنود الماهدة في منطقة الراين وتسليمتنا بالاستسلام على النما
وميثاقنا في ميونخ وقبولنا احتلال الألمان براج . فأننا لا نجد لأى شخص من
المستولين في بريطانيا وفرنسا في تلك الأيام مبرراً لولم بلجيكا . فقد فضل البلجيكيون
أن يتبعوا سياسة الحياد في وقت سيطرت عليه سياسة التردد والخذلان وتملقوا .
بالأمل الواهن في قدرتهم على أن يقفوا في وجه الألمان النزاة أمام حدودهم الحصينة .
حتى تصل إلى نجدتهم الجيوش البريطانية والفرنسية .

اسكاندينافيا — فنلندا

إن لشبه الجزيرة الممتدة إلى ألف ميل من مدخل بحر البلطيق إلى الدائرة القطبية أهمية استراتيجية ذات أثر كبير . وتمتد جبال النرويج إلى المحيط في امتداد من الجزر وبين هذه الجزر ممر من المياه الإقليمية ييسر لألمانيا الاتصال بالبحار الخارجية مما يمرض حصارها البحري لخطر كبير . وكانت تعتمد صناعة ألمانيا الحربية بصورة رئيسية على ما تستورده من مسحوق الحديد السويدي الذي يصل إلى ألمانيا أيام الصيف من ميناء لوليا السويدي في رأس خليج بوتنيا . وفي الشتاء عند ما تتجمد مياه الخليج من نارفيك على الساحل الشمالي الغربي من النرويج . والاحتفاظ ببحرمة هذه الخليجان معناه السماح بدوام هذا الاتجار تحت ستار الحباد وتمحى تفوقنا البحري . وقد كانت هذه الميزة مثار قلق عند الأميرالية ومن ثم فقد رأيت أن أثير هذا الموضوع في اجتماع وزارة الحرب في أول فرصة تتاح لي .

وقد استقبلت هذه القضية التي أثيرتها استقبالا طيباً في أول الأمر وأحس سائر الزملاء بمخاطرة الأمر ولكن احترام حياد الدول الصغيرة كان مبدأ تمسك به جميعاً . وقدمت في سبتمبر بناء على طلب زملائي مذكرة عن الموضوع اشتملت على الدراسة الدقيقة التي قامت بها الأميرالية . وشغفتها بأرقام عن حمولة البواخر المحايدة التي لها صلة بهذا الموضوع . وقد رأيت موافقة عامة من الزملاء على الحاجة إلى العمل ولكي لم أجد موافقة على القيام بالعمل . وكانت الحجة التي قدمتها وزارة الخارجية قوية ولها قيمتها فلم أستطع أن أقومها . ومع ذلك فقد استمر نقالي في هذا الشأن بكل الطرق ولم يتخذ القرار الذي طلبت اتخاذه . في سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلا في أبريل سنة ١٩٤٠ بعد أن فات أوانه .

وكانت نتيجته أنظار الألمان الألمان كما عرفنا إلى نفس الاتجاه . وقدم الأميرال ريدبر رئيس أركان البحرية الألمانية في الثالث من أكتوبر اقتراحاً لي هتلر عنوانه « كسب القواعد في النرويج » وطلب فيه « إن يعرف النرويجي رأي أركان حرب

البحرية في مد قواعد العمليات البحرية إلى الشمال . والتأكد فيها إذا كان في الإمكان كسب قواعد و الترويج تحت ضغط مشترك من روسيا وألمانيا لتحسين الأوضاع العملية والاستراتيجية » وقدم عدد من المذكرات إلى الفوهرر في الماشر من أكتوبر ويقول في هذه المذكرات أبدت بصورة مؤكدة ما يتلنا من إصرار إذا استولى البريطانيون على الترويج فهذا الاستيلاء سيجعلهم متحكمين في مداخل بحر البلطيق ومن ثم يستطيعون الالتفاف حول منطقة عملياتنا البحرية وحول قواعد غاراتنا الجوية على بريطانيا . وإنهاء ضغطنا على السويد وقد أكدت المزايا التي نحصل عليها باحتلال ساحل الترويج فهو يحفظ لنا منفذاً إلى شمال الأطلسي ويعم بريطانيا من وضع سد من الألغام كما فعلت سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ » .

وقد زكى هذا الرأي روزنبرج خبير الحزب النازي في الشؤون الخارجية والذي يقوم بإدارة مكتب للنشاط الدعائي في البلاد الأجنبية . وكان يحمل « دعوة سكندينايفيا إلى فكرة تقضى بضم المجموعة النوردية التي تشمل شعوب الشمال تحت زمامة ألمانيا بصفة طبيعية .

وكان في بداية سنة ١٩٣٩ قد وجد في الحزب الوطني المتطرف في الترويج الذي يتزعمه شخص يدعى فيدكون كويز لنج أحد وزراء الحربية السابقين ، أداة خيل له سلاحيتها ، وقد اتصل بكويز لنج . فتم ارتباط حزبه بخطط القيادة البحرية الألمانية عن طريق منظمة . روزنبرج والملحق البحري الألماني في أوسلو . وحل كويز لنج ومساعداه هكلين إلى رلين في الرابع عشر من شهر ديسمبر فذهب بهاريدر إلى هتلر لبحث فكرة توجيه ضربة سياسية في الترويج . ووصل كويز لنج ومعه خطة مفصلة ليرضها على هتلر ولكن هتلر أعلن رفضه زيادة التزاماته عن سبيل التكتّم وقال إنه يفضل أن تظل اسكندينايفيا على الحياد . وعلى الرغم من ذلك أصدر في نفس اليوم أوامره إلى القيادة العليا بإعداد الخطة لعملية الترويج .

ولم نكن بالطبع نعرف شيئاً عن كل هذا .

وفي إبان ذلك تحولت شبه جزيرة اسكندنافيا إلى ميدان جديد للنضال . كان له أكبر الأثر في إثارة النفوس في بريطانيا وفرنسا وكان له أثره القوي في محادثات حول الترويج .

فقد أدت « موانئ المساعدة المتبادلة » . التي عقدها ستالين مع استونيا ولااتفيا وليتوانيا ، إلى احتلال هذه البلاد وتدميرها وأصبح الجيش الأحمر والقوة الجوية السوفياتية يقفان سدا في طريق الدخول إلى الاتحاد السوفياتي من جهة الغرب أو بحر البلطيق . وقيمت الطريق من جهة فنلندا .

وفي شهر أكتوبر سافر إلى موسكو المستر باسكي في أحد الساسة الفنلنديين الذين وقعوا معاهدة الصلح مع الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٢١ . وكانت مطالب السوفيات كثيرة . أهمها ضرورة دفع الحدود الفنلندية في كاريليا إلى الوداء مسافة بعيدة حتى تكون مدينة لنتبراد بمنأى من فيران المدافع المادية وتسليم عدد من الجزر الفنلندية في خليج فنلندا إلى الاتحاد السوفياتي وتأجير ميناء فنلندا الوحيد الذي لا تنجمد مياهه في المحيط المتجمد الشمالي وهو ميناء بنسامو وتأجير ميناء هانفو الذي يقع في مدخل خليج فنلندا ليكون منها قاعدتان بحريتان لجوئتا لاروس وكان الفنلنديون مستعدين للتساهل في كل شيء ماعدا النقطة الأخيرة فإذا استولى الروس على مداخل الخليج من الجانبين هددت سلامة فنلندا القوية والاستراتيجية . وفي الثالث عشر من نوفمبر انقطعت المفاوضات ، وأخذت الحكومة الفنلندية تعبئة قواتها . وقد أعلن مولوتوف إلغاء معاهدة عدم الاعتداء مع فنلندا في الثاني والعشرين من نوفمبر ولم يرض يومان حتى قام الروس بهجوم على فنلندا من ثمانى جهات على طول حدودها التي يبلغ طولها ألف ميل . وقام السلاح الجوي السوفياتي بضربه هلسنكي من الجو .

واشتد الهجوم الروسي بادية الأمر على الحصون الدفاعية التي أقامها الفنلنديون في كاريليا . وتمتد عشرين ميلا شمالا وجنوبا وفي منطقة تنطليها الغابات القائمة وسط الثلوج وقد أطلق على هذه التحصينات اسم خط مانراهيم نسبة إلى الريشال مانراهيم القائد الأعلى للجيش الفنلندي الذي ألقه فنلندا من المبودية البلشفية سنة ١٩١٧

وقد عم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بصفة خاصة سنخط شديد استنكارا لهذا الهجوم الذى تقوم دولة كبيرة كالاتحاد السوفياتى ضد شعب متمدنى حتى دون أى استفزاز تلاء موجة من الدهشة والارتياح . حين مرت الاسابيع الأولى من القتال ولم تحرز فيها القوات السوفياتية أى نجاح .

وقد برهن الجيش الفنلندى الذى لا يتجاوز عدده مائى ألف جندى من بطولة نادرة . وقد قوبلت الهجمات بمزيمة وجلاد واستعملت ضدها القنابل اليدوية التى سميت « كوكبيل مولوتوف » .

وهل الاتحاد السوفياتى قد ظن بادىء الأمر أن زحفه سيكون أشبه بالنزعة منه بالقتال . إن النارات الجوية التى وقمت على هلسنكى وغيرها من المدن وإن لم تكن عنيفة ستوقع الرعب فى قلوب الفنلنديين وعلى الرغم من تفوق القوات السوفياتية من ناحية العدد فقد كانت تنقصها الكفاية وحسن التدريب وكان من جراء النارات الجوية والهجوم الذى تعرضت له فنلندا أن هب الفنلنديون ضد المعتدين وقاتلوا بجملد وعزم ومهارة بالغة ، وقد دل هجوم النازة على أواسط فنلندا على دمار ماحق حل بالنزاة . فهذه المنطقة تتسكون من غابات من الصنوبر قائمة على أرض منبسطة تغطيها الثلوج وكان البرد شديدا ، وقد استمد الفنلنديون بالزحافات والملابس الدفئة بينما حرم الروس منها وأثبت الفنلنديون جدارات قائمة فى الحرب . وقد دربو أحسن تدريب على أعمال الاستطلاع وحرب المنايات . وكان الروس يعتمدون بنير جدوى على تفوقهم من ناحية الددو والاسلحة الثقيلة وتراجعت القوات الفنلندية الامامية شيئا فشيئا إلى الوراء والروس يتبعونها بمجنودهم وبعد أن توغل الروس حوالى ثلاثين ميلا هاجمهم الفنلنديون وقد توقفت سفوف النزاة أمام الخطوط الدفاعية التى كان قد أقامها الفنلنديون فى المنايات فالتفوا حول أجنتحتها وقطعوا مواصلاتها مع المؤخرة وزرقوها شر ممزق ، وأرغوها على النكوص أبعد أن حلوها خسائر باهظة وفى نهاية شهر ديسمبر كانت الخطة التى وضعتها الروس للزحف على فنلندا قد فشلت وحل بها الدمار .

ولم يكن هجومهم على خط مانرهايم بأحسن حالا من هذا الهجوم فى أوائل شهر

ديسمبر قام الروس بهجوم استخدموا فيه نحو اثنى عشرة فرقة . وقد واسلوا اندفاعهم المتتابع طوال الشهر . ولم تأت نهاية العام حتى كانت القوات السوفياتية قد منيت بفشل ذريع اقتنمت بدمه بأنها في معركة مع خصم أشد مما كان يدور في حسابها . وقررت أن تقوم بهجوم كبير شامل ولكن مثل هذا الهجوم يحتاج لإعدادا واسع النطاق لذلك خفت وطأة القتال على الجبهة الفنلندية بمد انتهاء العام . وقد ظفر الفنلنديون بانقصار باهر على عدوهم القوي الشديد . وقد قوبل هذا الحادث المعجب بالرضا والاعتباط في سائر أنحاء العالم مواء بين المحاربين والمحايدين . فقد كانت هذه المعركة دليلا قويا على انحطاط قوة الجيش السوفياتي . وكان الكثيرون من البريطانيين يهين بعضهم بعضا . ولم نكن قد بلغنا في محاولة اقناع السوفيات بالانضمام إلى صفوفنا . وإن كانوا ظلوا يشيدون بقواتهم ويعلمون عن بمد نظرم وقد استنتج الكثيرون أن الجيش الأحمر أصابته في صميمه حركات الاطهير . وقد قام الدليل واضحا على فساد نظام الحكم والمجتمع . ولم يقتصر هذا الرأي على البريطانيين وحدهم فلاشك أن هتلر وقادته العسكريين قد فكروا كثيرا في نتائج الحملة الفنلندية وقد لعب هذا التفكير دورا كبيرا في آراء الفوهرر .

وقد اشتد السخط الذي شمر به الجميع ضد الحكومة السوفياتية لتفقد ميثاق رينتروب مولوتوف واشتعلت نيرانه بمد هذا العدوان الوحشي . وقد اقترن بالاحتقار والازارية لمعز القوات السوفياتية والحاسمة للفنلنديين الشجعان . وعلى الرغم من اشتباه كنا في حرب عظلى فقد كانت لنا رغبة شديدة في مساعدة الفنلنديين بتزويدهم بالطائرات والمواد الحربية الثمينة والمتطوعين من بريطانيا والولايات المتحدة وحتى فرنسا ولم يكن هناك غير طريق واحد لارسال المدات والمتطوعين إلى فنلندا . وكان ميناء نارفيك النرويجي المصدر لزيادة الحديد والذي يتخذ من طريق السكة الحديدية عبر الجبال بمناجم الحديد السويدية مركزا له أهميته الاستراتيجية . وكان استخدامه قاعدة لتكوين الجيوش الفنلندية له أثره على حياد السويد والنرويج وكنا نشدان خشية ألمانيا وروسيا البقاء خارج نطاق الحرب التي تحيط بهما من كل جانب وقد تشملهما في أية لحظة . وخيل لهما أن الحياد هو الطريق الوحيد للنجاة وإذا كانت

الحكومة البريطانية مترددة في القيام بأى عمل يعد خرقاً لحياذ المياه الإقليمية النرويجية بزرع الألغام في مداخل هذه المياه لحرمان الألمان من استخدامها ، فقد قامت بناء على عاطفة شريفة لا تتصل اتصالاً مباشراً بنضالنا الحربى لطلب إلى السويد والنرويج السماح بمرور الجنود والمؤن إلى فنلندا .

وكنت أعطف عطفاً شديداً على الفنلنديين . وأؤيد كل اقتراح يدعو إلى مساعدتهم فقد رحبت بهذه الخطوة كوسيلة لتحقيق الهدف الاستراتيجى القصور بقطع شحنات برادة الحديد الحويوية عن ألمانيا فإذا أصبحت نارفيك بأية حال من الأحوال قاعدة للحلفاء ، يموتون منها الفنلنديين فسيسهل علينا بلا شك منع البواخر الألمانية من حمل الحديد من الميناء والرور به من الخابجان إلى ألمانيا . وإذا كنا نستعمل احتجاجات النرويجيين والسويديين مرة لسبب من الأسباب فإن الأعمال العسكرية ستضيق إلى جانب الإجراءات الصغيرة التى أثارته هذه الاحتجاجات . ولهذا أعدت في السادس عشر من ديسمبر محاولاتى السابقة للحصول على موافقة الوزراء على عمل بسيط لا تهرق فيه الدماء ويقضى بوضع الألغام في خابجان النرويج .

ودرست وزارة الحرب مذكرتى في الثانى والعشرين من ديسمبر . ودافعت عن فكرتى في بكل ما أستطيع من قوة ولكننى لم أسل إلى قرار بالعمل . وتقرر إرسال احتجاجات بالطرق الدبلوماسية إلى النرويج لاستمالة مياها الإقليمية . وكلف رؤساء أركان الحرب بدراسة النتائج العسكرية التى تنشأ عن أية الترامات على الأرض الأسكندنافية وطالب إلى رؤساء أركان الحرب أن يمدوا خطة لإزالة قوة في نارفيك لمساعدة فنلندا والد على احتمال قيام الألمان باحتلال جنوب النرويج » ولكن لم يكن من الممكن إصدار أوامر تنفيذية إلى الاميرالية وكنت قد وزعت على زملائى مذكرة في الحادى والعشرين من شهر ديسمبر تلخصت فيها تقادير الخابرات التى يبدو منها احتمال وجود مشروع روسى لنزو النرويج . وتقدريل إن الروس حشدوا ثلاث فرق في مورمانسك متهيئة لحلة عن طريق البحر وأنهيت الكلام بأن « هذا المسرح قد يصبح في القريب مركز العمليات العسكرية » وقد تبين صدق ما أقول . ولكن العمليات الحربية جاءت من ناحية أخرى .

وَمَا كَانَ يَشْفَلْنِي وَجُوبِ الْاِسْتِغْلَاءِ عَلَى «الْتَمَارِك» وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْبَحْرِيَّةُ الْمُسَاعِدَةُ لْجِرَانِ شَبِي - لِأَسْبَابِ أَنَّ هَذِهِ الْبَاخِرَةَ كَانَتْ سَجْنًا ثَمًّا عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ لِبَعَارَةِ بَوَاخِرَتَا التَّجَارِيَةِ الَّتِي أَغْرَقْنَاهَا جِرَانِ شَبِي . وَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ بِحَارَتِنَا الَّذِي أُطْلِقَ مِرَاحَهُمْ فِي مَنْتَدِيهِ طَبَقًا لِقَانُونِ الدَّوْلِ أَنَّ هُنَاكَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ مِائَةِ بِحَارٍ بِرِيطَانِيٍّ مِنْ بِحَارَةِ السَّفِينِ التَّجَارِيَةِ كَانُوا عَلَى ظَهْرِ التَّمَارِكِ . وَقَدْ احْتِطَاعَتْ هَذِهِ الْبَاخِرَةُ أَنْ تَخْتَفِيَ فِي جَنُوبِ الْأَطْلَنْطِيِّ شَهْرَيْنِ كَامِلَيْنِ . وَلَمَّا تَأَكَّدَ رِيَابُهَا بِأَنَّ الْبَحْثَ عَنْهَا قَدْ أَهْمَلَ حَاوِلَ الْمَوْدَةِ إِلَى أَلْمَانِيَا . وَقَدْ كَانَ الْحِظُّ مُسَاعِدًا لَهَا فِي الْمَوْدَةِ وَقَدْ شَاهَدَتْ إِحْدَى طَائِفَاتِنَا الْبَاخِرَةَ فِي مِيَاهِ الرُّوَيْجِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ فِرَابْرِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي بِلَاغِ صَدْرٍ مِنَ الْأَمِيرَالِيَّةِ « أَنَّ الْأَوَامِرَ قَدْ صَدَرَتْ لِمَدَدٍ مِنَ الْقِطْعِ الْبَحْرِيَّةِ لِتَتَحَرَّكَ نَحْوَهَا » وَتَقَدَّسَتْ بِمَجْرَمَةٍ مِنَ الْمَدْمَرَاتِ بِقِيَادَةِ الرِّبَانِ فِيلِيْبِ فَيَانِ عَلَى ظَاهِرِ مَدْمَرَتِهِ طَرِيقَ الْبَاخِرَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَلَمْ تَسْرِعْ بِاطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهَا ، فَالْتَجَأَتْ الْبَاخِرَةُ إِلَى خَلِيجِ جُوسِيْنِيْجِ . وَهُوَ مَرْمَرٌ ضَيِّقٌ طَوْلُهُ مِيلٌ وَنِصْفٌ مِيلٌ عَلَى الْقُرْبِ ، وَتَحْوِلُهُ الْجِبَالُ التَّلُجْبَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَصَدَرَ الْأَمْرُ إِلَى مَدْمَرَتَيْنِ بَرِيطَانِيَّتَيْنِ بِتَفْتِيْشِ الْبَاخِرَةِ وَلَسَكَنِ زُورَقَيْنِ مُسَلَّحَيْنِ أَبَانَهُمَا أَنَّ الْبَاخِرَةَ لَيْسَتْ مُسَلَّحَةً وَأَنَّهَا قَتَشَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَصَرَحَ لَهَا بِأَنَّ تَمُودَ إِلَى أَلْمَانِيَا عَنْ طَرِيقِ الْمِيَاهِ الرُّوَيْجِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ انْتَسَبَتِ الْمَدْمَرَتَانِ الْبَرِيطَانِيَّتَانِ .

فَلَمَّا بَلَّغَتْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ إِلَى الْأَمِيرَالِيَّةِ تَدَخَّلَتْ فِي الْحَالِ وَأَصْدَرَتْ الْأَوَامِرَ بِمَدِّ مَوَاقِفَةِ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ - بِاتِّفَاقِ الْخَلِيجِ . وَنَفَّذَ الرِّبَانُ فَيَانِ الْأَمْرَ وَدَخَلَ بِمَدْمَرَتِهِ « كُوزَاك » إِلَى الْخَلِيجِ فِي الْمَسَاءِ تَقْدَهُهُ الْأَنْوَاءُ السَّكَاشِفَةُ . ثُمَّ صَدَدَتْ إِلَى الْأَزْوَاقِ الرُّوَيْجِيِّ الْمُسَلَّحِ « كَيْجِل » وَطَلَبَ إِلَى قَائِدِهِ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْهِ « التَّمَارِك » تَحْتَ حِرَاسَةِ بَحْرِيَّةٍ مُشْرَكَةٍ نَحْوِ مِيْنَاءِ « يِيرْجِن » لِتَتَحَقَّقَ كَمَا يَقْضِي الْقَانُونُ الدَّوْلِي فَمَادَ الضَّابِطُ الرُّوَيْجِيُّ يَوْكُودَ أَنَّ الْبَاخِرَةَ الْأَلْمَانِيَّةَ قَتَشَتْ مَرَّتَيْنِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسَلَّحَةً وَلَيْسَ عَلَى سَطْحِهَا أَسْرَى مِنَ الْبَرِيطَانِيَّيْنِ . وَقَالَ « فَيَان » إِنَّهُ سَيَصْبُدُ إِلَى ظَهْرِ الْبَاخِرَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَطَلَبَ مِنَ الضَّابِطِ الرُّوَيْجِيِّ أَنْ يَصْعَبِهِ فَرَفُضَ .

وَفِي أَنْفَاءِ ذَلِكَ حَاوَلَتْ التَّمَارِكُ أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَصْطَلِمَ بِالْمَدْمَرَةِ « كُوزَاك » لِتَدْمِرَهَا

ولكنها لم تغلغ وصعد إلى ظهرها فريق من بحارة المدمرة بمد أن ربطوها إلى مدمرتهم وقامت معركة بالسلاح الأبيض قتل فيها أربعة من الألمان وجرح خمسة وفريق إلى البر واستسلم الباقون ثم بدأ البحث عن الأسرى البريطانيين فشرع بهم وهم مئات وكانت أفواهم مكمنة وقد أحكم وثاقهم وربطوا معاً ثم رجع بهم في المستودعات وبعضهم وضع في غزن كان يستعمل للبرترول وارتفع الحتاف مردداً « لقد قدم الأسطول » وفتحت الأبواب وخرج الأسرى إلى ظهر الباخرة وقد تبين أن « التمارك » كانت تحمل مدفعين صغيرين وأربعة مدافع رشاشة ، ولم يقم النرويجيون بتفتيشها وإن كانوا قد سعدوا على ظهرها ، وظل الوردقان النرويجيان يرقبان العمل من كنب طوال الوقت وعند انقضاء الليل غادر فيان الخليج النرويجي وأبحر نحو قاعدته .

وكنت مع الاميرال باوند تجلس في غرفة العمليات الحربية بالاميرالية والتلقن يساور نفوسنا ، وقد أصبحت على وزارة الخارجية في هذا وأنا أدرك خطورة الاجراءات التي تقوم بها ، ولكن هنا الأول كان العثور على الأسرى البريطانيين الذين كانوا في الباخرة وقد أمنت قلوبنا بالسرور حين وصلتنا الأنباء في الساعة الثالثة من الصباح بأنه قد تم العثور على ثلاثمائة أسير أنقذوا جميعا وهذا أمر له أهميته البالغة .

وكان هتلر قد قرر غزو النرويج كما قدمت في الرابع عشر من شهر ديسمبر . وكان ضباط أركان الحرب يضمنون الخطة تحت إشراف كايتل ولا شك أن حادث التمارك كان حافزا للألمان نحو العمل وفي عشرين من فبراير استدعى هتلر بناء على اقتراح من كايتل الجنرال قون فولكنهورست للحضور إلى برلين عاجلا وكان يقود الفيلق الثامن في كوبيلitz في ذلك الوقت وفولكنهورست هذا كان قد اشترك في الحملة الألمانية في فنلندة سنة ١٩١٨ فلما وصل اجتمع هو وهتلر وكايتل وبودل لبحث تفاسيل الخطة المطلوبة للحملة على النرويج وقد تقرر أن يسعد إليه بقيادتها وكان الاختلاف قائما على أي الجانبين يبدأ بها هل يقدم هتلر بنزو النرويج قبل تنفيذ خطة « الحقيبة الصفراء » للهجوم على فرنسا أو بعدها ؟ وفي اليوم الأول من شهر مارس صدر قرار هتلر بأنه يجب البدء بحملة النرويج . وقد عقد القوهرد مؤتمرا

عسكرياً بعد ظهر السادس عشر من شهر آذار وتقرر أن يبدأ الغزو في الشهر التاسع من شهر إبريل .



وفي أثناء ذلك كان السوفيات قد دفعوا قواتهم لتتقدم ضد الفنلنديين ، وضاعفوا الجهد لاختراق خط مانرهايم قبل ذوبان الثلوج . وقد تأخر الربيع الذي مول عليه الفنلنديون لسوء الحظ ستة أسابيع . وبدأ الهجوم السوفياتي الكبير في اليوم الأول من فبراير واستغرق اثنان وأربعين يوماً مصحوباً بفارات جوية عنيفة على المخازن والسكك الحديدية وراء الجبهة وقد استمر ضرب الدافع الثقيلة عشرة أيام بغير انقطاع قبل بدء هجوم المشاة . وقد اخترق السوفيات القطاع بعد خمسة عشر يوماً من القتال الشديد . واشتدت الغارات الجوية على قاعدة فيبورى . وفي نهاية الشهر كان خط مانرهايم قد تحطم واستطاع الروس أن يركزوا هجومهم على خليج فيبورى . وكان الفنلنديون قد بلغ منهم الجهد والنصب . وكادت تنفذ معداتهم الحربية .

وكان موقف الاستقامة والشرف الذي اتبعناه حائلاً دون الوصول إلى أى امتياز استراتيجى بمكفنا من إرسال المدات والذخائر إلى فنلندا بصفة جدية . أما فى فرنسا فقد بدأ شعور عميق بتناه مسيو دلاديه بنهاية وحاسمة . وفى اليوم الثانى من شهر مارس . ودون أن يستشير الحكومة البريطانية وافق على إرسال خمسين ألف مقطوع ومائة قاذفة قنابل إلى فنلندا . ولم يكن فى مقدورنا أن نفعل ما فعله الفرنسيون لاسيما أن الوثائق التى وجدت مع الضابط الألمانى فى بلجيكا والتقاير المتتامة عن حشد القوات الألمانية على الجبهة النربية كانت تجعل هذا العمل يهدأ عن الغل والسداد .

ومع ذلك فقد تقرر إرسال خمسين قاذفة بريطانية كذلك وقررت وزارة الحرب فى الثانى عشر من شهر مارس إحياء الخطط التى ترمى إلى إزائل قواتنا فى نارفيك وتروند هايم وإنباعها ينزول آخر فى سنا فنيجار وبرجيه كجزء من المساعدة الفنلندية التى ساقنا إليها الفرنسيون . وكان من المفروض أن تكون هذه الخطط مهيأة للتنفيذ فى العشرين من شهر مارس . على الرغم من أننا لم نتمكن من الحصول على

مواقفة السويد . ولكن الستر باسيكيني كان قد ذهب مرة ثانية في السابع من شهر آذار إلى موسكو للبحث في شروط الهدنة وفي الثاني عشر منه قبل الفنلنديون شروط مرسكو وقد ركزت جميع خططنا العسكرية التي كانت مهيأة للانزول في النرويج . وتفرقت القوات التي كانت قد جمعت لهذا الغرض . وتقرر إرسال الفرقتين القتين كندا ونحفظ بهما في انكلترا إلى فرنسا . أما قواتنا الصاربة التي كانت معدة للنرويج فقد نزلت إلى أحد عشر فوجا .

وقد أدى انهيار فنلندا إلى نتائج أخرى فقد اجتمع هتلر وموسوليني في الثامن عشر من شهر مارس بممر برينر . وأسر هتلر متمعدا إلى ضيقه بأن ليس هناك أي تفكير للقيام بهجوم برى المائي تجاه الغرب . وقد تحدث الستر تشمبرلين في التاسع عشر من شهر مارس ردا على حجة النقد التي وصلت إليه فقال مؤكدا - وكان على حق في تأكيده إن أهم ما كان يشغلنا هو المحافظة على حياد السويد والنرويج ودافع عن موقف الحكومة في عدم الدخول في محاولات لنجدة الفنلنديين باعتبارها عملا غير مجد ولا يأمل في نجاحه . وكانت هزيمة فنلندا ذات أثر بالغ على حكومة دلاديه الفرنسية التي كانت قد اتخذت خطوات واسعة لمساعدة فنلندا وإن كانت قد جاءت متأخرة وقد أتاح رئيسها بطريقة غير مناسبة هذه الناحية من متاعبها وفي الحادي والعشرين من شهر مارس فألفت وزارة جديدة برئاسة مسيو رينو وقد تمهدت بأن تبذل أكثر ما استطاع من قوة للقيام بما توجبه الحرب .

وكانت علاقات بالسيو رينو قائمة على أسس تختلف عن علاقات بالسيو دلاديه . فقد كان رينو وميندل كلاهما يشاركان في النوازع والشعور بالنسبة لاتفاق ميونخ . أما دلاديه فقد كان يقف إلى الناحية الأخرى . وجاء الوزراء الفرنسيون إلى لندن في الثامن والعشرين من شهر مارس لحضور اجتماع المجلس الحربى الأعلى . وانتزع الستر تشمبرلين الاجتماع بكلمة شاملة واضحة وصف فيها الموقف كإراء وقال إن لألمانيا ناحيتي ضئيف هما تمويها من برادة الحديد ومن البترول . وكانت النابع الرئيسية لهاتين المادتين تيمان في الطرفين المضادين من القارة الأوروبية . فبرادة الحديد تأتي من الشمال . وأخذ يشرح بسارة دقيقة قضية قطع تموين الحديد عن ألمانيا من السويد ثم تناول موضوع حقول البترول في رومانيا وبالكوالتي يجب أن يمنع تعاقبها

عن ألمانيا بالطرق الدبلوماسية إذا أمكن وكنت أصنى إلى تلك الحجج القوية بسرور بالغ وإرتياح وما كنت أعرف حتى ذلك اليوم مقدار ما يبني وينتشر برلين من الاتفاق الكثير في وجهات النظر .

وتحدث المسير ديتو عن أثر الدعاية الألمانية على الروح المعنوية في فرنسا . وقال « ان الدعاية الألمانية تعلن أن ليس لتاريخ أى اختلاف مع فرنسا وان الحرب لم تقم إلا بسبب ذلك » الاذن على نياض » الذى قدمته بريطانيا إلى بولندا وأن فرنسا سيقى إلى الحرب في إثر بريطانيا » أنها ليست على حال تمكنها من القتال .

وكانت سياسة جوبلز نحو فرنسا ترى إلى استمرار الحرب على هذا النحو الخفيف معتمداً على ما يئته من روح الخور ونشيط الهم بين الخمسة ملايين فرنسى الذين عبثوا في الجيش وعلى قيام حكومة فرنسية ترعب في الوصول إلى تقام مع ألمانيا على حساب بريطانيا المظلمى .

وقال : ان السؤال الذى يتردد في فرنسا هو كيف يتاح للحلفاء الفوز في الحرب ؟ فحسبة النزع على الرغم من الجهود البريطانية تزداد بسرعة إلى جانب ألمانيا لا إلى جانبنا .

فكيف وأنى لنا أن نحقق ذلك التفوق المنشود للقيام بعمل ناجح في الغرب ؟ وليس لدينا علم بما تملكه ألمانيا من المتاد الحربى ويسود فرنسا اعتقاد بأن الحرب قد وصلت إلى نقطة من الجلود وليس على ألمانيا إلا أن تنتظر . وإذا لم تقم بعمل حاسم لمنع تموين العدو بالذيت والمواد الأولية . فإن الشعور بأن الحصار ليس كافياً لتحقيق النصر للحلفاء سيزداد قوة » وكان يستجيب إلى وجوب قطع برادة الحديد من السويد ويؤكد وجود علاقة شديدة بين هذا التموين وبين ما تنتجه ألمانيا من صناعات الحديد والفولاذ . ومن ثم رأى أن لابد من زرع الألغام في المياه الإقليمية على طول الشاطئ الترويجى . والقيام بعمل مماثل لمنع نقل برادة الحديد من ميناء لوليا السويدى إلى ألمانيا . وأكد أن من الضرورى منع الزيت الرومانى عن ألمانيا .

وقد تقرر أخيراً بعد توجيه عدة مراسلات إلى السويد والترويج أن تزرع الألغام

في المياه . الاتفاقية الترويجية في اليوم الخامس من شهر ابريل وتم الاتفاق على أنه إذا قامت ألمانيا بغزو بلجيكا تدخل قوة الحلفاء إليها في الحال ولا تنتظر دعوة رسمية من الحكومة البلجيكية . وإن أغزت ألمانيا هولندا ولم تتحرك بلجيكا لمساعدة جارتها . فإن الحلفاء يطلقون لأنفسهم الحرية لدخول بلجيكا لمساعدة هولندا .

وتقرر أخيراً بإجماع الآراء اتفاق الحكومتين البريطانية والفرنسية على إصدار البيان التالي :

« تتعهد الدولتان في الحرب الحالية بأن لا تقدم إحداهما

على مفاوضة أو عقد هدنة أو معاهدة صلح إلا بالاشتراك

مع الدولة الأخرى » .

وقد كان لهذا الميثاق شأن كبير فيما بعد .

وفي الثالث من شهر ابريل قررت وزارة الحرب البريطانية تنفيذ قرار مجلس الحرب الأعلى . وصمحت للأميراليه بزرع الألغام في مداخل المياه الترويجية في الثامن من شهر ابريل .

ولما كانت هذه العملية قد تدفع الألمان إلى القيام بعمل مضاد فقد تم الاتفاق على ارسال كتيبة بريطانية ووحدة فرنسية صغيرة إلى نارفيك لتطهير الميناء والسير قدما نحو الحدود السويدية وتقرر ارسال قوات أخرى إلى سفانا نجراد وبرجن ونروندهايم لمنع العدو من استخدام هذه القواعد .

وأخذت تترامى إلينا النذر والأنباء السيئة التي تختلف في مصادرها . فقد أعلن وزير الحربية في نفس الجلسة التي عقدتها وزارة الحرب في الثالث من ابريل أن وزارته تلقت تقريراً بأن الألمان يحشدون قوات كبيرة في روستوك تمهيداً للاستيلاء على اسكنديناو إذا رأوا ضرورة تفنى بذلك . وقال وزير الخارجية إن مالديه من الأنباء الواردة من استوكهولم تميل إلى تأييد ما جاء في تقرير وزارة الحرب . وقد ذكرت المفوضية السويدية في برلين أن بواخر ألمانية حولتها مائتي ألف طن وعلى ظهرها ما يقرب من أربع مائة ألف جندي تحشد على ميناءي ستيتين وسوينموند وتأهب

تجوجه ضربة مما كسدة لأى هجوم قد نشته على الموانئ الترويجية التى تهتم بها وتشعر بالقلق الشديد من أجلها .

وفى الرابع من شهر ابريل ألقى المستر تشمبرلن خطاباً أبدى فيه كثيراً من التفاؤل فقد أمان أن هنر « قد فاته الركب » وأن الأشهر السبعة الماضية قد أتاحت لنا فرصة التغلب على ما كان عندنا من الضعف وتميز قوائنا الحربية إلى حد بعيد وقال إن ألمانيا من الناحية الأخرى ، كانت قد بذلت كل مالهيا للاستعداد للمركة ولم يمد فى مقدورها مزيد فوق الذى وصلت إليه .

وقد تبين أن هذا الخطاب جاء فى غير أوانه . وكان تقديره خاطئاً فهو يفترض على أساسه أن مركزنا أصبح أقوى نسبياً مما كان وهذا افتراض غير معقول فإن الألمان كما بينت سابقاً كانوا يدخلون فى السنة الرابعة من استعدادتهم الحربية الهائلة . ونحن مازلنا نسير فى المرحلة الأولى التى قد تفاس إلى السنة الثانية من هذا السباق من ناحية الإنتاج .

فضلاً عن هذا فإن كل شهر يمر على الجيش الألمانى الذى بلغ السنة الرابعة من عمره يزيد به نضوجاً وكالا . وقد أخذ يخفى تفوق فرنسا السابق من ناحية التدريب وحسن النظام شيئاً فشيئاً بصفة مستمرة . وكان كل شىء معلقاً فى كفة القدر . وقد لقيت المقترحات المختلفة التى سبق أن قدمتها لتحسين مركزنا قبولاً آخر الأمر إلا أنه لم ينفذ حتى ذلك الوقت شىء رئيسى لها سواء عندنا أو عند الفرنسيين وكانت خططنا تقضى بقوة حصارنا بزعم الألمان فى الترويج فى الشمال ومنع وصول الزيت إلى ألمانيا من جنوب أوروبا الشرقية . وكان كل شىء ساكن وراء الجبهة الألمانية ثم بوغتنا بالمفاجآت المفيدة التى اكتسحت كل ما كان يمدد الحلفاء من سياسة جامدة ضيقة الحدود وقد أخذنا درساً جديداً فى معنى الحرب الجماعية .

النرويج

قبل أن يبدأ بمرض هذه المسألة يجب أن أوضح ما طرأ على مركزى في شهر
أبريل سنة ١٩٤٠ .

أصبح منصب الأورد شافيلد كوزير للدفاع لا فائدة منه وقد قبل السبر تشمبرلن
استقائه في الثالث من شهر أبريل وفي الرابع من الشهر نفسه صدر بيان من دوننج
ستريت بأن الحكومة تنوى شغل هذا المنصب . وإن كانت قد اتخذت الإجراءات
لكي يتولى وزير البحرية بصفته أقدم وزراء القوات المسلحة رئاسة لجنة التنسيق
العسكرية .

ومن ثم توليت رئاسة اللجنة التي كانت تعقد جلساتها كل يوم مرة أو مرتين في
الفترة ما بين الثامن والخامس عشر من أبريل وهكذا أصبحت في ساطعة واسعة من
الناحية النظرية . وإن لم يمدد إلى بسلطة فعالة في القيادة والتوجيه فقد كنت بين وزراء
القوات المسلحة الآخرين الأعضاء في وزارة الحرب « الرجل الأول بين الأكفاء »
ولذلك لم تكن لدى السلطة اللازمة لاتخاذ القرارات أو تنفيذها . وكان حتماً على
الأخذ بوجهة نظر وزراء القوات المسلحة ورؤساء أركان حربهم من المحترفين . وكان
من حق فئة كبيرة من الرجال ذوي الكفاية والأهمية بل ومن واجهم كذلك أن
يبدوا آراءهم في مختلف مراحل الحركة التي تتبدل من آن لآخر وقد حمى وطيسها .

وكان رؤساء أركان الحرب يمددون مع وزرائهم جلسات يومية منتظمة بهدف دراسة
الأوضاع بصفة منتظمة وكانوا يصلون إلى قرارات ذات أهمية كبيرة . وكانت تصلى
تلك القرارات عن طريق لورد البحر الأول - الذي لم يكن يخفى على أمره من
البيانات والمذكرات التي يصدرها رؤساء أركان الحرب ، وكنت أستطيع إذا شئت أن
أسأل من أى موضوع خاص بهذه القرارات وأناقشه وأثير البحث في أول جلسة
تعمدها لجنة التنسيق التي يحضرها رؤساء أركان الحرب مع وزرائهم المختصين الذين
كانوا يقفون غالباً إلى جانبهم يدهونهم إلى الجلسة كأعضاء عاديين وكان النقاش يدور

في هذه الجلسات بطريقة مهذبة وينتهي عادة بتقرير لائق يمدد سكرتير الجلسة ويقرره ممثلو وزارات القوات المسلحة بعد التأكد من سلامته وخلوه من الأخطاء وهكذا وصلنا إلى تلك الذروة السعيدة الفسيحة حيث تتخذ القرارات للمصلحة القصوى لأكبر عدد من الناس من طريق تبادل الرأي بين الجميع . لكن الأوضاع التي كان علينا أن نواجهها في هذه الحرب كانت ذات اختلاف كبير . وما يؤسف له أن أقول إن النضال القائم كان أشبه بالنضال بين رجل شرير . يهاجم انسانا فيهوى على أنفه بمصا أو مطرقة أو أى شيء تقع عليه يده مما تنفر منه النفوس . وتلك من الموامل البارزة التي تدعو الانسان إلى محاولة تفادى الحرب وتسوية الأمور بالطرق الودية ، مع النظر بعين الاعتبار إلى حقوق الأقليات والمنايا الحقبة يختلف الآراء . وكانت لجنة الدفاع التفرعة من وزارة الحرب تقدم جلساتها كل يوم لدراسة تقارير لجنة التنسيق العسكرية وتقارير لجنة رؤساء الحرب . وكانت تقاريرها تعرض على مجلس الوزراء المادى . ويتحتم في كل جلسة من هذه الجلسات شرح الأوضاع وعندما تنتهى كل هذه الاجراءات يكون الموقف جميعه قد تغير وكنا في الاميرالية التي اتخذناها مقرا لقيادة المركة البحرية نتخذ القرارات الخاسرة بالأسطول بصفة عاجلة ولا نحيل منها إلى رئيس الوزراء سوى الأمور البائنة حد الخطورة . فكان بوانتي على قراراتنا . أما فيما يتعلق بالقوات المسلحة الأخرى فلم يكن في المستطاع أن نجري لأمر بالسرعة التي تتطلبها الأمور العاجلة . إلا أن ثلاثة ارباع العمل التنفيذي في بدء الحملة النرويجية كان في يد الأميرالية .

ولا أدعى أنني إذا كانت لدى سلطات أوسع مما أتبع لي أستطيع أن اتخذ قرارات أفضل أو أسهل إلى حلول أحسن للمشاكل التي لا مفر لنا من أن نواجهها . ولكن الأحداث التي ساشرحها كانت عنيفة والأوضاع كانت في اضطراب وقد أدركت أن سلطات رئيس الوزراء هي وحدها التي نستطيع أن ننظم أعمال لجنة التنسيق ونحكم فيها ومن ثم طلبت إلى المستر تشمبرلن في الخامس عشر من شهر ابريل أن يتولى رئاسة اللجنة وقد تولى بالفعل رئاسة جميع الجلسات التي عقدناها بعد هذا التاريخ طوال حملة النرويج . وكان يقف الى جانبي ويؤيد آرائى . ويتركها على وجهات نظر الآخرين بما له من سلطة وعملنا مما في وثام تام .

ولا شك أن الولاء والثقة الحسنه كانا متوافرين لدى الجميع . ومع ذلك فقد أحسستنا أنا ورئيس الوزراء أن نظامنا القدي نسير عليه يحتاج إلى الوضع الصحيح وبخاصة عندما تواجه سير الأحداث التي تحير العقول وعلى الرغم من أن الاميرالية كانت المحرك الاول في هذا الوقت فقد كان لأبي وزير أن يعترض على أي تنظيم يحاول فيه وزير آخر تنسيق عمليات القوات العسكرية الأخرى ، في الوقت القدي يدبر فيه أعمال الاميرالية ويحمل مسئولياتها المتعلقة بالحركات البحرية ولم يكن وجود رئيس الوزراء وتأيدته لي مدلا جميع المقبات وقد واصلت عملي في هذه الحلقة الودية للذبذبة التي يمزجها الثبات في الوقت الذي خالفنا فيه سوء الطالع وانصبت علينا الضربات .

وقد صرح لي بعد أن حلت بنا الفوازل المدينة في سكندنافيا ، بأن أدعو لجنة رؤساء أركان الحرب إلى الانقياد وأن أراسر جلساتها : وهي لجنة لم نكند نستطيع أن نقوم بأى عمل دونها وأعطينا لي السلطة الرسمية « للقوجيه والقيادة » وقد انتدب الجنرال إيسمان أكبر ضباط أركان الحرب في القيادة المركزية ليسكون تحت تصرفي كضابط أركان حرب وممثل لي : وأصبح بهذه الصفة عضوا في لجنة رؤساء اركان الحرب . وكنت أعرف الجنرال إيسمان منذ سنوات : ولكنني عرفته هذه المرة معرفة وثيقة . ومن ثم أصبح رؤساء أركان الحرب أمأى إلى حذما عن حالتهم الجاهلية . وكنت أستطيع ككتاب لرئيس الوزراء أن أؤثر تأثيرا فاصلا في قراراتهم وسياساتهم .

وكان طبيعيا أن ينحازوا إلى وزراءهم المختصين . الذين ربما كانوا يشعرون بشيء من السخط — بحكم الطبيعة الإنسانية — لانفصال جزء من سلطتهم إلى زميل من زملائهم . وكان قد اتضح أننى أتولى هذه السلطة بالنيابة عن لجنة التنسيق العسكرية . وهكذا كان علي أن أحمّل مسئوليات جسام دون أن تكون السلطة الفعلية في يدى للقيام بأعباء هذه المسئوليات ومع ذلك فقد كنت مطمئنا إلى أننى أستطيع أن أحقق نجاحا للتنظيم الجديد إلا أن هذا التنظيم لم يطل أكثر من أسبوع ولكن علاقته بالجنرال إيسمان وعلاقته بلجنة رؤساء أركان الحرب متواصلة لا تنفصم أو يعترضها الوهن منذ اليوم الأول من شهر مايو سنة ١٩٤٠ إلى السادس والعشرين من شهر يولية سنة ١٩٤٦ حين القيت عن كاهلي المسئوليات .

وقد دعا وزير ألمانيا المفوض في اوسلو ليلة الجمعة الخامس من شهر أبريل لفيفا من الضيوف البارزين ومن بينهم الوزراء إلى مشاهدة عرض شريط سينمائي في دار المفوضية . وقد عرض الشريط المناظر الرهيبة التي التقطت أثناء غارات الدافع على وارسو . وكانت العبارة التي أقيمت لتشرح هذه الصور « إن البولنديين يستطيعون أن يعمدوا أسدقاهم الإنسكاز والفرنسيين على ما حل بهم » وانفض الضيوف وقد اسقوا عليهم الأسي والوجوم . وكانت الحكومة النرويجية تشعر بقلق شديد لنشاط الإنسكاز وأعمالهم . وقد قامت أربع مدمرات بريطانية بوضع الألغام في مداخل الخليج الغربي وهو القناة التي توصل إلى ميناء نارفيك وكان ذلك ما بين الساعة الرابعة والنصف والخامسة من صباح اليوم الثامن من شهر أبريل وأذيعت الأنباء بذلك من لندن في الساعة الخامسة صباحاً . وفي الساعة الخامسة والنصف سلمت مذكرة من حكومة صاحب الجلالة إلى وزير الخارجية النرويجية . وظلت اوسلو طوال الصباح تمدا احتجاجاتها للندن . وفي ساعة متأخرة من بعد الظهر في نفس اليوم أبهرت الاميرالية المفوضية النرويجية في لندن أن البوارج الألمانية شوهدت على مقربة من الشاطئ النرويجي تتقدم نحو الشمال وقد تكون متجهة نحو نارفيك وقد وصلت الأنباء في نفس الوقت بأن ناقلة الجنود الألمانية ريودي جانيرو ، قد غرقت بالقرب من الساحل الجنوبي للنرويج وقد أغرقها النواصة البولندية أوزبيل . وقد أخذ الصيادون النرويجيون عدداً كبيراً من الجنود الألمان وقد صرحوا بأنهم كانوا في طريقهم إلى برجن ليساعدوا النرويجيين على الدفاع عن بلادهم ضد البريطانيين والفرنسيين . وأن في الطريق بواخر أخرى . وكانت ألمانيا قد افتضحت حدود النازمرك ولكن هذه الأنباء لم تصل إلى النرويج إلا بعد أن تعرضت للنزول ولم تفلح نرويجية تحذيراً . رسمياً وقد استولى الألمان على النازمرك بعد أن قاوموا مقاومة عنيفة قتل فيها عدد من الجنود المخلصين .

وفي تلك الليلة اقتربت البوارج الألمانية من ميناء أوصلو وأرسلت البطاريات الساحلية عليها النيران . وكانت القوة الناطحية النرويجية تتألف من زارعة ألغام هي أولان تريغفاسون ، وكانسكي ألغام وبعد الهجوم بقليل دخلت كانسكا ألغام ألمانيتان

حدخل الخليج لازال الجنود بالقرب من المدفعية الساحلية . فأفرقت إحداهما بنيران مدفعية زارعة الألغام ترييفاسون ولكن القوات الألمانية نزلت واستولت على البطاريات الساحلية . وقد استطاعت زارعة الألغام الباسلة أن تصد مدمرتين المائيتين عند مدخل الخليج وألحقت أضرارا بالطراد إيدن . واشتركت في المركة سفينة من سفن سيد الحيتان مزودة بمدفع واحد . دون أن يكون لديها أمر من أحد . وقد طار مدفع السفينة في هذه المركة وأصيب قائدها في ساقه وحتى لا يصاب رجاله بذعر أو تهاور أعصابهم دحرج جسده على ظهر السفينة واتحضر بشجاعة فادرة . ودخلت القوة الألمانية الرئيسية يقدها الطراد بلوخر إلى الخليج وانجحت إلى الخليجان التي تحميها قلعة أوسكار زيورج . وأرسلت المدفعية التروبيجية نيرانها وأطلقت القوة المدافعة طوربيدين من مسافة خمسمائة ياردة ففرق الطوربيد بلوخر في الحال . وفرق معه كبار رجال القيادة الألمانية الإداريين وفئات من الجسقاو . ونكست السفن الألمانية الأخرى راجعة ومن بينها لوتزاو . ولم يمد الطراد إيدن إلى الاشتراك في أى قتال . وقد احتلت أوسلو من طريق القوات التي هبطت من الجو إلى الخليج تلا من طريق البحر .

وأصبحت خطة هتار واضحة تماما . فنزلت القوات الألمانية في كريستيان ساند ، هوستانا نجر . ونزلت في الشمال في برجن وتروند هايم .

وكانت في نارفيك الضربة الكبرى فقد مضى أسبوع والهواخر الألمانية التي تنقل برادة الحديد تعود إلى ذلك الميناء وتسير في الطريق المخصص لها بناء على الحياد التروبيجي . وهي ملأى بالموث والعتاد وكانت عشر مدمرات ألمانية تعمل كل منها مائتي جندي ومعها الطرادان شارنهورست وجينزناو قد أقلت من ألمانيا قبل بضعة أيام . ووصلت إلى نارفيك في وقت مبكر من صباح اليوم التاسع من شهر أبريل .

وكانت في مياه الخليج سفينتان حربيان من السفن التروبيجية هما السفينة نورج والسفينة ايندزفولد وكلاهما على استعداد للقتال وعند الفجر ظهرت المدمرات الصغيرة إلى الميناء بسرعة كبيرة . وقد حالت المواقف الثلجية الشديدة دون معرفة جسمية هذه المدمرات . ولكن سرطان ما ظهر ضابط ألماني يستقل زورقا بخاريا ، وطلب

من إيدزفولف الاستسلام . وقد انسحب هذا الضابط عند ماسمع من قائد السفينة الجرمية ذلك الرد القصير «سأهاجم» ولكن السفينة غرقت في الحال بوابل من الطوربيدات التي أنهالت عليها . وفي خلال ذلك أرسلت نورج نيرانها ولكنها غرقت في الحال بقذائف الطوربيد وقد قضى في هذه المركة ٢٨٧ بحاراً زرويجياً ولم ينج من السفينتين أكثر من مائة بحار . وقد أصبح احتلال نارفيك أمراً ميسوراً وهكذا ضاع هذا الموقع الاستراتيجي وحررنا منه إلى النهاية .

وكان الأميرال نوريس يترصد بالقوة الرئيسية من أسطوله في ذلك الصباح أمام برجن . وكان الموقف في نارفيك لم يتبين بعد وقد كان القائد يأمل أن يتمكن من أن يحول بين الألمان وبين احتلال الميناء فزج بمدمراته إلى الخليج لتنع الألمان من النزول إلى الساحل وأسرع الزبان ودوربولى على رأس خمس مدمرات هي هاردي وهنر وهانوك وهوتسبر وهوسنابل بالدخول إلى الخليج الغربي وقد أبلغه الزرويجيون في ترانوى أن ست سفن حربية أكبر من قطعه ترافقها غواصة مرت بالمسكان وأن الأتنام وضمت في الميناء وقد أرسل هذه المعلومات وأضاف إليها هذه الكلمة «هزمت على المهجوم عند الفجر» . وفي اليوم الماخر من شهر إبريل دخلت الدمرات الخمس إلى الخليج وكانت عند الفجر أمام نارفيك . وكانت داخل الميناء خمس مدمرات . وقد استطاعت المدمرة هاردي في هجومها الأول أن تقذف القطة الألمانية التي كانت ترفع علم القائد الألماني القتل وغرقت مدمرة أخرى بقذيفتي طوربيد أما الثلاث الباقية فقد أسابها نيران الدفعية ولم تستطع للقاومة . وكان في الميناء ثلاث وعشرون باخرة تجارية من مختلف الجنسيات منها خمس براخر بريطانية وست ألمانية ومرت جميعها . ولم تشترك في هذه المركة غير ثلاث من مدمراتنا . وبقيت هوتسبر وهوسنابل كقوة احتياطية ضد تدخل البطاريات الساحلية أو سفن ألمانية جديدة . ولكنهما عادتا فاشتراكتا في الهجوم الثاني ، وتمكنت هوتسبر من إغراق سفينتين ألمانيتين تجاريتين بالطوربيد . ولم تصب أية قطعة من قطع الزبان دوربوتون لي . وقد وقفت مدفيعات العدو ، وبعد ساعة من المركة لم تكن وحدة من الوحدات الألمانية تستطيع الخروج من الميناء .

لكن الحظ بدأ يبتز ويقلب . فقد صادف ووربرتون وهو عائد بدجهومه الثالث ثلاث قطع جديدة تقرب منه وبدأت ممركة على مسافة سبعة آلاف ياردة . وقد ظهرت فجأة سفينتان حربيتان من وراء الضباب . ولم تكن هاتان السفينتان من سفن النجدة البريطانية كما كان يظن ولكنهما كانتا مدمرتين اللانيتين ترسوان في خليج قريب وبدأت الدافع الألمانية تدوى بصوتها وتحطم مانشاء على ظهر هاردى وقد أصيب القبطان دوربرتون لى إصابة مهلكة ، وقتل سائر ضباطه ورقاقه وجرح البعض هذا اللازم ستانج سكرتيره الذى قام بأعمال القيادة وزلت قذيفة فى غرفة الآلات فانفجرت . واضطرت المدمرة إلى الجنوح نحو الشاطئ تحت تأثير النيران الشديدة وكانت آخر رسالة بث بها ريان هاردى إلى المدمرات الأخرى « واسلوا القتال مع العدو » .

وفى أثناء ذلك كانت المدمرة هفتر قد أغرقت ، أما هوتسر وهو ستابل الثامن اصبحتا إصابات مباشرة مع هافوك ، فقد انجھتا معها إلى عرض البحر ولم يستطع العدو الذى تصدى للمدمرات الثلاث أن يقفها . وبعد نصف ساعة لاقت المدمرات الثلاث سفينة كبيرة تبين أنها السفينة رونفيلز وكانت تحمل المتاد للامان فأطلقت هافوك عليها النيران ففسدتها . واستطاع الناجون من المدمرة هاردى أن يصلوا إلى الشاطئ وقد حملوا جثة قائم الذى منح وسام « صليب فكتوريا » بموته . وقد خاف هو ورجاله أثراً لا يمحي على العدو وصفحة خالدة فى تاريخنا البحرى .

وكان الهجوم الخاطف على الترويج يمتاز بالناجأة والقسوة والحطاط الدقيقة التى غودر فيها شجب برىء أهزل كالشجب الترويجى . وقد استخدمت ألمانيا فى هذا الهجوم سبع فرق وثمانيئة طائرة كاملة وما يقرب عده من مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة طائرة قل مما كان له أثره الواضح فى الهجوم . ولم تمض ثمان وأربعون ساعة حتى كانت جميع موانئ الترويج قد وقعت فى أيدي الألمان . فلما ظهرت الحقيقة أمام الناس والشعب والجيش اشتد غضبهم ولكن بعد فوات الأوان فقد أعمتهم الدعاية الألمانية عن الحقائق وعادت فسلبتهم القدرة على المقاومة وأسرع الجندال كوزلنج فأعلن

نفسه حاكماً على المناطق التي احتلها الألمان . وقد رفض سائر الموظفين النرويجيين العمل تحت إمرته . وبدأت التعبئة وأخذ الجيش يقاتل الغزاة الذين كانوا يزحفون شمالاً من أوسلو وهرع الوطنيون الذين استطاعوا الحصول على الأسلحة إلى الجبال والغابات وقد انسحب الملك وحكومته نحو هامار وقمع على بعد مائة ميل من أوسلو وكانت السيارات الألمانية المدرعة تطاردهم ، وحاول الألمان القضاء عليهم بالدفاع الرشاشة ، ولكنهم على الرغم من ذلك ظلوا يحضون الشعب على أن يبذل كل ما لديه من قوة في سبيل المقاومة ولكن الشعب كان قد أخذ منه الرعب والخوف كل مأخذ ولجأ إلى السكينة والخضوع . ومن المروء أن شبه جزيرة النرويج تمتد ألف ميل طولا وسكانها مبعثرون في كل ناحية وطرق مواصلاتها قليلة وبخاصة في الشمال . ولا شك أن السرعة التي استطاع بها هتلر الاستيلاء على تلك البلاد تعد من الأعمال الخارقة وهي مثل للنظام الدقيق والوحشية البالغة التي مرفه بها الألمان .

وانشدتنا الحكومة النرويجية التي كانت تنف من موقف الفقر أن نمجّل بنجدها . وكان إقناذ جنود النرويج أمراً صعباً علينا إذ أن سائر قواتنا المدرية والكثير من القوات المدرية نصف تدريب قاعة في فرنسا . وكان كل م قواتنا الجوية أن تقوى الحملة البريطانية في فرنسا وأن تدعم الدفاع الداخلي ، وتقوم بأعمال التدريب الواسعة . وكنا في حاجة إلى عشرة أضعاف ما لدينا من الدفاع المضادة للطائرات للدفاع في جميع الجهات المعرضة للغارات الجوية . ولكننا مع ذلك كنا نشعر بضرورة المساعدة ولو عرضنا سائر استعداداتنا ومعالجنا للخطر . وقد رأينا أن في استطاعتنا أن نستولى على نارفيك وتدافع عنها لمصالح الحلفاء جميعها . ويستطيع ملك النرويج أن يرفع علمه حراً عليها ونستطيع أن نقاتل العدو عند تروندهايم لنمنه من الزحف إلى الشمال حتى يمكننا أن نستعيد نارفيك ونجعل منها قاعدة لجيشنا . وقد تبين أن من الممكن الاحتفاظ بها وتحويلها بطريق البحر . إذا استخدمنا قوة تفوق ما في مقدور العدو أن يرسله من خمسمائة ميل من المنطقة الجبلية .

وقد وافق مجلس الوزراء على إجراء كل ما يمكن لإنقاذ نارفيك وتروندهايم

والدفاع عنها . وكانت هناك قوة مهيأة لذلك وهى القوة التى كانت بمعدة لفلندا مضافا إليها ما كنا قد احتفظنا به لمشروع نارفيك من قبل . وكانت هذه القوة توزعها الطائرات والمدافع المضادة للدبابات والذبابات ووسائل النقل والتدريب . وكانت التلوج تغطى سائر الأجزاء الشمالية من الترويج إلى ارتفاع لم يتح لجنودنا أن رأوا مثله من قبل . ولم يكن لدى جنودنا أحذية أو زحافات للتلوج . ورغم ذلك فقد كان جنبا علينا أن نعمل ما استطعنا وبدأت الحملة على هذه الصورة .

وقد حاولنا أن نزل في نارفيك وتروندهايم وأما كن أخرى وكان تفوق الألمان في التخطيط والإدارة والحيوية واضحا . فقد ضمنوا لجنهم خطة دقيقة أقتنوها من قبل كل الإتقان . وأحسنوا استخدام السلاح الجوى على نطاق شامل في سائر المراحل وفضلا عن ذلك فقد كان تفوقهم القردى ظاهرا وبخاصة في المجموعات الصغيرة . وقد استطاعت قوة المائة صغيرة غير منظمة لا يزيد عددها على ستة آلاف جندى أن تقف ستة أسابيع أمام عشرين ألف جندى من قوات الحلفاء . وإذا كانوا قد أرغوا على الخروج من المدينة إلا أنهم طاشوا حتى رأوا جنود الحلفاء يخرج منها . وقد بدأ الأسطول من البحر بداية طيبة ولكنه توقف عن العمل لاحجام قائده عن القيام بتلك المخاطرة اليائسة . وقد قسمنا قواتنا بين نارفيك وتروندهايم ، وبهذا التقسيم قضينا على خططنا بالفشل . وقد تمكن الألمان من هزيمتنا على الرغم من أنهم كان عليهم أن يقطعوا مئات الأميال فى أرض تنطيطها التلوج ، وعلى الرغم من قصص البطولة التى ظهرت فى تلك المارك . وأمام عدو يتحرك كيف شاء فى مسافات شاسعة بمجازا شقى المقبات والصواب هزمنا نحن الذين كنا نسيطر على البحار ونستطيع النزول على أى شاطئ .

وقد ضمننا أنفسنا غتارين فى أزمت وسقطات فى الترويج وظلنا أن الحظ كان معا كسأ لنا وقد خدمنا بالخروج من تلك الأزمت وما كدنا نسل إلى نهاية شهر مايو حتى وجدنا أنفسنا أمام إخلاءات متتالية . وإذا نظرت إلى الدور التى قت به فى هذه الأحداث والمصائب التى واجهتنا وتغلبت عليها ، أو السيوب التى كانت فى قيادتنا وتنظيمنا . أيقنت أنى نجوت بمجزة من كل هذه المآرق . واحتفظت

بحركزى أمام الرأى العام وتقديره وثقة البرلمان . وربما كان هذا لافنى قصيت عامين
وأنا أتسكهن بتلك الاحداث وأوالى التحذيرات والإنذارات التى لم يبعأ بها أحد فى
الماضى وإن كان الجحيم أصبحوا يذكرونها الآن .

وهاجم الطرادان الألمانىان شارنهورست وجيتزنאו حاملمة طائرانا جلوريوس فى
اليوم الثامن من شهر يونيه فأغرقاها فى أقل من ساعة ونصف ودمرت إحدى المدمرات
التي كانت معها وهى اكاسا ولم ينج من بحاوتها إلا بحار واحد .

وقد ظهرت حقيقة واحدة لها أهميتها البائدة بالنسبة للحرب . وهى أن الألمان
فى المركة اليائسة أمام الأسطول البريطانى كانوا يدمرون ما لديهم من قطع بحرية
فى انتظار المركة الحاسمة . وقد بلغت خسائر الحلفاء فى القتال الجوى فى الترويج حاملمة
طائرات واحدة وطرادين وسفينة حربية صغيرة وتسع مدمرات وأسميت ست طرادات
وسفيتان حريتان وثمانى مدمرات بأضرار يمكن إصلاحها وفى نهاية شهر يونيه وهو
تاريخ له أهمية فى سير الحرب كان الأسطول الألمانى لا يزيد على طراد يحمل مدافع
من عيار ثمان بوصات وطرادين خفيفين وأربع مدمرات ولم يعد الأسطول
الألمانى ذا أهمية فى معركة غزو بريطانيا .

وقد انتهت قصة هجوم هتلر على الترويج وظهر فى الجو أعظم بحث عسكري
خفيف عرفه الإنسان . وقد أوضحت فى فصل سابق ذلك السبات العميق الذى ظلت
فيه بريطانيا وفرنسا ثمانية أشهر والعالم ينظر فى ذهول وقد نال الحلفاء من جراء ذلك
أضرار جسيمة . ومنذ الوقت الذى تم فيه التفاهم بين ستالين وهتلر . تلقى الشيوعيون
الفرنسيون الايحاء من موسكو وأعلنوا « أن الحرب جريمة استعمارية رأسمالية ضد
الديمقراطية » وقد عمل الشيوعيون جهدهم لقمضاء على الروح المتنوعة فى الجيش وعرقة
إنتاج المصانع وقد انحطت الحالة المتنوعة فى فرنسا سواء بين الجنود أو الشعب فى شهر
مايو بصورة واضحة عما كانت عليه عند بدء الحرب .

ولم يحدث فى بريطانيا شئ من ذلك حيث كانت الدعاية الشيوعية ضعيفة كل
الضعف . وكنا مع ذلك نعمل حكومة حزبية وعلى رأسها رئيس وزراء تنظر إليه

المعارضة بنضاضة ولا يجد تأييدا أو حماسا من الحركة النقابية . ولم يكن ائثل هذا التوسع الوقور المخلص الذى يسير على أنظمة معينة من الادارة أن يستثير أى مجهود حربي ، سواء فى الدوائر الحكومية أو فى المصانع الحربية وهو أمر حيوى بالغ الأهمية . ونحن أشد ما نكون حاجة إلى حفز المهتم والحث على مواجهة الأخطار واستنهاض قوى الشعب . وكانت الأجراس تؤذن بالخطر .

سقوط الحكومة .

كان لحمة الترويج القصيرة وما تبعها من فشل وأخطار أثر بالغ في النفوس اهتزت له بريطانيا واشتملت المواطف الهائجة فشملت الجميع حتى أولئك الذين كانوا في السنوات السابقة للحرب متراخين متوانين . وطلبت الممارسة للناقشة في الوضع الحربي فتقرر لهذه المناقشة اليوم السابع من شهر مايو وقد امتلأ المجلس بالأعضاء وقد شملهم سحابة من الغم والغضب ولم يكن لبيان المستر تشمبرلين تأثير في تهدئة التيار المارض وقوطع عدة مرات بالهزء والسخرية وذكره بعض الأعضاء بخطابه الذي ألقاه في الرابع من شهر ابريل وذكر فيه بغير تحفظ : « ان هتلر قاته القطار » وحده في خطابه مركزى الجديد ورسالتى برؤساء أركان الحرب وأعلن في الرد على سؤال ألقاه المستر هيربرت موريسون اننى لم أكن أعتقد بالسلطة أثناء حملة الترويج وأخذ الخطباء من الجانبين يهاجمون أعضاء الحكومة واحداً بعد واحد لاسيا رئيسها بشيء من السف والفضول ووجدوا أنهم يقابلون بهتافات عالية من سائر الجهات . وانتقد السير روجر كيبس الذي كان يبنى الظهور في الحرب الجديدة ، القيادة البحرية وأنحى عليها باللائمة لفشلها في محاولة احتلال ميناء تروند هايم وقال : « إننى عندما رأيت الحالة السيئة التى وصل إليها الموقف لم أتوان من رجاء الأميرالية ووزارة الحرب بأن يسمحالى بتحمل المسئولية وقيادة الهجوم » وكان يتحدث وهو مرتد الملابس العسكرية كأدميرال في الأسطول . وقد أيد حملة المارضة بتفاصيل فنية دقيقة واستخدم ملوماته الفنية بطريقة صادقة نجحوا بين أعضاء المجلس . وقام المستر ليمرى من المقاعد الخلفية وراء الحكومة لحزبها يردد ما سبق أن قاله كرومويل للبرلمان في شيء من الكبرياء : « لقد قضيتُ هنا وقتاً طويلا لا يتفق مع النفع الذى رأيناه منكم . وأقول لكم انصرفوا ودعونا نخلص منكم . بالله عليكم أن ترحلوا » وقد توبلت كلماته بهتافات عالية . وكانت هذه الكلمات الرهيبة صادرة من سديق وزميل لمدة سنوات ، فضلا من أنه كان عضواً في حزبنا عن برمنجهام وعضواً في مجلس الملك الخاص ذا شخصية بارزة وله خبرة واسعة .

واستمرت المناقشة في اليوم الثاني أى في الثامن من شهر مايو على أساس الاقتراح بالتأجيل ولكنها انجذبت إلى نوع من الاقتراح بالثقة . وأعلن المستر هيربرت موريسون باسم المعارضة عزمها على طلب الاقتراح بالثقة . وقام رئيس الوزراء للمرة الثانية بقيل التصدي وأنجه نحو أصدقائه يطلب منهم أن يقفوا إلى جانبه وقد احتمل هؤلاء الأصدقاء نتيجة أعماله أو أعماله في الماضي ومن ثم أصبحوا يشتركون معه في مسئولية تلك السنوات الهزيلة « التي أكل الجراد نباتها » قبل الحرب . ولكن هؤلاء الأصدقاء ظلوا ساكنين خجولين وقد اشترك بعضهم في المظاهرات المدائية . وشهد المجلس في ذلك اليوم للمرة الأخيرة تدخل المستر لويد جورج في أعماله فألقى خطاباً قصيراً لم يستغرق أكثر من عشرين دقيقة أزل فيه ضربة قاسية على رأس الحكومة . وقد حاول أن يجنبني هذه الضربة معلناً براءتي حين قال : « لا أعلن أن وزير الحربية هو المسئول على الإطلاق عن كل ما حدث في الترويج » فقاطعت في الحال وقالت : « إنني لأنحمل المسئولية كاملة عن كل ما قامت به الأميرالية ، وأعمل نصيبى من العيب على أعمه » وبعد أن حذرنى المستر لويد جورج بأن آوى إلى غيابة من غيابه الفارات الجوية بقى زملائى الإصابة بالشظايا التفت إلى المستر تشمبرلين قائلاً : « إن الموضوع لا يتعلق بأصدقاء رئيس الوزراء . إن القضية أكبر وأضخم من هذا بكثير . لقد طالبتنا بالتضحية والشجب جميعه مستمد للتضحية إذا رأى القيادة الصالحة وإذا رأى ما ترى إليه الحكومة حقيقة وإذا تأكد من أن هؤلاء الذين يقولون قيادته يبنلون أقصى ما يستطيعون من جهد » ثم انتهى إلى أن قال : « اننى أعلن بكل جد أن رئيس الوزراء يقدم المثل للشعب على التضحية . فليس أدعى للصر في هذه الحرب من أن يضحي بنفسه » .

وقد وقفنا كوزراء متضامنين في جبهة واحدة ، وكان وزيراً الحربية والطيران قد ألقيا كليهما . واقتربت أن أختتم المناقشة . وكان هذا أمراً لا يخرج من واجبي لأعلى سبيل الولاء للرئيس الذى أعمل تحت رئاسته فحسب بل لأهمية الدور الذى قمت به لمساعدة الترويج بقوات غير كافية . وحاولت جهدى أن أنف أمام تيار المعارضة العنيفة والمقاطعات المتوالية ومعظمها كان سادراً من مقاعد البمال . وقت بهذا الواجب

يحامسة بالغة لأعيد السيطرة على المجلس لصالح الحكومة وأنا أذكر الأخطاء السياسية الانهزامية الخطيرة في السنوات السابقة للحرب . وكيف اقترحوا قبل نشوب الحرب بأريمة أشهر غصب ضد التجنيد الإجباري وقد أحسست أنا وبعض أسدقائي بأننا وحدنا الذين لم الحق في توجيه الالوم . أما الآخرون فليس لهم هذا الحق على الإطلاق . وقد رددت عليهم بقوة حين تصدوا لي . وارتفعت الأصوات وزاد الضجيج حتى تمدر على الآخرين أن يسموا صرقي . ولكن سرعان ما بدا أن غضبهم لم يكن منسباً على ولكنه كان موجهاً إلى رئيس الوزراء الذي كنت أدافع عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلا . فلما انتهيت من خطابي في الساعة الحادية عشرة أجرى الاقتراع فانقسم المجلس . وقد نالت الحكومة الثقة بأغلبية واحد وعشرين صوتاً . على الرغم من أن ثلاثين نائباً معارضاً انضموا إلى المعارضة مع البéal والأحرار . وستين نائباً امتنعوا عن التصويت . وقد اتضح من المناقشة عدم الثقة بالستر تشمبرلين وحكومته .

وقد طلب إلى الرئيس أن أذهب إلى مكتبه في المجلس . وأحسست أنه كان ينظر نظرة جذبة إلى شعور المجلس نحوه . وأدرك أنه لا يستطيع الاستمرار في الحكم . ورأى أن من الواجب أن أقدم حكومة قومية . فليس في مقدور حزب واحد أن يتحمل العبء مفرداً . ولا بد من شخص يؤلف هذه الحكومة التي تشترك فيها جميع الأحزاب وكنت قد احتاجني النقاش وعلى الرغم من أنني على ثقة من سجل السابق بالنسبة للمسائل المروفة فقد كانت لي رغبة في مواصلة النضال وقلت له «لقد كانت مناقشة قاسية حقاً ولكنك نزت بأغلبية طيبة . فلا تتألم ، إن قضيتنا قوية فيما يتعلق بالترويج . وهي أقوى مما استطعنا أن نعرضه على المجلس . وأرى أن من الواجب عليك أن تقوى حكومتك من سائر النواحي ولنواصل العمل حتى تنتهي هنا الذاتية .»

ولكن الستر تشمبرلين لم يقتنع بكلاي ولم ترض نفسه بمد ما هو به من الألم المعض . وصادقته وأنا أحس بأنه قد عقد المزم على أن يضحي بنفسه إذا لزم الأمر ولا يعضى بالحزب بحكومة الحزب الواحد .

ولا أذكر كيف تواتت الأحداث صباح اليوم التاسع من شهر مايو ولكنها

وقعت ضللا . فقد كان المستر كينجزلى وود وثيق الصلة برئيس الوزراء كرميل
وصديق . وكأنا قد علمنا مدة طويلة في ثقة ووثام . فملت منه أن المستر تشمبرلن
كان قد صمم على وجوب تأليف حكومة قومية وإذا لم يتم له هذا الأمر فإنه يتخلى
عن رئاسة الوزارة لأى شخص آخر يثق فيه . وأحدثت بعد ظهر ذلك اليوم بأننى
قد أدمى إلى تأليف الوزارة . ولم يستقرنى هذا الأمر واعتقدت أن هذا هو الحل
الأفضل وكنت مقتنعا بأننى لا بد أن أترك الأمور تسير في مجراها وقد استدعاني بعد
الظهر رئيس الوزراء إلى داوننج سترىث حيث وجدت اللورد هاليناكس بعد حديث
قصير عن الموقف قيل لنا إن المستر اتلى والمسترجرينود سيميلان بعد دقائق للتشاور
معهم . فلما وصلنا جلسنا نحن الوزراء الثلاثة إلى جانب وجلس زعيا المعارضة إلى الجانب
الآخر وقد بدأ المستر تشمبرلن حديثه مبيّناً رأيه بأن لا مناص من تأليف حكومة
قومية وود لويبرف رأى حزب العمال في العمل تحت رآسته ولكن تبين أن الزعيمين
لا يستطيعان أن يبقيا في الأمر برأى قاطع دون استشارة حزبهما . وقد أشارا إلى أن
الرد سيكون في الغالب رداسليبا . وانسحب الزعيان الماليان بعد ذلك . وكان
النهار مشرقا فقضيت مع اللورد هاليناكس في حديقة المجلس . وتناولنا الحديث في
سائر الأمور . ثم عدت إلى الأميرالية فقضيت المساء وهزينا من الليل في أعمال ذات
أهمية بالغة .

وبزغ فجر اليوم السائر من شهر مايو ومعه أنباء جسام قد انتهت على الأميرالية
وزارة الحربية والخارجة البرقيات حول إن الألمان قد ضربوا ضربتهم التي طال
أنظارها وغزت جيوشهم هولندا وبلجيكا واجتازت حدودهما في مواضع كثيرة
وقد اندفع الجيش الألماني يفتزو الاراضى الواطئة وفرنسا .

وحضر إلى السير كينجزلى وود في الساعة الماشرة وقدأ من عند رئيس الوزراء .
وقال لى إن المستر تشمبرلن يشعر الآن بأن الحركة الهائلة التي نخوض غمارها تقضى
ببقائه في منصبه . وقال كينجزلى وود إنه أجابه بأنه يرى عكس ذلك وإن الأزمة
الجديدة تدعو إلى ضرورة قيام حكومة قومية لتواجه الأمور . وأضاف أن المستر

تشميرلن اقتنع أخيراً بوجهة نظره واستدعيت في الساعة الحادية عشرة مرة ثانية إلى دونج ستريت لمقابلة رئيس الوزراء ووجدت لديه الورد هاليفا كس واتخذنا مجلسنا أمام الستر تشمبرلن وقد أبلغنا بأنه أصبح مقتنعاً بجزءه من تأليف حكومة قومية . فقد تركه زعيما لحزب العمال وهو موثق بالتبعية . فمن يستطيع أن يرض اسمه على الملك لتولي رئاسة الوزارة بعد أن يستقيل . وكان في مظهره شيء من الفتور والسكينة والبرد عن الناحية الشخصية وهو ينظر إلينا من مقدمه على الدائنة .

وقد جرت في حياتي العامة مقابلات كثيرة ذات أهمية بالغة ولا شك أن هذه المقابلة كانت أهمها . وإذا كان من دأبي كثرة الحديث فإنني في هذا الموقف ظلت ساكناً . ولا شك أن الستر تشمبرلن كان يستعرض في مخيلته ذلك للظهر العنيف الذي كان في مجلس العموم منذ ليلتين حين تصديت لنواب العمال في مناقشة حادة بلغت حد النزاع . وعلى الرغم من أن مناقشتي كانت تأييداً له ودفاعاً عنه فقد أحس بأن وجوده ربما كان عبء في سبيل قبولهم لي . ولا أنذكر الكلمات التي فاه بها تماماً ولكني أدركت منه هذا القصد . ويقول الستر فيلنج مؤرخ حياته « إنه كان يفضل أن يختار الورد هاليفا كس .

وقد صادت طويل لأنني ظلت ساكناً . ولا شك أن هذه الفترة من الزمن كانت أطول من الدقيقتين المأثورتين اللتين تحتفظ بالصمت فيهما يوم الهدنة ثم تكلمت أخيراً مع الورد هاليفا كس فقال إن مركزه كلورد خارج مجلس العموم يحمله بشعر بأنه لا يستطيع أن يقوم بواجباته كرئيس للوزراء في مثل هذه الحرب . إذ أنه سيكون مسئولاً من كل شيء دون أن تكون لديه الوسائل اللازمة لتوجيه المجلس الذي لابد لكل حكومة أن تعتمد على ثقته بها . وقد تحدث بضمة دقائق على هذا النحو ولما انتهى من حديثه بين أن الواجب سيقع على بل إنه قد وقم على الفعل . وهنا تحدثت لأول مرة فقلت إنني لا أنصل بأي حزب من المعارضة قبل أن يصدر قرار إلى بتأليف الوزارة . وانتهت مدة المحادثات الخطيرة عند هذا الحد . ثم انتقلنا إلى الحديث في بعض المسائل الأثيرة التي يتحدث فيها أصدقاء عملاً ما عدة سنوات وعدت إلى الأميرالية حيث كانت — كما يستطيع أن يدرك كل إنسان — تتنازلي الكثير من المهام .

ووجدت الزوارء الهولنديين في مكنتي . وقد بدأ على وجوههم الوجوم والنصب
جمداً أن طاروا من استردام . فقد هوجت بلادهم بشير سبب ندرکه ولو كان ضميماً
ودون أى إنذار . وانهار عليهم جبل الجليد ولكن بالنار والحديد قلما بدأت المقاومة
وأطلق حرس الحدود نيرانهم انصب عليهم الدمار من الجو . وسمت القوضى سائر
أنحاء البلاد . وقد أسرع الهولنديون بتنفيذ الخطط الدفاعية المدة منذ زمن طويل
وفتحت السدود المائية وسالت مياه البحر إلى مسافات بعيدة ولكن الألمان كانوا
قد تجاوزوا الخطوط الخارجية وبدءوا يحفرون على ضفاف الراين ويبررون الخطوط
الدفاعية الداخلية وأصبحوا يهددون قناة الزيدزى فهل في مقدورنا أن نصنع شيئاً ؟
ولحسن الحظ أن قافلة بحرية كانت قريبة ، فصدرت إليها الأوامر بالإسراع إلى تلك
المنطقة وسب نيرانها عليها لإلحاق الدمار بالنزاة الزاحفين . وكانت اللسكة لا تزال في
هولندا ولكنها لن تستطيع البقاء بها طويلاً .

وأصدرت الأُميرالية الأوامر المتتابة إلى جميع القطع البحرية والقريبة بأن
تتأهب للمركة وقد قامت علاقات وثيقة بينها وبين الأسطول الهولندى . ولم يكن
يستطيع الوزراء الهولنديون على الرغم من التجربة التي حدثت في النزوح والدعاك
إلا أن يصوروا حتى الليلة السابقة كيف يقوم الألمان الذين كانوا يظهرون بالمداقة
والثقة بهذا الهجوم الوحش بين عشية وضحاها . وقد انتهت علينا البرقيات من
سائر الأنحاء التي ترمضت للهجوم الساحق الذى قام به الألمان .

واتضح لنا أن خطة « شليفن » القديمة أصبحت رهن التنفيذ وكانت تضع
هولندا في نطاقها . وكانت خطة النزو الألمانى سنة ١٩١٤ قد اجتاحت بلجيكا
ولسكنها لم تدخل هولندا . وكان من الواضح أن الحرب إذا تأخرت ثلاث سنزات
أو أربع فإن جيوشاً ستكون قد أعدت لاكتساح هولندا بعد أن تم طرق الرواسلات
والخطوط الحديدية الضرورية لذلك . ولكن هذه الخطة المروفة قد نفقت هذه
المرّة كاملة . وقد بدأ الهجوم بعد أن أعد له كل ما يمكن لجملة ميسرا مع الظروف
المفاجئة والخداع . ولم يكن هذا كل ما فى الأمر ، فالضربة الرئيسية للمدوّن تكون
فى حركة التفاف حول الجناح ولكن فى اختراق الجبهة الرئيسية . ولم نكن نحن

أو الفرنسيون خوقع أن تسير الأمور إلى هذا الحد وإن كنت قد حذرت في اجتماعي ، هذه الدول المحايدة من العاقبة التي تنتظرها . وكانت ظاهرة في تنقلات الجيوش واعداد طرق الواسلات والخطط الألمانية التي وقعت في أيدينا . إلا أن هذه الدول تيرمت بأقوالها وقابلتها بالسخط .

وفي خلال هذه الحركة الرهيبة كانت الأحداث الهائلة التي كانت تجري في دوننج ستريت تسير القهقري ومع ذلك فقد نقل إلى أن المستر تشمبرلن قد ذهب في ضيقه لمقابلة الملك وكان هذا متوقعا وفي الساعة السادسة وصلت رسالة تدعوني إلى القصر وقد صدرت المصحف ملأى بالأخبار المفزعة التي نقلت إليها من أنحاء القارة إلا أنها لم تذكر شيئا عن الأزمة الوزارية ولم يتسع الوقت للجمهور لمخاطبة الأنبياء في الداخل والخارج ذلك لم تكن هناك جوع محتشدة على أبواب القصر .

وأذن لي بالثول أمام الملك فاستقبلني جلالته ببشاشة ولطف بالخير وأمرني بالجلوس فجلست وأخذ ينظر إلى بعينين متفحصتين ثم قال لي : « أظنك لا تدري لماذا استعديتكم » وجاربه في طريقته فقلت « لا يمكنني أن أدرك ذلك بيسر » فابتسم ثم قال « أريد أن أطلب إليك تأليف الوزارة » فقلت « إنني أئبي الأمر طائما » .

ولم يشترط الملك شيئا فيما يتعلق بنوع الحكومة وقوميتها وقد أحسنت أن نكلمني بتأليف الوزارة غير مشروط بحكومة قوية ولكن الظروف التي تقدمت وأدت إلى استقالة المستر تشمبرلن تدعو إلى قيام حكومة قومية وكان هذا هو الطريق الأمثل للوضع القائم . إلا أنني من الناحية الدستورية لن أكون ممنوعا من تأليف أقوى حكومة تنضم كل من له استعداد للوقوف إلى جانب بلادهم في هذه الظروف الحرجة على أن تنال تأييد الأكثرية في مجلس العموم وقد أبانت جلالته أنني سأستدعي زعماء حزبي المال والأحرار وقد عازمت على تأليف وزارة الحروب من خمسة وزراء أو ستة وأرجو أن أقدم له خمسة أسماء على الأقل قبل منتصف الليل واستأذنت للانصراف وعدت إلى الأميرالية .

ودعوت المستر أنلي فجاء معه . مستر جرينوود فأبلغته بتكليف الملك لي بتأليف

الوزارة وسألته عما إذا كان حزب الهال يرغب في الاشتراك فيها، فأجاب بأن الحزب سيشارك وانتمحت أن يكون للحزب أكثر من ثلث المقاعد الوزارية ويكون له مقعدان من مجموع الخمسة أو الستة مقاعد المخصصة لوزارة الحرب وطلبت إليه أن يمدد قائمة بأسماء الوزراء الذين يريدهم وانتمحت أن تشمل الأسماء المستأذنت يبقن والمستر الكسندر والمستر موريسون والمستر دالتون لحاجة البلاد إلى خدماتهم في المناصب ذات المسؤولية وكنت بطبيعة الحال أعرف إتلى وجربنود منذ أمضى في مجلس العموم في إبان السنوات العشر التي سبقت الحرب كنت كثيراً ما أتصدي للحكومات المحافظة والقومية أكثر من المعارضة الحالية أو معارضة الأحرار . ودار بيننا حديث مجمع ، ثم انصرفا ليقفلا الأنباء تليفونيا إلى أصدقائهما وأتباعهما في بورغواوث وكانوا على اتصال بهم مدى الثماني والأربعين ساعة التي تقدمت . ودعوت المستر تشمبرلن تليفونيا ليتولى رئاسة مجلس العموم فرد بالإيجاب وقد اتفقنا على أن يذبح على الشعب بياناً يعلن فيه استقالته ويدعو إلى الاتفاق حول خلفه وتأنيده . وقد قام بذلك بصورة رائدة طيبة ودعوت اللورد هاليفاكس إلى الاشتراك في وزارة الحرب فوق منصبه كوزير للخارجية وفي الساعة العاشرة بعثت إلى الملك بياناً بخمسة أسماء تنفيذياً لوعدي السابق . ولم تزل أمضى مهمة كبيرة وهي اختيار وزراء القوات المسلحة وكنت قد قررتهن في نفسى ورأيت أن يتولى المستر ايدن وزارة الحربية والمستر الكسندر وزارة البحرية والسير ارشيبالد ستكلير زعيم حزب الأحرار ووزارة الطيران وفي نفس الوقت قررت أن أتولى بنفسى وزارة الدفاع دون أن أحده ماها من سلطات .

وفي اليوم العاشر من شهر مايو وفي بداية الحركة المتجددة تسلمت زمام السلطة التي ظلت محظوظة به بقوة وعزم خمس سنوات وثلاثة أشهر من الحرب العالمية التي تم فيها تبني استسلام سائر أعدائنا بلا قيد أو شرط أو كاذب على وشك الاستسلام ثم أبدى الناجب البريطاني بعد انتهائها وتسليم الزمام .

وكنيت في هذه الايام الحافلة بالاعمال من جراء الأزمة الوزارية محفظا بهدوى
وسكينة دائما وكنيت أقبل الأمور حسب الأمر الواقع ولكنني لا أخفي عن القراء

أننى عندما كنت آوى إلى فراشى فى الساعة الثالثة من الصباح كنت أشعر بالراحة والاطمئنان فقد وكل إلى زمام الأمور وأصبح من حق أن أصدر التوجيهات فى الأمر كله وشعرت بأننى أتمشى مع القدر وأن حياىى الماضى كلها لم تكن إلا استعدادا لهذه اللحظة . وكانت السنوات العشر الأخيرة التى قضيتها فى خضم السياسة وغميها قد أخلتني من المداوات الحزبية للألونة . وكانت التحذيرات التى وجهتها فى السنوات الست الأخيرة كثيرة وتفاسيها واسمة وكانت قد اتضحت بصورة رهيبة لابتساع أن ينكرها إنسان أو يكذبني فيها . وليس لأحد أن يلومني بدعوى أننى السبب للحرب أو أننى المسئول عن التأخر فى الاستعداد لها وقد رأيت أننى أعرف الكثير من شئونها وأننى لن أفشل :

وقد كنت على لفتى للصباح أنام نوما عميقا لا أمبوقيه إلى أحلام ، فالحقائق خير من الأحلام .

وحدنا فى الميدان

من ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ إلى ٢٢ يولية سنة ١٩٤١

حكومة الائتلاف القومى

نارت علينا المصافة التي تجمعت وئيدا ، تهاجنا بكل ما لديها من قوة والتي وجها لوجه أربعة ملايين أو خمسة في أول حرب مدمرة من الحروب التي لا ترحم والتي لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم وفي خلال أسبوع كانت الجبهة الفرنسية التي عرفنا الركود وراءها في السنوات الشاقة في الحرب الماضية وفي المرحلة الأولى من هذه الحرب قد أنهارت بصورة لا يمكن إصلاحها . وقد قدر للجيش الفرنسى ذى الشهرة القديمة أن يتحطم في مدى ثلاثة أسابيع وتحمل به المزيمة ويترج بجيشنا البريطانى الذى لا تملك سواء إلى البحر بعد أن فقد كل ماله من عتاد وفي ثلاثة أسابيع وجدنا أنفسنا وحيدى في الميدان بنير سلاح وقد أمسكت ألمانيا وإيطاليا للمصمرتان بخناقنا وأصبحت أوروبا بأسرها متفتحة أمام هنر ووقفت اليابان تنظر بينيين متلهفتين في الجانب الآخر من الكرة الأرضية وقد تسلمت أعمالى كرئيس للوزراء ووزير للدفاع في خضم هذه الحقائق والاحتمالات وأخذت أنوم بمهمتى الأولى وهى تأليف حكومة من جميع الأحزاب تقوم بتصرف الأمور في الداخل والخارج بأحسن الطرق لتحقيق للصحة العامة في البلاد .

ولعل من المفيد هنا أن نلقى ببعرنا قدما إلى خمس سنوات أخرى لئرى كيف وائت الظروف . كانت إيطاليا قد أصبحت تحت السيطرة وموسولوى في الأموات وكان الجيش الألمانى قد استسلم دون قيد أو شرط وانتهز هنار وقد وقع في أيدينا من الأسرى ثلاثة ملايين جندى المائى في أربع وعشرين ساعة على أيدي المارشال اليكساندر في إيطاليا والريشال . ووتجورمى في ألمانيا بالإضافة إلى ما وقت عايه أيدي الجنرال إيزنهاور وقد تحررت فرنسا واتحدت واتمشت ووقفنا جنبا إلى جنب مع حليفينا وهما أقوى امبراطوريتين في العالم نسير إلى الأمام للقضاء على المقاومة اليابانية ولا شك أن هذه المفارقة واضحة فقد كانت الطريق التي قطعناها في هذه السنوات الخمس شاقة كثيرة الأخطار والازاقي . ولم تذهب الأدواح التي

قضت فيها بلاجدوى وسيفخر الذين اجتازوها إلى النهاية بأنهم اجتازوها بمرّة وإبارة .
ولعل من الواجب على وأنا أُمحدث عن الحكومة القومية الائتلافية التي
ألفتها أن أوضح مدى إسهام بريطانيا العظمى وإمبراطوريتها اللتين تقوى عرا
اتحادهما وقت الأزمات فأقول ولا أقصد أن أقيم مقارنات تثير النفور أو المناشآت
ضد حليفنا الولايات المتحدة التي ندين لها بالكثير مما لا يدركه العدد . إنه كانت
لبريطانيا وإمبراطوريتها قوات تربو كثيراً على قوات الولايات المتحدة ، في اشتباك
مع العدو غير ما كان لها في آخيا ضد اليابان وعندما وصلت قوات الجيش
الأمريكي الكبيرة المدد إلى نورمانديا في خريف سنة ١٩٤٤ كان لنا أن نتحدث
كأعداد أو كشركاء لنا النصيب الأوفى ، في كل ميدان من ميادين الحرب عن المحيط
الهادي وأستراليا . وقد صبح هذا القول حتى ذلك التاريخ في مدى الشهور المتتالية
في هذه المدة . ولكن بعد شهر يولية سنة ١٩٤٤ تفوقت الولايات المتحدة في عدد
الفرق للشبكة مع العدو وظل هذا التفوق حتى تم النصر النهائي بعد عشرة أشهر :
ومن مقارنة أخرى قت بها يقضح أن التضحيات التي قدستها قواتنا وقوات
إمبراطوريتنا كانت أكثر منها عند حليفنا الباسلة فقد بالغ عدد القتلى من البريطانيين
والفقدوين الذين يعدون في حكم الأموات ما يقرب من ٣٠٣٢٤٠ ومن
الدومنيون والهند والمستعمرات ١٠٩ر٠٠٠ وبصل المجموع إلى ٤١٢ر٢٤٠ غير
٦٠٥٠٠ من المدنيين الذين قضوا في النارات الجوية على المملكة المتحدة وخسائر
الاسطول التجاري والصيادين وقد بلغت ثلاثين ألفاً . ويقدر الأمريكيون خسائرم
في الجيش والقوة الجوية والبحرية وحرس السواحل ب ٣٢٢ر١٨٨ وهذه أرقام
استخلصتها من سجل الشرف وأنا مؤمن بأن روح الالفة والزمالة المشتركة التي
وطدتها هذه التضحيات التالية بالدماء الطاهرة ستظل موضع تقدير العالم الناطق
باللغة الانكليزية .

أما في البحار فلا شك أن الولايات المتحدة قد حملت عبء الحرب في المحيط
الهادي . وقد حققت لها المارك التي قامت قرب جزر ميداوى وفي بحر المرجان
سنة ١٩٤٢ النجاح وأعطتها الزمام في ذلك المحيط الترابي الأطراف وفتحت لها

الأبواب في هجمات على الأراضي التي احتلتها اليابان وعلى اليابان نفسها . ولم يكن في مقدور الأسطول الأمريكي أن يتحمل كذلك العبء في الاطلنطي والبحر الأبيض المتوسط ومن واجبي هنا أن أضع الحقائق في موضعها ، فقد كانت البحرية البريطانية هي التي أغرقت ٥٩٤ غواصة من ٧٨١ غواصة ألمانية و ٨٥ غواصة إيطالية أغرقت في البحار الأوربية والمحيطين الاطلنطي والهندي . كما أن بريطانيا هي التي أغرقت وعطلت سائر البوارج والطرادات والمدمرات الألمانية من تدميرها وأسرها الأسطول الإيطالي جميعه .

وهنا بيان بخسائر النواصات :

القوة المدمرة	المائة	إيطالية	يابانية
بريطانية	٥٢٥	٦٩	٩ ونصف
أمريكية	١٧٤	٥	١١٠ »
قوات أخرى وأسباب مجهولة	٨٢	١١	١١
المجموع	٧٨١	٨٥	١٣٠

فيكون مجموع النواصات التي دمرت ٩٩٦ .

وقد كانت للولايات المتحدة جهود كبيرة في معركة القتال الفعلية بقلاعها الطائرة على نطاق واسع من المحطات الأولى بعد ميناء التؤلؤ وقد استخدمت هذه القوات ضد اليابان وضد ألمانيا من قواعدها بالجزر البريطانية . وعلى الرغم من ذلك فبندما وصلنا إلى الدار البيضاء في يناير سنة ١٩٤٣ لم تسكن طائرة أمريكية واحدة قد قامت بغارة نهائية واحدة على ألمانيا وكان من المتصور أن يبدو أثر الجهود التي كانت الولايات المتحدة بصدد بذلها ولكن حتى نهاية سنة ١٩٤٣ : كان مجموع ما قذفته الطائرات البريطانية من القنابل على ألمانيا يزيد على ثمانية أضعاف ما ألقته الطائرات الأمريكية نهائياً وليلا على السواء . ولم ترجح كفة الولايات المتحدة إلا في ربيع سنة ١٩٤٤ . كذا قد دفننا بسائر قواتنا في البداية ولم تحتطع الولايات المتحدة أن تلاحق بنا أو تفوقنا إلا في سنة ١٩٤٤ بمجهودها الحربي الكبير .

ولا بد لنا أن نذكر أنه بفضل الولايات المتحدة زاد متادنا الحربي بمقدار الخمس نتيجة لمشروع الإجارة والتأجير الذي طبق في يناير سنة ١٩٤١ وكان في مقدورنا بفضل الأسلحة واللمدات التي منحنا إياها الأمريكيون أن نخوض غمار الحرب وكأفنا شعب يبلغ ثمانية وخمسين مليوناً ثمانية وأربعين وقد تدفقت المؤن إلينا من الأطلسي واستمر تدفقها بفضل إلتاج سفن الحرية التي تم إلتاجها على نطاق صليب . ومن ولحي هنا أن أذكر خسائرنا الملاحية بسبب أعمال العدو طوال مدة الحرب وهذا بيانها بالأرقام :

الجنسية	بالأطنان	النسبة المئوية
بريطانية	١١,٣٥٧,٠٠٠	٥٤
أمريكية	٣,٣٣٤,٠٠٠	١٦
جنسيات أخرى	٦,٥٠٣,٠٠٠	٣٠
المجموع	٢١,١٩٤,٠٠٠	١٠٠

وكان ٨٠ في المائة من الخسائر في نطاق المحيط الأطلسي تدخل ضمن مياه بريطانيا الساحلية وبحر الشمال أما في المحيط الهادي فلم تكن أكثر من خمسين في المائة .

وقد أوردت هذه الأعداد على سبيل إقامة الدليل بالأرقام على وجوب التقدير والاحترام المادلين للجهود الكبيرة التي بذلها شعب هذه الجزر الصغيرة حين أقيمت على كامله أعباء تلك الحرب التي هي أعظم حرب عرفها التاريخ ولا زعم لأنفسنا فيها فضلاً لم نكن أهله .



لعل من الأسهل تأليف وزارة - لا سيما إذا كانت ائتلافية أثناء خوض غمار المعركة ، من أي وقت آخر من أوقات الهدوء والراحة ففي هذه الأوقات يكون الإحساس بالواجب غالباً على كل شيء سواء حيث تخفى النوازع والأهواء فنجد أن تم الترتيب الأساسي مع زعماء الأحزاب بموافقة أحزابهم أصبح كل من اسقديتهم يقفون وكأنهم الجنود في معركة القتال . وينقلون إلى المراكز التي عينتها لهم

بغير تردد . وإذا كان النظام الحزبي عندنا ثابت الأركان فقد بدا لي أنني لن أواجه مشكلة الأوضاع الشخصية عند كل من قررت أن أدعوم من السادة المختصين . وإذا كان بعضهم قد تردد فلاعتمادات عامة . وهذا المسلك العظيم ينطبق كذلك على العدد الكبير من الوزراء المحافظين والأحرار القوميين ، الذين اضطروا إلى ترك مناصبهم باستقالة رئيسهم واعتزال حياتهم الرسمية في مثل هذه الظروف البائلة أفصى ما يمكن من الأهمية والحساس

وكانت للمحافظين أغلبية تزيد على المائة والمشرن مقعدا بالنسبة إلى عدد مقاعد الأحزاب جميعاً . وكان المستر تشمبرلن هو الزعيم الذي اختاروه . وكان لا بد لي أن أقدر أن الإناء ثمراته ستقابل بامتصاص عند الكثيرين منهم لا سيما وقد قضيت السنوات الطويلة ألقده وأوجه إليه اليوم الشديد في بعض الأحيان . ولا شك أن الكثيرين منهم كانوا يعرفون أنني قضيت حياتي في احتكاك معه يبالغ حد الصراع البارز مع حزب المحافظين . واثني تخليت عنهم في موضوع حرية التجارة ثم عدت إليهم كوزير للامالية . وكنت بعد ذلك خصما لهم في موضوع الهند والسياسة الخارجية والحاجة إلى الاستعداد للحرب . وكان من المسير عليهم أن يرضوا بي رئيساً للوزراء فضلاً عن أن الولاء لرئيس الحزب المختار من الظواهر المعروفة لدى المحافظين . وإذا كانوا قد قصروا في واجبه الوطني في بعض المسائل في السنوات السابقة للحرب . فقد كان هذا ناشئاً لولائهم للرئيس المختار . إلا أن هذه الاعتبارات جميعاً لم يكن لها أثر في نفسي . فقد كنت أدرك أنهم جميعهم انصافوا في هذا التيار .

وقد عرضت أول الأمر على المستر تشمبرلن رئاسة مجلس العموم وقبل هذا العرض كما عرضت عليه رئاسة مجلس الملك الخاص ولم ينشر شيء من ذلك إلا أن المستر إتلي قال إن حزب العمال سيوجد صعوبة في العمل وفق هذا النظام في حالة قيام وزارة ائتلافية يجب أن تكون رئاسة المجلس مقبولة من سائر الأحزاب . وعرضت هذا الأمر على المستر تشمبرلن فقبل عن رضا أن يتخلى عن رئاسة المجلس فتوليها بنفسه وقد احتفظت بها حتى شهر فبراير سنة ١٩٤٢ وفي خلال تلك الفترة كان للمستر إتلي يندوب عني وقوم بالأعمال اليومية المألوفة . وكانت لخبرته الطويلة في الممارسة جدواها

ولم أكن أقوم بالآسة إلا في الحالة البالغة حد الأهمية القموى وإن كانت هذه الحالات تتكرر كثيراً .

وقد شعر كثير من المحافظين بأن زعيمهم قد أسىء إليه إلا أنهم جميعاً أعجبوا بحسن مسلكه . وفي اليوم الأول لدخوله المجلس في وضمه الجديد في اليوم الثالث عشر من شهر مايو قام نواب حزبه جميعاً وتآلف منهم النابية الكبرى بالمجلس واستقبلوه بظاهرة حمائية عظيمة تدل على المطف والاحلال وكانت المضافات والصحيات الموجهة لى تنبعت من مقاعد الممال . ولكن الولا . المستر تشمبرلن وتأبيده كانا قوبين ثابتين . وكنت أنا كامل الثقة بنفسى .

وقد لافيت ضفطاً شديداً من صفوف الممال وبعض الشخصيات البارزة المتحمسة التى لم تشترك فى الحكومة الجديدة لتطهير « المذنبين » والوزراء الذين كانوا مسئولين عن ميونخ أو الذين قصرُوا فى استمداداتنا الحربية . ولكن الوقت لم يكن مناسباً لحمراننا من رجال أكفاء مخلصين يمتازون بخدمتهم الطويلة فى المناصب الوزارية . ولو خضمت لهذا الضفط الذى بباغ حد اللوم لكان على أن أخرج ثلث الوزراء المحافظين والملى بأن المستر تشمبرلن هو زعيم المحافظين فقد تبين لى أن مثل هذا العمل سيقضى على الوحدة القومية فضلاً عن أنى لا أرى اللوم يقع على جهة واحدة وإذا كانت المسئولية الرسمية تقع على حكومة ذلك الوقت فإن المسئولية الأدبية تتناول عدداً أكبر من الشخصيات . وكنت لا أزال أذكر سلسلة طويلة من أقوال الوزراء الممال والأحرار واقتراحاتهم وقد أثبتت الأحوال خطأها وحمافتها ولهذا فقد عارضت هذه النوازع . وقات بعد بضعة أسابيع : « إذا كان الحاضر سيقف موقف القاضى من الاضى فإنه سيضيع المستقبل » . وقد كانت حججى مع مانواجه من أحداث الساعة قاضية على هذه الاعتراضات جميعاً .

وكانت أوضاعى فى هذه الأيام الأولى بالغة حد الترابية . فقد كان علينا أن نعيش فى الحركة التى تركت عليها سائر أفسكارنا . وكان على أن أحرف ونقى فى تأليف الحكومة ومقابلة السادة الذين لا بد لى أن أهابهم وأن أحفظ التوازن بين الأحزاب

ولا أستطيع أن أوضح كيف كنت أقضى هذه الساعات . وكانت الوزارة البريطانية تضم ما يقرب من ستين أو سبعين وزيراً من وزراء التاج . وكان على أن أضع كل إنسان في موضعه المناسب مع النظر إلى مصالح الأحزاب الثلاثة ومطالبها . ولم يكن على أن أقابل كبار الشخصيات التي ستشترك في الوزارة بحسب بل على أن أقابل الكثير من الرجال ذوي الكفاية الذين يختارون لشغل المناصب ولو كانت مقابلات تستغرق دقائق ممدودات . وعلى رئيس الوزراء أن يعنى برغبات زعماء الأحزاب في الأشخاص الذين يختارون من أحزابهم لشغل المناصب الوزارية . وقد سرت وفق هذا المبدأ وتقيدت به . وإذا كنت قد تجاوزت عن عدد من المستحقين للوزارة بناء على رغبات سلطاتهم الحزبية فإني لأسف لذلك أشد الأسف وهما يكن الأمر فإن الضغوط التي وجبتها لم تكن كثيرة

وقد وجدت في كليمنت أتلي زميلاً له خبرة حربية كبيرة وتجارب في أعمال مجلس العموم . وكان كل ما بيننا من خلاف في وجهات النظر يقتضي بالمبادئ الاشتراكية . ولكن هذه الخلافات قد أذابتها الحرب التي تقضى على الفرد بالتخضوع للدولة خضوعاً تاماً . وقد اشتركتنا في العمل معاً بيسر وثقة طوال مدة الحكومة وكان المستر آرثر جربنود مستشاراً شجاعاً سديد الرأي وكان كذلك صديقاً عظيماً نافعاً .

ورأى السير أرشيبيلد سنكلر وهو الزعيم الرسمي لحزب الأحرار من المسير عليه أن يقبل منصب وزير الطيران ، ويصر أتباعه على أن يكون له مقعد في وزارة الحرب . ولكن هذا لم يكن يتفق ووضع وزارة الحرب الذي يقضى بأن تكون في أصغر نطاق . لهذا فقد رأيت أن يضم إلى وزارة الحرب إذا كان الأمر يتعلق بالقضايا السياسية الرئيسية أو ائتلاف الأحزاب . وكان أرشيبيلد صديقاً كما أنه كان زميلاً حين كنت أتولى قيادة فريق الرماة الملكي الاسكتلندي السادس سنة ١٩١٦ . وكانت نفسه تميل إلى التقدم في ميدان العمل الذي خصصته له . وقد حلت هذه المشكلة بطريقة ودية بعد مباحثات طويلة . أما المستر أرنست بيغن الذي كنت قد تعرفت إليه في بداية الحرب عندما حاولت تخفيف بعض مطالب الاميرالية .

قد طلب الرجوع إلى الاتحاد العام للعالم والنقل المشترك الذي كان يقوم بأمانة سره قبل أن يقبل منصبه الهام كوزير للعمل . وقد دامت هذه الاستشارة يومين أو ثلاثة . ولكنها كانت تستحق كل هذا التأخير . إذ أن الاتحاد وهو أكبر اتحاد من نوعه في بريطانيا ، أعلن موافقته بالإجماع على قراره بأشراكه في الحكم وظل هذا القرار قائماً وقوياً مدى خمس سنوات .

وكانت هناك صعوبة كبرى بشأن اللورد بيغبروك . فقد كنت أعتقد أنه يستطيع أن يقوم بخدمات كبيرة للقضية المشتركة وكنت بدم تجاربي السابقة في الحرب الماضية قد صممت على أن أفضل إنتاج الطائرات وتحطيطها عن وزارة الطيران وطلبت منه أن يكون وزيراً لإنتاج الطائرات . وانضج لي بادی الأمر أنه متردد لإدراك ما لهذا المنصب من أهمية كما أن وزارة الطيران لم تكن لها الرغبة في فصل هذا الفرع الهام من أعمالها . وكانت هناك جهات أخرى تمارض في تعيينه . ولكنني كنت أعتقد عن ثقة أن حيائنا تركز على استمرار إنتاج الطائرات وكنت بحاجة إلى حيويته الكبرى وشدة حماسه ومن ثم تمسكت بوجهة نظري .

وكان من الهتم مراعاة للرأي العام والبرلمان والصحافة أن تقوم وزارة الحرب في أشتق الحدود . لهذا بدأت وزارة الحرب بخمسة وزراء لحسب . وكان هؤلاء الخمسة أبرز ساسة العصر . وكان من الضروري لإدارة دفة الحرب أن يحضر وزير المالية ووزير حزب الأحرار اجتماعات الوزارة غالباً وبعمرور الزمن ازداد عدد «الحاضرين الدائمين» إلا أن المسئولية جميعها كانت تقع على الخمسة الوزراء . ولو قدر علينا أن نحضر الحرب قد كان حقاً أن تقطع روس هؤلاء الخمسة لحسب على أبراج قلعة لندن . وكان على الشعب أن يكتفي بلوم الآخرين على ما يكون من التفسير في شئون وزاراتهم ولا يستطيع أن يوجه إليهم أى لوم فيما يكون من ضنف في سياسة الدولة . ويستطيع أى وزير عدا وزراء الحرب أن يقول لا يمكنني أن أعمل . مسئولية هذا العمل أو ذلك ، إذ أن هب السياسة كان يقع على مستوى رفيع . وقد كان لهذا النظام شأنه في إزالة القلق من نفوس الكثيرين في الأيام التي قدر لنا أن نواجهها .

لقد تقلدت في حياتي السياسية الطويلة كثيراً من المناصب الهامة في الدولة .

ولكننى أفر أن المنصب القى ألقى على أعياؤه الآن كان أحبها إلى . ولا شك أن فرض السلطة على الآخرين أو إضافتها إلى عظمك أمره ما يبرره . أما معرفة الإنسان ما يجب أن يؤديه في الأزمات القومية . فنعمة من نعم الله فليس ثمة من وجه للمقارنة في ميادين العمل على اختلافها بين الذين يقتلون للمنصب الأول وبين غيرهم ممن يحتلون المراكز الثانية أو الثالثة أو الرابعة وقد تكون الواجبات والمشاكل الملقاة على عاتق هؤلاء مختلفة عن واجبات الأوائل ومشاكلهم وأكثر صعوبة . وقد يكون لسوء الحظ أن يهدد إلى الشخص الثانى أو الثالث في المرتبة بوضع سياسة أو خطة ذات مسئولية كبيرة فعليه في هذه الحال أن لا ينظر إلى اتفاق الخطة فحسب ، بل إلى آراء رئيسه كذلك وأن لا ينظر بعين الاعتبار إلى ما سيقدمه من إرشادات فحسب بل لا بد له أن يراعى ما يجدر به أن يقدمه كمنصبية أيضاً . وأن لا يدرس ما يجب عليه أن يعمل بل كذلك ما يمكن أن يقبل ويكاف بتنفيذه . وفصلاً من ذلك فإن الشخص الثانى أو الثالث في المرتبة يجد نفسه مضطراً أن يحسب حساب الرابع والخامس والسادس أو حساب رجل بارز الشخصية وإن كان في الصف الشرين فالطموح يتألق في كل خاطر لا رغبة في الأفراس الوضيعة بل رغبة في طلب الشهرة . وأذكر أننى في سنة ١٩١٥ انهار موقفى بصفة مؤقتة في موضوع الردديل . وعهد من مشروع كبير كنت قد أردته وما ذلك إلا لأننى حاولت من منصب ثانوى أن أنفذ عملية من عمليات الحرب الكبرى . وإنى لأنصح غيرى بأن لا يقوم بمثل هذه التنازلات . فقد كانت لي عبرة مما وقع لي وقد سارت جزءاً لا يتجزأ من حياتي .

ولكن الأمر بالنسبة لمن يقف موقف القيادة فإنه أكثر تيسيراً وحسب القائد أن يكون على ثقة بأن ما قرره هو خير ما يعمل ويكفى أن يكون قد صمم على أمر من الأمور .

وأوجه الوفاء لصاحب المنصب الأول كثيرة فإذا سافر وجد من يخلفه وإذا أخطأ وجد من يدارى خطأه . وإذا نام يجب أن لا يوقظ من نومه لأمر بسيط . وإذا كان غير صالح قتل وإن كان هذا لا يحدث كل يوم لاسيما في الأيام الأولى من القيادة .

وكانت التغييرات الرئيسية في جهاز إدارة دفة الحرب أكثر في حقيقتها مما يبدو في ظاهرها وقدماً قال نابليون « يجب أن يكون الدستور قصيراً وواضحاً » . أما الأجهزة القائمة فظلت على حالها كما لم يحدث أى تغيير في الشخصيات الرسمية . وقد واسات وزارة الحرب ولجنة رؤساء أركان الحرب أول الأمر عقد اجتماعاتها اليومية كما كان يحدث من قبل . وعند ما أطلقت على نفس لقب وزير الدفاع بموافقة الملك لم أكن قد أحدثت أى تغيير قانونى أو دستورى . وقد كنت هريصاً على عدم تحديد حقوقى وواجباتى ولم أطلب لنفسى أية سلطة خاصة لا من التاج ولا من البرلمان . ولكن كان من المروف والمقبول أننى سأدير دفة الأمور وأنولى التوجيه العام لشئون الحرب مع شرطه معتمداً على تأييد وزارة الحرب ومجلس العموم وكل ما كان من تغيير عند ما توليت الحكم هو أن لجنة رؤساء أركان الحرب أصبحت تحت رئاسة وزير للدفاع يتمتع بسلطات غير محدودة أو خاضعة للتوجيه . ولما كان هذا الوزير هو فى الوقت نفسه رئيس الوزراء فقد كان يتمتع بجميع السلطات التى تخولها له الرئاسة . ومنها حق اختيار الموظفين وإقالتهم وتنصيبهم سواء أكانوا سياسيين أو عسكريين . وهكذا أصبحت للجنة رؤساء أركان الحرب سلطتها ومركزها الذى يحول لها الاتصال مباشرة برئيس الحكومة . وأصبح لها بالاتفاق معه حق تعيين شئون الحرب وتوجيه القوات المسلحة .

وإذا كان وزراء البحرية والحرية والطيران ليسوا أعضاء فى وزارة الحرب ، كما أنهم لا يحضرون اجتماعات لجنة رؤساء أركان الحرب فقد تأثرت مراكرم عملاً إن لم يكن مظهراً وظالوا مسئولين عن وزاراتهم مسئولية كلية . ولكنهم قدنوا مسئولياتهم عن وضع الخطط الاستراتيجية وإدارة العمليات الحربية من يوم لآخر فهذه المسائل تقرر فى لجنة رؤساء أركان الحرب التى تعمل برأسة وزير الدفاع ورئيس الوزراء وهو الذى يتولى فى نفس الوقت رئاسة وزارة الحرب . وقد كان موقف وزراء الحرب الذين اختارتهم من أسدقائى الأكثر كفاية وإخلاصاً موثقاً كرمياً . فلم يبرروا المظاهر أهمية تذكر وعملوا بحمد على تنظيم القوات المسلحة التى زاد عددها وإدارتها . وبذلوا كل ما فى وسعهم . على الطريقة الانجليزية العملية

البسيطة وكانت عضويتهم في لجنة الدفاع مجهولهم على علم بكل ما يحدث وكان يسمح لهم بالحضور عندى في أى وقت . وكان المحترفون من مساعديهم إلى رؤساء أركان الحرب يبحثون معهم سائر الأمور ويعاملونهم بالاحترام والتقدير وإن كان هناك توجيه كامل لإدارة دفة الحرب . وقد قبلوا هذا التوجيه باخلاص تام . ولم ينض من سلطتهم . وكان لسلك إنسان أن يعبر عن رأيه بحرية على الدوام . ومرعان ما تحولت الإدارة الفعلية للحرب إلى أيد قليلة . وقد تيسر كل ما كان متصلاً من قبل إلا شيء واحد هو هتار ومع الأحداث المتقلبة والكوارث التي كنا نواجهها فقد ظل العمل يسير بطريقة آلية منتظمة وأصبح في مقدور الإنسان أن يحمي في جو من التفكير للتواصل الذي يستطيع أن ينقله إلى أعمال تنفيذية بصورة عاجلة .

كانت المعركة تدور عند القنطرة . ولعل القارىء يتوق إلى الوصول إلى المعركة . ولكنى أرى من الأفضل هنا أن أشرح النظام والجهاز الذين ادارا دفة الشئون العسكرية وغيرها منذ توليت الحكم « وكنت ومن دأبنا بأن الأعمال الرسمية لا بد أن تصدر عن أوامر خطية مكتوبة . وإذا كان للرغبات والآراء شأنها إلا أنها يمتلئ بالنظام العسكري فإن التوجيهات الخطية الصادرة عن رئيس الحكومة التي له الحق الشرعى والدستورى في إصدارها والذى يتولى شئون وزارة الدفاع كان لها أثرها واعتبارها وإن لم توضع في سبينة الأوامر وكانت تؤتى تمامها .

وحتى لا يساء استخدام اسمي في أمر من الأمور أصدرت أثناء أزمة شهر يولية
البيان التالى :

« أعلن بكل وضوح أن سائر التوجيهات التي أصدرها ستكون خطية .
أو تؤكد خطأ بمد صدورهما . ولن أقبل فيما يمتلئ بالدفاع الوطنى
مسئولية أية قرارات إلا إذا كانت قرارات خطية » .

وقد كنت عندما أستيقظ من نومي في الساعة الثامنة من الصباح أقرأ جميع
البرقيات الواردة . وأملئ من فرائي فيضا من المذكرات والتوجيهات : فتقطع في
الحال وتعلم إلى الجئرال إسبان وكيل الوزارة العسكرية لوزارة الحرب الذى كان

يُعْلنى فى لجنة رؤساء أركان الحرب . وكان يحضر لمناقشة كل صباح . فإذا اجتمعت
لجنة رؤساء أركان الحرب فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً يكون الجفرال قد وضع
أمامها عدداً كبيراً من التوجيهات الخطية . وكان أعضاء اللجنة يولون توجيهات كل
اعتبار وهم يدرسون الوضع بصفة عامة . فإذا كنا ما بين الثالثة والخامسة بعد الظهر
فإن الأوامر والبرقيات التى أسسدها باسمى والتى يرسلها رؤساء أركان الحرب
بالاتفاق عليها تكون قد بلغت جميعاً عدا بعض الأمور التى قد يكون فيها بعض
الخلاف وتطلب المزيد من المشاورات .

ولعل من المفضل وضع حد فى الحرب الجماعية بين الوسائل العسكرية وغيرها .
وقد كان لشخصية السير إدوارد برىدجز الأمين العام لوزارة الحرب الفضل فى عدم
قيام أى احتكاك بين الموظفين العسكريين وموظفى وزارة الحرب . وقد كان وهو سليل
أحد شعراء التاج السابقين ، مجداً فى عمله لا يكل ولا يمل وله مقدرة عظيمة وجاذبية
كبيرة ، يبعدا عن الغيرة والحسد . وكان كل ما يهيمه أن يقوم جهاز الأمانة العامة
لوزارة الحرب بخدمة رئيس الوزراء والوزارة بكل ما يستقطع من القدرة والكفاءة ولم
يفكر على الإطلاق فى شخصيته أو منصبه ، ولم يقع بينه وبين أحد ممن كانوا تحت
سلطته فى الأمانة العامة أى احتكاك .

وفى القضايا الكبيرة أو الخلاف فى الآراء كنت أدعو اللجنة الدفاعية لوزارة
الحرب وكانت تضم فى بادئ الأمر للستر تشمبرلين والستر أنكى ووزراء القوات
المسلحة الثلاثة ورؤساء أركان حربهم . وقد أخذت هذه الاجتماعات الرسمية تقل
بعد سنة ١٩٤١ . فلما رأيت أداة الحكم قد أصبحت تسير بيسر لم أجد ضرورة
لمقد اجتماعات يومين لوزارة الحرب بحضور رؤساء الأركان . ولجأت إلى ما سميته
فى بعد « بالمرض الوزارى يوم الاثنين » فى هذا اليوم تمقد اجتماعات عديدة يحضرها
وزراء الحرب ووزراء القوات المسلحة ووزير الداخلية ووزير المالية ووزير الشؤون
المتعلكات المستقلة ووزير الهند ووزير الاستعلامات ورؤساء أركان الحرب والوكيل
الدائم لوزارة الخارجية وكان كل من رؤساء أركان حرب يقدم بياناً بأعماله من الأيام
السبعة السابقة ثم يليهم وزير الخارجية فيعرض أهم التطورات فى الشؤون الخارجية

التي حلت في هذا الأسبوع أما في باقي أيام الأسبوع فقد كانت وزارة الحرب تمقد اجتماعها الخاصة على انفراد وتقرر ما نشاء في سائر القضايا الهامة التي تعرض عليها وتطلب الموافقة . وفي بعض الأحيان كان يحضر هذه الاجتماعات الوزراء الآخرون الذين يمتنون بما يعرض في هذه الاجتماعات . وكان أعضاء وزارة الحرب يظلمون على كل ورقة لها صلة بشئون الحرب ويظلمون على سائر البرقيات التي أبنت بها . ومع نمو الثقة المتبادلة أخذ يقل التدخل الفعلي لوزارة الحرب في العمليات العسكرية . وإن كان الوزراء ما زالوا يرقبون كل شيء باهتمام وقد رفع الوزراء عن كاهل سائر الأعباء التي تتعلق بالمشاكل الداخلية والحزبية . حتى يتسع لي المجال فيها هو أم من الأعمال . إذ كدت استشيرهم دائماً في الأعمال المقبلة قبل وقوعها . وعلى الرغم من أنهم كانوا يطلبون إلى أن لا أعلمهم على التواريخ والفتاويل ويمتنونني من الحديث عنها في بعض الأحيان فقد كانوا يولون هذه الأمور كل اهتمام ولم يكن من همي أن أحزن بمصعب وزارة الدفاع إلى وزارة فعلية وكان على أن أجرى التدبيلات الدقيقة التي شرحتها آنفاً والتي تيسرت بالملاقات الشخصية والنوايا الخالصة بطريقة أديتولة . وإذا كان الوقت لم يكن مناسباً لما فقد كان هناك جهاز عازم فعال تحت المرافقة لشخصي . الوزراء وذلك هو الجناح العسكري للأمانة العامة لوزارة الدفاع . إن هذا الجهاز هو الذي قام بالتنسيق للحزب باسم الأمانة العامة للجنة الدفاع الإمبراطوري ويقوم الذي بأوامر هذا الدفاع الجنرال إسبان والكونتويل هوليس . والكونتويل جاكوب . كينيا . وبينما لا يفتقر ولغيف من الشباب المخابراتية فمن فروع القوات المسلحة . وقد أصبح هذا الفريق الذي الأمانة العامة وكأنيهم من موظفي مكتب وزير الدفاع . ولا شك أنني جازي لهم اهتمام لا يوهف . وقد ارتقى كل من الجنرال إسبان والكونتويل هوليس والكونتويل جاكوب في الرتبة وفي الشهرة تدريجياً أثناء الحرب ولكن لم يهتم مركز أحد منهم بالتغيير في مثل هذه الأوضاع التي تكتنفها السرية يبرم بإعزاز بلغة توفيق سير العمل بصورة مرضية . وقد وجد شيء من الاستقرار في خطة أركان الحرب بعد التغييرات الأولية التي أجريتها . فقد عين المارشال الجوى ليوزال بعد أن أنهى خدمته العسكرية كرئيس

(٩ - مذكرات)

لأركان حرب الطيران في سبتمبر سنة ١٩٤٠ حاكماً عاماً في نيوزيلندا وحل محله
للمارشال الجوي لورنال التي بزغ نجمه في القوى الجوية وظل يعمل مدى طوال أيام
الحرب . وكان السير جون ديل قد خلف الجنرال إرونسايد في مايو سنة ١٩٤٠
وظل رئيساً لأركان حرب قوات الإمبراطورية حتى رافقى في زيارته لواشنطن في
ديسمبر سنة ١٩٤١ حين عينه ممثلاً عسكرياً لدى الرئيس روزفلت ورئيساً لمهمة
الأركان المشتركة لقواتنا هناك وقد أصبحت سلته الطيبة بالجنرال مارشال رئيس
أركان حرب الجيش الأمريكي لما قيمتها التي لا تقدر في سائر أعمالنا . فلما قضى نجه
وهو يقوم بواجبه بمد ستين أكرمه الأمريكيون فدفنوه في مقبرة أرلينجتون التي
خصصت لكبار العسكريين الأمريكيين وقد خلفه في رئاسة أركان حرب القوات
الإمبراطورية السير آلان بروك الذي عمل مدى حتى آخر الحرب .

ومنذ سنة ١٩٤١ والسنوات الأربع التالية التي انتهت أوائلها في حالة من
السكرات والفشل . كان التغيير الوحيد الذي حدث في هذه الفئة الصغيرة من
رؤساء أركان الحرب أو كبار موظفي الدفاع تابعاً لوت الأميرال باوند وهو يؤدي
واجبه . وربما كان هذا رقياً غريباً في التاريخ العسكري البريطاني . وقد احتفظ الرئيس
روزفلت في دأثره الخاصة بهذا النظام . فقد بدأ رؤساء أركان حرب القوات المسلحة
الأمريكية وهم الجنرال مارشال والأميرال كينج والجنرال أرنولد الذين انضم إليهم
الأميرال إيهي فيما بعد الحرب وهم في مناصبهم وانتهت الحرب وهم ما زالوا في نفس
المناصب . وإذا كان هؤلاء مع زملائهم البريطانيين يؤلفون لجنة القيادة المشتركة فقد
كان لهذا النظام فائدته . وهذا الوضع بين الحلفاء لم يعرف له مثيل من قبل .

ولا أزمع أن الخلاف لم يقطع قط بيننا في الوطن . ولكن نوعاً من حسن التفاهم
أصبح بيننا بحيث أصبح في مقدورنا أن نحل أي خلاف بيننا في بساطة ويسر وأن
يقدم كل منا الآخر دون حاجة إلى أن يضطهاد أو يصدر إليه الأمر . ومما ساعد على
ذلك أننا كنا نستطيع أن نتحدث بنفس اللغة الفنية . وكانت لنا جميعاً فكرة عسكرية
وخبرة طويلة بشئون الحرب . وكنا في هذه الأحوال المتقلبة نسير وكأننا رجل
واحد . وكانت وزارة الحرب تلتقي علينا حجاباً من السرية . وعمدنا بالثقة والنيات

الذين لا يعتبرهما الضعف . ولم يكن ثمة انقسام في الرأي بين السياسيين والمسكرين . كما حدث في الحرب المصنية . أو بين « حلة الفراك » و « الخوذة الفولاذية » فقد كذا قرييين فيها بيننا . وقد خلقنا صداقات كان لها في رأي أبلغ الأثر .

وتقوم كفاية الإدارة الحربية على القرارات الصادرة من السلطة العليا ، هل تطامح طامة حمياء وبصدق وإخلاص . وقد صبح لنا هذا في بريطانيا خلال هذه الأزمة بسبب الإخلاص الشديد والإدراك والزمعة النبتة من القلوب عند سائر أعضاء وزارة الحرب على المنزل الذي وهبنا أنفسنا لأجله . وكانت السفن والقوات والطائرات تتحرك والمصانع تعمل وفق التوجيهات . وقد استعملت بفضل ما لديه من إخلاص وتماثل في أداء الواجب أن أقود كل ناحية من نواحي مجهودنا الحربي قيادة تامة . وكان هذا أمراً محمواً فالأمور تسير في سيرة سيئة للغاية وقد قبل الجميع الخطوة التي وضعتها إذ أن كل إنسان كان يدرك أننا على شفا الموت والهلاك . ولم يكن الموت في هذه الحالة أمراً فردياً كما هو معروف . ولكنه الموت الإجماعي الذي لا مثيل له ، لبريطانيا وحياتها ومجدها التليد .



ولا شك أن كل حديث عن أسلوب الحكم الذي تطور في ظل الائتلاف القوي يكون ناقصاً إذا لم أوضح سلسلة الرسائل الشخصية التي أرسلتها إلى رئيس الولايات المتحدة ورؤساء الدول الأجنبية وحكومات الدومنيون . فمن حق أن أشرح هذه الرسائل . ولا كنت قد حصلت من مجلس الوزراء على القرارات اللازمة لتعديد سياستنا . فقد تسكفات بإنشاء هذه الرسائل بنفسي وإملائها باعتبارها رسائل شخصية بين أصدقاء وزملاء وليست لها صفة رسمية . وقل أن أمرض سيئتها على أعضاء الوزارة قبل إرسالها . وكنت أقبل على عمل بقوة وحرية وكنت على اتصال تام بوزير الخارجية وأعضاء وزارته . وكنا نحمل كل خلاف بيننا في الرأي عاجلاً وبطريقة من التماون والتآلف : وكنت في كثير من الأحيان أقوم بتوزيع سوز البرقيات التي أبت بها ، على أعضاء وزارة الحرب بمد إرسالها . وإلى وزير الممتلكات المستقلة إذا كان الموضوع له صلة بوزارته . وكنت بطبيعة الحال قبل إرسال البرقيات

أزجج في مختلف الشئون والحقائق إلى الجهات الخاصة . أما الرسائل العسكرية فكانت تتحول من مئدى عن طريق الجنرال إيمان إلى رؤساء أركان الحرب . ولم تكن هذه الطريقة تتعارض بحال من الأحوال مع طرق الاتصالات الرسمية أو أعمال السفراء لكنها أصبحت مع ذلك الطريقة المثلى لتنفيذ الأعمال الحيوية الساجلة . وكان لها أثرها البالغ في إدارة دفة الحرب . بصورة لا تقل إن لم تكن تزيد في بعض الأحيان ، على وإيمان في وزارة الدفاع .

وكانت طريقي في إنشاء الرسائل موضع إعجاب أعضاء الدائرة المختارة الذين أعطيتهم الحرية التامة في ابتداء آرائهم . وقد أولوا في نفقتهم التامة وكنا نحل سائر العلاقات التي تقع مع السلطات الأمريكية بالاتصال المباشر في بضعة ساعات . وقد برهن هذا الاتصال القوي كنت أقوم به ، على المستوى الرفيع على نجاح كبير حقا . أتى حرصى على أن لا أتجه للشئون المألوفة بين الدوائر والوزارات . وكنت أرخص على الدوام طلب زملائي الاتصال بالرئيس شخصيا في بعض المسائل المتعلقة بالتفصيلات . ولو تحولت هذه الاتصالات إلى اتصالات شخصية غير لائقه لفقدت مالها من سرية ومن ثم تفقد مالها من أهمية .

وقد توصلت علاقاتي بالرئيس شيئا فشيئا حتى أصبحنا ندير دفة العمل الرئيسى بيننا وبين طريق ما بيننا من اتصالات شخصية . ولذلك تم لنا التفاهم . وإذا كان روزفلت رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة في نفس الوقت ، فقد كانت في يده السلطة الكاملة على القول والفعل . في مسائل الأمور . وإذا كانت لدى السلطة التامة في وزارة الحرب . فقد كنت أنا كذلك . أمثل بريطانيا العظمى على نفس المستوى . ولبن ثم كانت بيننا درجة كبيرة من الاتفاق والمواثمة . ولا شك أن الوقت الذى إتصفنا به هذه الاتصالات . والإقلال بين هذين الطرفين عليها كان له أثر جيدا لا يمكن تقديره . وكنت أرسل برقياتى إلى السفارة الأمريكية في لندن وهى على اتصال مباشر على الدوام بالبيت الأبيض بأجهزة خاصة . وكانت ترد إلى الردود فيها يملأى بتسوية القضايا عاجلة . مع ملاحظة الساعات بيننا وبين واشنطن . فإذا أعددت رسالة في المساء أو الليل أو في ساعات مبكرة من الصباح تصل إلى الرئيس روزفلت

قبل أن يأوى إلى فراشه وقد أرسلت إليه تسعة وخمسين رسالة وتلقيت منه قرابة الثمانمائة ردّاً عليها وكنت أحس دائماً أنني اتصل برجل عظيم فضلاً عن أنه سديق صدوق ونصير كبير للقضايا السامية التي تدافع عنها .

وفي يوم الاثنين الثالث عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ طلبت إلى مجلس العموم في جلسة طارئة الاقتراع على الثقة بالحكومة الجديدة ، وبعد أن قدمت للمجلس ماحققته من تقدم في شغل المناصب الخالية قلت « ليس لي ما أقدمه لكم غير الدماء والعرق والدموع والنصب » وهذا البرنامج الشعبي المختصر لم يسبق لرئيس وزراء أن تقدم بمثله للبرلمان في تاريخنا الطويل ، ثم انتهيت إلى أن قلت :

« قد تسألون . ما هي السياسة التي تتبعها ؟ وأقول لكم هي سياسة الحرب . من البحر والبر والجو بكل ما لدينا من قوة . وبكل ما يمنحنا الله من مزية نحارب طغياناً رهيباً ليس له مثيل في تاريخ الجرائم التي ارتكبتها البشر . هذه هي سياستنا . وقد تسألون ما هو الهدف ؟ وردى على ذلك كلمة واحدة وهي النصر . النصر مهما كلفنا من ثمن . النصر رغمنا عن الخوف . النصر رغم طول الشقة ووعورة الطريق . فلا حياة لنا دون هذا النصر . وعليكم أن تعرفوا جيداً أن ليس للامبراطورية البريطانية بقاء . ولا لكل ما مثله بريطانيا . وما حملته القرون من دوانج للسير بالجنس البشرى إلى الأمام لتحقيق أغراضه دون هذا النصر . وقد قبلت القيام بهذه المهمة محدّوئاً الأمل والعزم الصادق . وأنا على ثقة بأن قضيتنا لن ينالها الفشل . وأستطيع الآن أن أزعم نصرة الجميع وتأيدهم وأقول « هلموا إذن ولنتقدم معاً إلى الأمام متكاتفين يدّاً واحدة » .

وقد اقترح المجلس على الثقة بالإجماع بعد بيان هذه الحقائق وأجل جلساته إلى الحادي والعشرين من شهر مايو .

وهكذا قفنا جميعاً بالواجب المشترك فيما بيننا ولم يلق رئيس وزارة بريطاني من ولاء زملائه ومساعدتهم مثل مالقىته في السنوات الخمس التالية من هؤلاء الرجال الذين كانوا يمثلون سائر الأحزاب ، وقد حافظ البرلمان على حريته الانتقادية ولكنه كان يؤيد دائماً جميع الإجراءات التي تقررهما الحكومة . وكانت حالة الشعب يشعلها حماس واتحاد لا مثيل له في تاريخنا من قبل ، وكان هذا أمراً طبيعياً فقد واجهنا أحداثاً شديدة لم يرها شعب في زمن من الأزمان .

معركة فرنسا

حين وقعت الحرب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ جعل الألمان القوة الرئيسية لجيشهم وسلاحهم الجوي مركّزين على غزو بولندا واحتلالها . وعلى طول الخط من إكس ليشابل إلى الحدود السويسرية وقفت اثنتان وأربعون فرقة . ولم يكن معها قوة مدرعة . وكانت فرنسا تستطيع بعد أن عبات قواتها أن تقيم في هذه الجبهة سبعين فرقة . ولكنها لم تفعل للأسباب التي قدمتها آنفاً وقد رأت أن من المتعذر القيام بهجوم على ألمانيا في ذلك الوقت ولكن الوضع في المشرق من شهر مايو سنة ١٩٤٠ تغير كل التغيير . فقد استفاد العدو من مهلة الثمانية أشهر ومن تحطيم بولندا فاستعد بدحو مائة وخمسين فرقة وسلاحها ودرجها حتى أصبحت كاملة ، منها عشر فرق مدرعة وكان من أثر الانتفاضة التي عقدها هتلر مع ستالين أن خفض الألمان قواتهم في المشرق إلى أقل عدد . ويقول الجنرال هولدر وهو من كبار ضباط القيادة العليا الألمانية : إن هتلر لم يخلف أمام روسيا في المشرق غير قوة صغيرة لا تصلح إلا للتنظية أو جمع الضرائب . وقد سمح الروس للألمان — دون مبالاة بالمستقبل — بأن يدمروا الجبهة الثانية في الغرب التي اضطروا بعد فترة قصيرة من الزمن إلى أن يطالبوا بها وينتظروا فتحها بقلق وفزع . ومن ثم أتت لهتلر أن يواجه هجومه المخاطف على فرنسا بمائة وست وعشرين فرقة وبكل ما في فرقة المشرق من أسلحة مدرعة ويد ثلاثة آلاف سيارة مصفحة منها ألف دبابة ثقيلة على الأقل .

وقد حشد الفرنسيون أمام هذه القوة الكبيرة التي لم تكن على علم بحقيقة وحداتها وتوزيعها نحو ثلاث ومائة فرقة منها القوات البريطانية التي تعمل في فرنسا . وإذا كان للجيش البلجيكية والهولندية أن تشترك فإن هذه الأرقام ستزيد اثنتين وعشرين فرقة . ولما كان النزود وقع على هذين فرقتين نفس الوقت اتى هوجت فيه فرنسا . فإن مجموع قوات الحلفاء على اختلافها بلغ في المشرق من شهر سبتمبر نحو مائة وخمس وثلاثين فرقة أو ما يبادل ما يملكه الألمان في الواقع . ولو أحسن

تنظيم هذه القوات وتدريبها وقيادتها لكان في مقدورها ، حسب ما نعرفه من مقاييس الحرب السابقة ، أن تقف النزو وعندها الوسائل الكافية لذلك .

ولسكن الألمان كانت لديهم ميزة الحرية التامة واختيار الوقت والمكان والقوة اللازمة وكان أكثر من نصف الجيش الفرنسي العامل يقف في الناطق الجنوبية والشرقية من فرنسا . وكان على الإحدى والمخمين فرقة الفرنسية والبريطانية القائمة بقيادة الجنرال بيولوى في مجموعة الجيوش الأولى مع ما سينضم إليها من فرق بلجيكية وهولندية ، أن تواجه الهجوم النخاطف في الشمال ويقوم به نحو سبعين فرقة مادية بقيادة يوك ورونشادات بين لانبجوى والبحر . وقد قرر الألمان أن يحملوا رأس الرمح في هجومهم الرئيسي الدبابات التي لا تحترقها قذائف المدفعية والطائرات القاذفة المنقضة . بالطريقة التي استخدمت بنجاح على نطاق ضيق في بولندا . وقد صدر الأمر إلى مجموعة من خمس فرق مدرعة وثلاث فرق ميكانيكية يقودها كلايست بالاتجاه عبر الأردن إلى سيدان ومتبرى .

وواجهت هذا النظام الحربى . دفع الفرنسيون نحو الفين وثلاثمائة دبابة أكثرها من النوع الخفيف . وقد ضمت فرقتهم المدرعة بعض الأنواع الحديثة والقوية . ولكن أكثر من نصف قوتهم المدرعة كانت مقسمة بين فرق مختلفة من الدبابات الخفيفة للتماون مع سلاح المشاة . وكانت فرقتهم المدرعة الست التي كانت تستطيع وحدها أن تواجه هجوم فرق « البازر » الألمانية المدرعة موزعة في الجبهة على طول الخط . ولم يكن من الممكن ضمها إلى بعض للقيام بعمل منظم . وكانت بريطانيا الدولة التي خلقت فيها الدبابة قد تمكنت منذ أيام قليلة من تأليف فرقتها المدرعة الأولى وتدريبها . ولم تكن قد بثت بها بمد إلى فرنسا .

وكانت الطائرات للقائلة التي زج بها الألمان في النرب تفوق كثيراً طائرات الفرنسيين عدداً وعدة . أما القوة الجوية البريطانية العاملة في فرنسا فكانت تضم عشرة أسراب بحارية من طائرات « هاريكين » التي أمكن الاستغناء عنها من سلاح الدفاع عن الوطن وتسمة عشر سرباً من أنواع أخرى . ولم تكن السلطات الجوية البريطانية والفرنسية قد أنتجت الطائرات المنقضة . وهو سلاح أصبح له مكانته

بعد معركة بولندا . ولعب دوراً هاماً في إضعاف الحالة المنيوية بين جنود الشاة
الفرنسيين ولاسيا المونين .

وبدأت القوات الألمانية هجومها على فرنسا عند حدود بلجيكا وهولندا
ولكسمبورج في الماشر من شهر مايو بعد أن سبقها غارات جوية واسعة على
المطارات وطرق المواصلات ومقر القيادة ومستودعات السلاح . وكانت لهم ميزة
المفاجأة الحربية في كل مكان وفي ظلام الليل قفزت فرق لاندم من جنود قوات
المافعة المتمسكين والمسلحين بأحسن سلاح بالدفعية الخفيفة . قبيل القبر كان نحو
مائة وخمسين ميلا على طول الجبهة قد أصبحت ناراً ملتهبة . وعندما هوجمت هولندا
وبلجيكا دون إنذار سابق ساحقا صبيحتهما لطلب النجدة . وكان الهولنديون
قد ركزوا إلى خطهم المائى . وفشحت جميع الثغرات التي لم يستول عليها بالقوة
أو الخيانة . وقام الحرس الهولدى بمقاومة النزاة .

وكان المستر كوجلين . وهو رئيس للوزراء . قد زارنى سنة ١٩٣٧ وأوضح لى
خطة إفراق الأراضي بالمياه وما لها من أثر فمال وأنه يستطيع بمكالة تليفونية أن
بأمر بالضبط هل زر واحد فيواجه النزاة حواجز مائية عظيمة لا يمكن التغلب عليها
لكن هذه الأقوال كانت تافهة . فتوة الدولة الكبيرة التي تواجهها دولة صغيرة لها
أثرها الجبار في الأوضاع المصرية . فقد تمكن الألمان من اجتياز الجبهة في كل
مكان ووضعوا الجسور على القنوات . أو استولوا على فصحاتها وعلى المقابيع التي تؤدى
إليها . وكان في مقدورهم بعد يوم واحد أن يسيطروا على سائر الخطوط الهولندية
الخارجية التي أقاموها للدفاع . وفي نفس الوقت أخذ السلاح الجوى الألماني
يستخدم قوته الجبارة ضد بلاد آمنة لا تستطيع الدفاع وأصبحت مدينة روتردام بين
عشية وضحاها ألقاشاً تشتمل منها الطيران وقد تعرضت لاهى وأوزخت وامستردام
لمثل هذا المصير ونظم أمل هولندا في النجاة من الطرف الأيمن للجناح الألماني
كما نجت في الحرب السابقة . بناء على الوهم والخيال .

وبدأت الأنباء السيئة تترى إلينا في الرابع عشر من شهر مايو . فقد كان الوضع

أول الأمر فامضاً . وفي الساعة السابعة مساء قرأت على مجلس الوزراء رسالة تلقيتها من المسيو ريفو يقول . . إن الألمان اخترقوا الجبهة في سيدان . وإن الفرنسيين لم يستطيعوا المقاومة أمام العمل المزدوج بين الدبابات وطائرات الانقضاض ويطلب عشرة أسراب من الطائرات القاتلة للمساعدة على إعادة تثبيت الخطوط . وقلت رسائل أخرى تلقاها رؤساء أركان الحرب هذه المعلومات نفسها مضافا إليها أن الجنرال جملان والجنرال جورج ينظران إلى الوضع نظرة خطيرة وقد بهت الجنرال جملان لسرعة زحف العدو . وفي سائر المناطق التي اشتبكت فيها الجيوش كانت شدة الهجوم الأمامي والأتاني ومثله قد وصلت إلى حد كبير .

وقد قاتلت أسراب الطائرات البريطانية جميعها بمنف وشدة دائمين وكانت تستهدف بصورة رئيسية الجسور القاعة في منطقة سيدان . وقد دمر عدد من هذه الجسور وأصيب عدد آخر بأضرار في غارات يائسة ومركزة . وكانت الضخائر في النارات الجوية المنخفضة على الجسور من المدفعية الألمانية المضادة للطائرات شديدة مزيجية . ففي حالة من الحسالات على المثال لم تمتد من الطائرات الست التي اشتركت في الغارة الناجحة إلا طائرة واحدة . وفي ذلك اليوم خسرنا سبعة وستين طائرة ، ولا نشأ لنا في معارك مع المدفعية الأرضية المضادة أسقطنا ثلاثا وخمسين طائرة ألمانية فحسب . ولم يبق في تلك الليلة في فرنسا من مجموع ٤٧٤ طائرة بريطانية إلا ٢٠٦ طائرات .

ووردت إلينا هذه المعلومات الفصل تدريجيا وقد تبين أن استمرار القتال على هذا النحو سيستنزف السلاح الجوي البريطاني على كثرة عدده وتفوقه . . وكانت المسألة المسيرة الحل هي : ما الذي نستطيع أن نرسله من الطائرات دون أن يكون لإرساله تأثير على الدفاع داخل أرض الوطن والخوف من فقدان القدرة على مواصلة الحرب إذا اشتد علينا الضغط ؟ وكانت رغبتنا الطبيعية في أن نفي بعودتنا مع الاعترافات العسكرية الثقيلة الوطاء تقوى من دعوة فرنسا . ولكن كان ثمة من الناحية الأخرى الحد الذي إذا تجاوزناه فقدنا حياتنا .

وقد بحثت وزارة الحرب مكتملة في هذه الآونة تلك القضايا . وكانت الوزارة تجتمع عدة مرات كل يوم . وكان ماريشال الجورادوينج قائد قواتنا الجوية المحاربة في

الوطن قد أبلغني بأنه إذا توافر لديه خمسة وعشرون سرباً من القاتلات فإنه بذلك يستطيع الدفاع عن الجزر البريطانية ضد السلاح الجوي الألماني جميعه . وإذا نقص هذا العدد فإنه يفقد القدرة على الدفاع . وكانت الهزيمة لا تشمل تدمير مطاراتنا وقوتنا الجوية فحسب بل كذلك مصانع إنتاج طائراتنا التي يهوق عليها مستقبلنا جميعه وكنت وزملائي قد اعتزمنا أن نناظر لأجل المركبة بكل شيء حتى هذا الحد ؛ وكان ما نناظر به جد عظيم ولكننا لا نستطيع أن نتجاوزها منها تكن القابعة .

وقد استيقظت في الساعة السابعة والنصف من الصباح في الخامس عشر من شهر مايو على تليفون من السيورينو أوصلوه إلى وأنا في فراشي . وكان يتحدث إلى بالانكليزية ويبدو في حديثه النقاء والنصب . قال « لقد هزمنا » ولما تربت في الرد ما يقول « لقد كسرنا لقد خسرنا المركبة » . فقلت « لا يمكن أن تقع الهزيمة بهذه السرعة الماجلة » فقال « لقد تحطمت الجبهة عند سيدان : وم يتدفقون في أعداد كبيرة تتقدمهم الدبابات والسيارات المدرعة » هذا ما قاله : أو قال ما يشبه هذا .

قلت « إن سائر الاختبارات تشير إلى أن الهجوم سيقف بعد قليل . إنني أذكر اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس سنة ١٩١٨ وقد أرموا على الوقوف بعد خمسة أو ستة أيام انتظاراً للدؤونه حيث تكون الفرص مواتية للهجوم المضاد وقد تعلمت كل هذا من المارشال فوش نفسه ، لقد كان هذا ما رأيناه في الماضي ، وما كنت نتظره في الحاضر ولكن رئيس الوزراء الفرنسي عاد يكرر الجملة نفسها التي قالها في البداية والتي ثبت صحتها قال « لقد هزمنا . وخسرنا المركبة » فقلت إنني أبني الحضور إلى فرنسا للتحدث معك .

لقد استطاع الألمان أن يفتحوا ثغرة في الخطوط الفرنسية عرضها خمسون ميلاً . وقد اندفعت قوات كبيرة من المدرعات من هذه الثغرة . وكان الجيش التاسع الفرنسي في حالة من الضعف والانحلال وفي الخامس عشر من شهر مايو جاءت إلينا الأخبار بأن القوات المدرعة الألمانية أصبحت على بعد ستين ميلاً وراء الجبهة الأصلية وفي ذلك اليوم كان القتال قد انتهى في هولندا . ولما كانت القيادة العليا الهولندية

قد استسلمت في الساعة الحادية عشرة صباحاً . لم يكن من المستطاع الإجلاء عند خليل من الجنود الهولنديين من البلاد .

وقد أعطيت هذه الاحداث صورة عن الهزيمة . وقد سبق لي أن رأيت صوراً شتى من هذا القبيل في الحرب الماضية . ولم توح إلى بفكرة تحطيم الخط ، حتى على جهة هريضة بالتأيج الهيبة التي بدأت تنهال على أنباؤهما . ولما كنت في السنوات الطويلة الماضية لم أستطع الحصول على المعلومات الرسمية فإنني لم أكن أدرك تلك الثورة الكبيرة في الأساليب الحربية التي تمت منذ الحرب الماضية بإدخال مجموعات ضخمة من السلاح المدرع وإذا كنت أعرف شيئاً ماعن الموضوع فإنه لم يغير رأيي بما يجب أن يعمل . ولم يكن في مقدوري على أى حال أن أفعل شيئاً حتى لو غيرت رأيي . وقد تحدثت مع الجنرال جروج تليفونيا فوجدته هادئ الروح وأبلغني أن محاولات تبذل لسد الثغرة في سيدان ووصلت إلى برقية من الجنرال جيلان تقول إنه على الرغم من خطورة الموقف بين سيدان ونامور فإنه مازال يرقب الحالة بهدوء وبمشت رسالة رينو والرسالتين السابقتين إلى وزراء الحرب في الساعة الحادية عشرة من الصباح .

وفي اليوم السادس عشر وردت الأنباء بأن التوغل في الخطوط بلغ نحو ستين ميلاً بعيداً عن الحدود قرب سيدان . وعلى الرغم من أنه كان من المتعذر الوصول إلى صورة واضحة عما يدور في الجهة في هذه الآونة فإن ما يحيط بالموقف من أخطار كان جليلاً وقد أحسست ضرورة الذهاب إلى باريس بعد ظهر ذلك اليوم .

وفي الساعة الثالثة قت في طائرة من نوع « الفلامنجو » وهي من طائرات الركاب الحكومية ولم نكن نملك غير ثلاث منها وجاء معي الجنرال ديل نائب أركان حرب الامبراطورية والجنرال إيسان . وكانت طائرات رائدة ومريضة ونسير بسرعة مائة وستين ميلاً في الساعة وقد رافقتهما بعض طائرات الحراسة إذ كانت طائرتهما غير مسلحة . وحلقنا وسط سحب مثقلة بالأمطار . وقد وصلنا إلى مطار « لا بورجيه » في ساعة ونصف دقائق وسرعان ما انضج لي منذ اللحظة التي فادرت فيها الطائرة أن الموقف أسوأ بكثير مما كنا نتصور فقد ذكر الضباط الذين استقبلونا بالجنرال إيسان أن

من المتعذر وصول الألمان إلى باريس خلال بضعة أيام على أكثر تقدير وبعد أن تمتعت شيئا من الموقف في سفارتنا انتقلت بالسيارة إلى السكك دورسيه فوصلتها في الخامسة والنصف . وقد دخلت إلى إحدى حجرات المدينة فوجدت بها رينو ودلاديه وزير الدفاع الوطني والحربية والجنرال جيلان وكانوا جميعا واقفين . ولم يجلس لحظة واحدة طوال الوقت وكنت أرى علامات الضعف والامياء بادية على ونجوه الجميع . وقد وضع جيلان أمامه خريطة مركبة على قواعد مربعة طول ضلعها ياردنان وقد رسم عليها بالخط الأسود ما يشير إلى جبهة القتال وفي هذا الخط زحمت ثغرة صغيرة ولكنها مشوشة عليه سيدان .

وقد بين لنا القائد العام ما حدث بإيجاز فقد كان الألمان قد اخترقوا الجبهة إلى الشمال والجنوب من سيدان على اتساع خمسين ميلا أو ستين . وقد أنهار الجيش الفرنسي الذي كان يقف أمامهم وتفرق شمله . وأخذت السيارات المدرعة تتقدم بسرعة هائلة نحو إميان وأراس . وفي مرزها أن تصل إلى البحر عندا ييفل أو جوارها . وقد تحول هذه القوات اتجاهها فزحف إلى باريس . وقال ان ثمانى فرق أو عشرًا تزحف خلف المدرعات في سياراتها الميكانيكية توسع اجنحتها وهي تتقدم في حركة منتشرة ضد الجيشين الفرنسيين اللذين فصل كل منهما عن الآخر . وقد دام حديث الجنرال نحو خمس دقائق دون أن يقاطعه أحد . وما كاد يتوقف عن الكلام حتى هم وجود وصمت طويلا ثم تساءلت أين القوة الاحتياطية الاستراتيجية ؟ ثم قلت بالفرنسية وأتت قوات المناورة ؟ فالتفت إلى الجنرال جيلان وهو يمز رأسه وقال : ليست لدينا قوات احتياطية ولا قوات للمناورة .

وقد عدنا نعيم علينا صميت طويلا وارتفعت سحب من الدخان في الخارج في لحظة ألقى السكك دورسيه من أنوار المشعل . ورأيت جماعات من الموظفين في مررات متحركة وقد حملوا مجموعات كبيرة من الوثائق واشعلوا فيها النيران . ومعنى هذا أنهم يعدون البدة للجلاء من باريس .

وإذا كانت لتجارب الماضي ميزاتها فإنها مع الأنف لا تتكرر بنفس الصورة . والإفان الحية تكون سهلة بسيطة فكثيرا ما تخبطت نجهتنا وألكننا أن نضل الأشياء

ونضف حدة الهجوم أما الآن فثمة عاملان لم أكن أتوقع مواجهتهما من قبل أولهما
اقتحام طرق المواصلات جميعها وإيقاف القائم وراء الجبهة بفيض لا يمكن مقاومته من
السيارات المدرعة وثانيهما عدم وجود احتياطي استراتيجي ولقد قيل لى ليس لدينا
احتياطي . فذهلت . ماذا أقول فى الجيش الفرنسى العظيم وكبار قادته المسكرين ؟
لم يكن ليخطر لى ببال أن قائدا يعمد إليه بالدفاع عن خمسمائة ميل من الجبهة بترك نفسه
فى حالة تموزه فيها القدرة على المناورة وليس فى مقدور أى إنسان أن يدافع عن جبهة
واسعة بالثقة التى لاحدود لها وعندما يفرض العدو على نفسه الهجوم بالدفاع كمنذا
الاندفاع الذى اخترق الجبهة فن واجب الفريق الآخر أن يكون على استعداد بمدد عظيم
من الفرق للقيام بهجوم مضاد فى حين تكون قوة هجوم العدو قد اعتراها الفتور .

لماذا أقامت فرنسا خط ماجينو ؟ لا شك أن هذا الخط قد وفر استخدام عدد
كبير من جنود الجبهة وهى مراكر دفاعية لتستخدمها القوات المدافعة فى هجمات مضادة
وتتمكنها من حشد قوات كبيرة من الاحتياطي للانتفاع بها عند الحاجة وهذه هى
الطريقة المثلى والوحيدة لمواجهة مثل هذه الطوارئ . ولكنهم يقولون الآن . ليس
هناك احتياطي . وإنى لأعترف بأن هذا التصريح كان أكبر مفاجأة فى حياتى . فلماذا
لم أكن على بينة من هذا الموضوع حتى ولو كنت مشغولا بأعمال الأميرالية ؟ ولماذا
لم يكن لدى بريطانيا ووزارة الحرب علم سابق بهذه الحقيقة ؟ ولا يجوز فى اعتقدي
الاعتذار بأن القيادة العليا الفرنسية لم يكن لها أن تكشف عن توزيع قواتها لنا أولورد
جورج إلا فى دائرة من الإبهام لقد كان من حقنا أن نعرف . وكان من حقنا أن نصر
على رأينا فى أن نعرف ، لأن الجيشين يخوضان معركة واحدة فى جبهة واحدة ورجعت
إلى النافذة لأرى سحب الدخان للنبقة من النيران التى تأكل وثائق الجمهورية
الفرنسية . وكان السادة السكول يواصلون المسير بمراباتهم المحملة ويقذفون بما فيها
إلى النيران اللتهية .

وأسرع الجزال جملان يتحدث ثانية عما إذا كان من الضروري جمع قوات
نضرب بها جناحى الاختراق الألمانى . أو « الانساج » كما كنا نسميه فيما بعد فهناك
ثمانى فرق أو تسع يمكن سحبها من المناطق المادئة فى الجبهة عند خط ماجينو

وهناك فرقان أو ثلاث فرق مدرعة لم تشترك بمد في المركبة وثماني أو تسع فرق في الطريق من أفريقيا. ويمكن وصولها إلى الجبهة في مدى أسبوعين أو ثلاثة : ومن ثم فإن الألمان سيقدمون في طريقين جبهتين ويمكن أن تشق عليهما حرب على مثال التي دارت في سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ وقد لا يستطيع الألمان الاحتفاظ بمركزهم إزاء الضغط المتزايد من الجناحين أو من تمكين اندفاعهم بالمدفعات . هذا ما كان يتحدث به جملان . وكان معقولا فيما يتحدث به إلى حد بعيد . ولكنني أحسست أن هذه الفئة الصغيرة من الرجال السلولين وذوي النفوذ لا تكاد تصدق ما يقول . وقد سألت الجنرال جملان لغة عن الوعد الذي يمتزم فيه مهاجمة جناحي الثيرة والطريقة التي يهاجم بها . وكان جوابه « إننا أقل منهم عدداً وأقل عدة . وأقل منهم في الطرق الحربية » واكتفى بأن هز كتفيه . ولم يجر نقاش بمد هذا وما حاجتنا إلى النقاش ثم ما هو موقفنا من الإنجليز . بهذا القدر الضئيل الذي نساهم به وهو لا يعدو عشر فرق بمد ثمانية أشهر من الحرب وليس بينها فرقة دبابات حديثة .



وكان ملاحظات الجنرال جملان وغيره من القادة الفرنسيين تنصب على الإصرار على نقصهم في القوة عن المدو لا سيما في الجو . والإلحاح بأن يرسل السلاح الجوي الملكي قوات جديدة من القاذفات والمقاتلات ولا سيما الأخيرة : وقد ظل هذا الإلحاح لإرسال الطائرات المقاتلة مستمرا في كل اجتماع تال حتى انتهت فرنسا . وقد قال الجنرال جملان وهو يتحدث عن الحاجة إلى المقاتلات أنها ضرورية لا لفضلية موقف الجيش الفرنسي لحسب . ولكن لوقف هجم الدبابات الألمانية كذلك . وهنا جلت قاتلا « كلا إن عمل الدفعية وقف الدبابات أما المقاتلات فواجبها تصفية الجو في سماء المركبة ، وكان من الأمور الحيوية بالنسبة لنا ألا نسمح قوتنا الدفاعية المقاتلة من بريطانيا مهما تكن الأسباب لأن بقاءها متوقف عليها . ومع هذا فقد أصبح كبير المظالم أمراً لا بد منه . وفي الصباح التالي : قبل أن أعاد المسكان كان مجلس الوزراء في لندن صرح لي بنقل أربعة أسراب من المقاتلات إلى فرنسا . فلما عدنا إلى السفارة وبعد حديثي في هذا الشأن مع « دبل » قررت أن أطلب من مجلس الوزراء أن يتيح لي إرسال ستة أسراب أخرى . ومعنى هذا أن يقتصر دفاعنا على خمسة وعشرين

سرياً في الجزر البريطانية جميعها . وهذا هو الحد الأقصى . وكان لا بد من اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن على كل حال . وطلبت إلى المستر إيسان أن يتخذت تليفونياً إلى لندن ليطلب اجتماع مجلس الوزراء بصفة عاجلة لدراسة بريقة هامة مترسل إليه خلال ساعة أو نحو ساعة .

وجاءني الرد في الساعة الحادية عشرة والنصف وكان بالإيجاب وسرعان ما انتقلت ومضى الجنرال إيسان بالسيارة إلى شقة السيورينو فوجدتها وقد اكتنفها الظلام وبعد انتظارنا لحظة من الزمن خرج السيورينو من حجرة نومه يرتدى حذاءه المتزلية فأبلغته الأنباء الطيبة : عشرة أسراب من المقاتلات ! وأقمتها إذا ذاك بأن يسعدني السيورينو دلاديه القى جفراً إلى المنزل ليسمع قرار الوزارة البريطانية . وحاولت بهذه الوسيلة أن أرفع من الروح المعنوية عند أسدقائنا الفرنسيين بقدر ما تسمح به وسائلنا المحدودة ولم يفهم دلاديه بكلمة واحدة ولكنه قام من مقعده وضغط على يدي . وفي الساعة الثانية تقريباً عدت إلى دار السفارة ونمت مستريحاً وإن كان إطلاق نيران المدافع عند التفارقات الجوية قد يجعل الإنسان يققلب على فراشه من جانب لآخر . وطرت في الصباح عائداً إلى لندن وعلى الرغم من مشاغلي الأخرى أخذت في الحال أعمل على تأليف المسعوى الثاني من حكومتى .

وعقدت وزارة الحرب اجتماعاً في الساعة العاشرة من صباح اليوم السابع عشر من شهر مايو وعرضت عليها نتائج زيارتي لباريس . وسورة الوضع كما أراه .

وقلت لزملاء اني أبلغت الفرنسيين أنهم إذا لم يبدلوا كل ما في وسعهم . فلن يكون هناك ما يميلنا نتحصل هذه النافذة الخطيرة التي تمرض سلامة بلادنا للخطر . وكنت أشعر بأن موضوع المساعدات الجوية كان من أخطر المواضيع التي يواجهها أى مجلس وزارة بريطاني . وقيل لى إن خسائر الألمان الجوية أربعة أضعاف أو خمسة أضعاف خسارتنا ولكن قيل لى كذلك إنه لم يبق من قوة فرنسا الجوية المقاتلة غير الأربع . وقد ظن الجنرال فى ذلك اليوم أن الوضع قد انتهى وقيل إنه أعلن أنه يستطيع أن يضمن سلامة باريس اليوم فقط وزمناً غداً أى الثامن عشر والليلة التالية ، وكانت

المركة يحمي وطيسها ساعة بعد أخرى وفي نفس ذلك اليوم بعد الظهر دخل الألمان بروكسل ووصلوا في اليوم التالي إلى كبريه واجتازوا سان كاتان وأخرجوا قواتنا الصغرى من يرون . وكانت الجيوش الباجيكية والبريطانية والفرنسية القائمة تواصل انسحابها نحو نهر الشلث .

وفي منتصف ليلة الثامن عشر — التاسع عشر قام الجنرال بيلوتي بزيارة اللورد جورت في مقر قيادته . ولم تكن شخصية هذا القائد الفرنسي أو اقتراحاته تترك شيئا من الثقة في نفوس حلفائه . وقد بدأت منذ تلك الآونة فكرة الانسحاب تراود القائد البريطاني فقد جاء في البرقية التي يث بها تلك الليلة أى التاسع عشر ونشرت في شهر مارس سنة ١٩٤١ . لقد اتضحت الصورة وهي تختلف عن صورة الخطر الذي يمتدق لأجل محدود . أنها صورة القلعة المحاصرة .



وقد أحدث المسير رينو تغييرات واسعة في الوزارة الفرنسية وفي القيادة العليا . فبين المرشال بيتان في الثامن عشر من شهر مايو نائبا لرئيس الوزراء . ونقل دلاديه إلى وزارة الخارجية وتولى بنفسه وزارة الدفاع الوطنى والحربية وفي الساعة السابعة من مساء التاسع عشر من شهر مايو عين الجنرال فيجان الذى كان قد وصل من الشرق الأدنى قائدا أعلى خلفا للجنرال جلان . وكنت أعرف فيجان عندما كان اليد اليمنى للمرشال فوش . وأعجبت بتدخله العظيم في معركة وارندو ضد الغزو البلشفي لبولندا في شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ وكانت تلك مرحلة حاسمة بالنسبة لأوربا في ذلك الوقت وكان قد أصبح الآن في الثالثة والسبعين من عمره . ولكنه ما زال في ذروة النشاط والحيوية . وكان آخر الأوامر اليومية التى أصدرها الجنرال جلان أمرا أصدره في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح التاسع عشر من شهر مايو برقم (١٢) ويقول فيه « إن على الجيوش الشمالية حتى لا تسمح بتطويقها أن تشق طريقها نحو الجنوب إلى نهر السوم مهما كلفها ذلك . وتهاجم فرق المدرعات الألمانية التى قطعت مواصلاتها . وعلى الجيش الثانى والجيش السادس الذى أقيم حديثا أن يهاجما شمالا باتجاه ميزير . وكانت هذه القرارات على جانب كبير من الصواب .

(١٠ — مذكرات)

والحق أنه قد تأخر صدور الأمر بالانسحاب عام للجيش الشالية إلى الجنوب أربعة أيام على الأقل وكانت الخطة المثل تقضى بمد أن ظهرت خطورة اختراق الألمان للجهة في سيدان بالانسحاب حالا إلى جهة السوم وبدلا من هذا فقد قامت هذه الجيوش التي يقودها الجنرال بيالوتى ببعض الانسحابات الجزئية إلى الشيلدت . وأقامت جناحا دفاعيا إلى اليمين . ومع ذلك . فقد تكون الفرصة لا تزال قائمة للانسحاب نحو الجنوب .

وقد حل الاتفاق في نفوس وزارة الحرب البريطانية من جراء اضطراب القيادة الشالية . وما أصيب به الجيش الفرنسي من الجلود الظاهر وعدم الوثوق بشيء من حقيقة الواقع . وكانت سائر إجراءاتنا هادئة ومرنة . ولكن ظهرت فكرة معينة كنا نقف أمامها ذاهلين وإن كنا متحدين . وفي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم التاسع عشر من الشهر وردت إلينا رسالة تقول ان «اللورد جورت يدرس فكرة تدعو إلى الانسحاب إلى دنسرك إذا رأى نفسه مرغبا على ذلك » ولم يكن في وسع رئيس أركان حرب القوات الأبراطورية أن يوافق على هذه الفكرة التي لم تكن نحن أيضاً نوافق عليها . وكان يرى أن من الواجب الانسحاب إلى الجنوب . ولهذا فقد بعثنا إلى اللورد جورت بتعليمات تقضى بأن يتجه بالجيش البريطاني نحو الجنوب الغربي وأن يجتاز طريقه ضد أية مقاومة في طريقه حتى ينضم إلى الفرنسيين في الجنوب . على أن يدعو الباجيكين إلى تنفيذ خطة مماثلة وإذا لم يشاءوا فإنه يعلن لهم اعتمادنا لاجلاء أكثر ما يمكن من القوات من موانئ المانش وعليه أن يبلغ جورت أننا سننقل إلى الحكومة الفرنسية ما استقر الرأي عليه وفي نفس الجلسة قررنا أن نبث بالجنرال دبل إلى مقر قيادة الجنرال جورج - وكان لنا معه اتصال تليفوني مباشر - ليظل هناك أربعة أيام . وعليه أن يبلغنا كل ما يعرف . فقد كانت الاتصالات حتى مع اللورد جورت متقطعة وغير ميسرة . ولكنني علمت أن المؤن والذخائر التي لديه تكفي لمركبة تستغرق أربعة أيام لحسب .

وفي الجلسة التي عقدناها صباح اليوم العشرين من شهر مايو درسنا وضع جيشنا من جديد . وقد رأيت أنه حتى إذا تجمع التراجع مع القتال بأجواء السوم فن

الناظر أن تقطع قوات كبيرة من جيشنا عن الأصل أو تضطر إلى الاتجاه نحو البحر وقد أثبت في محاضر تلك الجلسة ما يلي « رأى رئيس الوزراء على سبيل الاحتياط أن تحشد الأميرالية أكبر عدد مستطاع من السفن الصغيرة لتسكون مهابة للبحار ماجلا إلى الموانئ والمداخل الواقعة على الشاطئ الفرنسى » وقد قامت الأميرالية بتنفيذ هذا الأمر بسرعة وبحيوية عظيمة . وقد عهد بقيادة العملية في التاسع عشر من الشهر إلى الأميرال راس قائد منطقة دوفر وبعد ظهر اليوم العشرين مع الشهر عقد بناء على أوامر لندن المؤتمر الأول لسكر من يعينهم الأمر بما فيهم ممثلو وزارة الملاحة لدراسة « الجلاء الطارىء على القناة لقوات كبيرة للناية » ووضعت الخطة لإجلاء ما يعادل عشرة آلاف رجل عن موانئ كاليه وبولون ودنكيرك في كل أربع وعشرين ساعة . وكلف ضباط النقل البحرى على طول الشاطئ من هارويش إلى ويمارث بتسجيل سائر البواخر الصالحة التي تحمل ما يزيد على الألف طن وقد تم إحصاء كل ما فى الموانئ البريطانية من البواخر . ودلت هذه الخطة التي سميت « عملية دينامو » على أنها الطريق الذى أتاج خلاص الجيش بمد عشرة أيام .



وقد أصبح اتجاه الجيش الألماني ظاهراً . فقد واصلت السيارات المدرعة والفرق الميكانيكية تدفقها من النجوة في اتجاه أميان واراس فالتف غرباً على طول السوم في اتجاه البحر . ودخل الألمان ليلة العشرين من الشهر مدينة أبيييل بعد أن قطعت كل مواصلات الجيوش الشمالية . ولم تبق أية مقاومة بعد أن كانت قد استطاعت اختراق الجبهة . وكانت الدبابات الألمانية الرهبة تتطلى بجمرية في الأرض الخالية وتسندها وتمونها السيارات فتتقدم في اليوم الواحد بمعدل ثلاثين أو أربعين ميلاً . وقد اجتازت عشرات المدن والقرى دون مقاومة . ويتطلع ضباطها برؤوسهم من الفتحات ويلوحون بأيديهم إلى السكان وقد شوهدت جماعات من الأسرى الفرنسيين الذين كانوا يسيرون معهم وهم مازالوا يحملون بنادقهم . ويجمعها الألمان من أيديهم وبدوسونها تحت الدبابات . وقد فزعت لهذا النقل في التصدى للدروع الألمانية التي استطاعت بضمة ألوف منها أن تدمر جيوشاً قوية بأكملها . وقد أزعجني ما رأيته

من تدهور سريع في المقاومة الفرنسية بعد أن اخترقت الجبهة . وكان الاندفاع الألماني يسير على الطرق الرئيسية التي لم تتلق على ما يظهر في نقطة من النقاط .

وقد بدأ تيجان بمقد اجتماع للتشاور مع كبار قواده وكان من الطبيعي أن يرى الوضع في الشمال بنفسه ويتصل بالقادة ولنا أن نتسامح مع قائد تولى قيادة معركة خاسرة في عنقوان الأزمة . مع ضيق الوقت . ولم يكن في مقدروه أن يترك ما تبقى تحت قيادته من قوات ويشغل نفسه بأعمال التأخير والجهد الناجمين عن حركات شخصية ونستطيع أن نلاحظ ما حدث بالتفصيل .

في صباح اليوم العشرين تسلم فيجان زمام الامور من جيلان وتبها لزيارة جبرش الشمال في الحادي والعشرين . ولما علم بأن الطرق من الشمال قد قطعت قرر أن يطير . وهو حجت طائرته واضطر إلى الهبوط في كاليه . وقرر تأجيل موعد الاجتماع الذي سيعقد في أيرس إلى الساعة الثالثة بعد ظهر الحادي والعشرين ثم اجتمع مع الملك ليوبولد البلجيكي والجنرال بيلوتى أما اللورد جورت فانه لم يحضر الاجتماع لأنه لم يكن قد أبلغ بموعده أو مكانه ولم يحضره أى ضابط بريطاني . وقد وصف الملك هذا الاجتماع بأنه كان عبارة عن « أربع ساعات من الاحاديث التي لا طائل ورائها » وقد تناول الحديث تنظيم الخطط بين الجيوش الثلاثة وتنفيذ خطة فيجان . فإذا لم تنجح فينسحب البريطانيون والفرنسيون إلى ليز والبلجيكيون إلى الايزر ، وكان من المقرر أن ينصرف فيجان في الساعة السابعة من المساء ولم يصل جورت إلا في الثامنة فرض عليه الجنرال بيلوتى وصف ما دار في الاجتماع وقد انتقل فيجان بالسيارة إلى كاليه حيث أفلته غواصة إلى ديبب ثم عاد إلى باريس . وانتقل بيلوتى بسيارته ليمالج الأزمة ولم تمنح ساعة حتى كان قد قتل في حادث سيارة . وهكذا أصبح كل شيء في يد القدر من جديد .

وعاد أيرونسайд في الحادي والعشرين يقول إن اللورد جورت تلقى أوامر وزارة الحرب ظهر أنها لاتتفق وفكرة الاتجاه نحو الجنوب لان معناها القيام بأعمال مؤخرة ومعلقة على الشلالت . والاندفاع في الوقت نفسه بهجوم على منطقة يحتلها العدو بقوات كبيرة من الدرمات والمدات الميكانيكية وفي مثل هذه الحركة يجب

عليه أن يحتاط بمخاطبه وقد لا يكون الجيش الفرنسي الاول أو البانجيكيون في وضع يستطيعون معه التمشي مع هذه المناورة ولو حاولوا القيام بها . وأضاف ابرونسايد أن الفوضى تسيطر على القيادة الفرنسية العليا في الشمال وأن الجنرال ييلوت قد فشل في تنفيذ واجباته الخاصة بالتنظيم في الأيام الثمانية الأخيرة . وكأنه يعمل وليس لديه خطة معينة . وأن قوة الحملة البريطانية لم تزل متمتعة بروح معنوية عالية . ولم تصب إلى الآن بأكثر من خمسمائة إصابة . وقد وصف ابرونسايد بوضوح حالة الطرق وازدحامها بطوائف اللاجئين الذين تهاجمهم نيران الطائرات الألمانية بلا انقطاع . وقد لاقى هو نفسه مثل هذه الظروف .

ومن ثم أصبحت وزارة الحرب أمام طريقين رهيبين . أولاً : أن يقوم الجيش البريطاني سواء وجد هوناً من الفرنسيين أو البانجيكيين أو لم يجد بشق طريقه نحو الجنوب في اتجاه السوم مهما تكلف في سبيل ذلك . وهذه خطة يشك الاورد جورت نفسه في إمكان نجاحها وإمكان تحقيقها .

وثانياً : أن يتراجع نحو دنكرك حيث يكون الجلاء عن طريق البحر تحت نيران العدو الجوية . مع التأكد من خسارة كل ما لديه من مدافع وعتاد وكلها نادر وقيم في ذلك الوقت . ولا شك أن تحقيق الخطة الأولى فيه ما فيه من مخاطرة . ولكن ليس هناك ما يمنع من اتخاذ كل ما يمكن من احتياطات واستعدادات لتأمين الجلاء عن طريق البحر إذا فشلت الخطة الأولى . وقد اقترحت على زملائى أن أذهب إلى فرنسا لمقابلة رينو وفييجان للوصول إلى حل . وكان من المقرر أن يلاقى ديل قادماً من قيادة الجنرال جورج .

فلما وصلت إلى باريس في الثاني والعشرين من شهر مايو كان ثمة وضع جديد فقد ذهب جلان واختفى دلاديه من المسرح الحربى . وكان رينو يقوى رأسه الوزارة ووزارة الحرب معاً : ولم تمد باريس مهددة بمد أن وجه الألمان هجومهم نحو البحر . وكانت القيادة العامة ما زالت في قنسان . وحوالى الظهر تقابل رينو بسيارته

إلى هناك : وقد رأيت في الحديقة عدداً من الضباط الذين سبقوا أن رأيتهم يلغفون
بجملان . وكان بينهم أحد ضباط القربان يروح ويشدو وقال مرافقي معلقاً : هؤلاء
رجال المهد المنصرم . ودخلت مع رينو إلى حجرة فيجان ثم انتقلنا إلى حجرة
الخراط حيث انتشرت أمامنا خراط القيادة العليا واستقبلنا فيجان وهو على الرغم
من جهوده الشاقة التي قام بها في المساء بادی النشاط والحيوية وقد ترك أترأ طبيباً
في نفوس الجميع وأسرع فبسط الخطة التي وضعها للحرب . فهو غير راض عن مجرد
زحف تقوم به الجيوش الشمالية نحو الجنوب ومن رأيه أن تقوم هذه الجيوش
في اتجاه جنوبي شرقي يبدأ من كبريه واراس في اتجاه سان كنتان بحيث تلتف حول
جناح الفرق الألمانية المدرعة التي تشتبك بما دعاه « جيب سان كنتان - أميان » .

وقال إن الجيش البلجيكي يستطيع أن يقوم بحماية مؤخرة هذه الجيوش الشمالية
من ناحية الشرق والشمال كذلك إذا احتاج الأمر وفي مقدور جيش فرنسي جديد
يقوده الجنرال فريز . ويتألف من ثمانى عشرة فرقة إلى عشرين إذا سحب من
الأزاس ومن خط ماجينو ومن أفريقيا ومن سائر النواحي الأخرى أن يؤلف جبهة
على نهر السوم وفي استطاعة هذا الجيش أن يحرك ذراعه اليسرى نحو اميان إلى آراس
وأن يبدل جهوداً كبيرة للاتصال بجيوش الشمال ومن الواجب أن يبقى سلاح المدو
للدروع تحت ضغط دائم . وقال فيجان « ويجب على كل حال أن لا يترك زمام المبادرة
في أيدي فرق المدو المدرعة » وقد صدرت جميع الأوامر اللازمة . وقيل لنا إن
الجنرال يباروت الذي أطلمه على خطة كاملة قد تقل منذ قليل في حادث سيارة .
وقد كنت متفقاً مع ديل على أنه ليس لنا خيار في غير هذه الخطة . وأكدت أن من
الضرورى قبل أى شىء إعادة الاتصال بين جيوش الشمال وجيوش الجنوب عن طريق
آراس وأن على اللورد جوروت في نفس الوقت الذي يشق فيه طريقه نحو الجنوب
أن يظل محفوظاً بطريقته مفتوحاً إلى البحر . وحتى أكون على ثقة من عدم وجود
أى خطأ فيما اتفقنا عليه أملت بنفسى ملخصاً لقرار وأطلعت عليه فيجان فوافق
ومن ثم نقلت القرار إلى وزارة الحرب التي نقلته إلى اللورد جوروت .

ومن هذه الخطة التي وضعها فيجان يتبين أنها لم تكن تختلف كثيراً عن التعليمات

رقم ١٢ الى أسدرها بجلان والفيت . ولم تكن بعيدة عن وجهة النظر القديمة التي ارتأتها وزارة الحرب في التاسع عشر . فلي جيوش الشمال أن تشق طريقها نحو الجنوب في عمل هجومي . وتحطم ما أسكن من الاندفاع التي أحدثته المدو بقواته المدرعة . وكان مقرراً أن تلقى هذه الجيوش اندفاعاً مقابلاً من اميان . تقوم به مجموعة الجيوش الفرنسية الجديدة بقيادة الجنرال فريير . وكان هذا الشرط ذا أهمية كبيرة إذا تحقق . ولقد شكوت في حديث خاص بيني وبين مسيو رينو . من أن الورد جورت لم يتلق أى أمر خلال أربعة أيام متوالية . وقد مضت ثلاثة أيام منذ تولى فيجيان القيادة فضاضت في اتخاذ القرارات . وإذا كان التنشير الذي حدث في القيادة العليا عملاً سيديداً فإن التأخير الذي ترتب عنه كان سيئاً للغاية .

إن الحاجة إلى توجيهات القيادة العليا وتقصيها تجعل للأحيات وأعمال المدو أثرها البالغ في أعمال التوجيه وقد خاضت القوات البريطانية بجرار آراس معركة صغيرة معزولة بين الحادى والمشرين والثالث والمشرين . ولكن بمض سلاح المدو المدرع الذي يقوده جنرال يسمى رومل كان نوباً كل القوة . وقد اعتمد الجنرال فيجيان حتى تلك اللحظة على جيش الجنرال فريير المتقدم من أسيان والبرت ويرون فجاء الشمال . ولم يكن قد حقق أى تقدم يذكر . إذ كان ما زال في دور التكوين والتجمع .



وقد أحسنت وزارة الحرب والدوائر العسكرية العليا أن من الواجب الإفادة من كفاية السير جون ديل ومداولاته الاستراتيجية بتعيينه كبيراً للمستشارين العسكريين بعد أن كان منذ الثالث والمشرين من أبريل يقوم بوظيفة نائب لرئيس أركان حرب قوات الامبراطورية . ولم يكن ثمة من شك في أنه يفوق ايرونسايد في نواح كثيرة .

وإذا كانت المعركة المنيقة تقترب من قتها كنت أنا ورفقائى نزعج رغبة شديدة في أن يصبح السير جون ديل رئيساً لهيئة أركان حرب الامبراطورية . وكان علينا

كذلك أن نختار قائداً عاماً للجزر البريطانية إذا تعرضنا للغزو . وكنا في ليلة الخامس والعشرين وفي ساعة متأخرة أنا وإيرونسايد ودبل وإيسمان وواحد أو اثنين آخرين . ندرس الوضع في غرقى بدار الأميرالية . وقد أبدى الجنرال إيرونسايد استعداده للتخلي عن رئاسة أركان حرب الأمبراطورية . واستعداده لقيادة القوات بالجزر البريطانية . وإذا نظرنا إلى الظروف الشاقة التي كانت أمام هذه القيادة اتضح لنا مقدار ما ينطوى عليه هذا المرض من روح التفاني والضحية . وقد وافقت على اقتراح الجنرال إيرونسايد . ولا شك أن الأوسمة والتقدير الذي لاقاه فيما بعد كان يرجع إلى تقديري لموقفه العظيم في تلك الفترة .

وقد أصبح السير جون دبل رئيساً للأركان العامة في السابع والعشرين من شهر مايو . وقد كانت هذه التغييرات مناسبة في ذلك الحين .

الزحف نحو البحر

نستطيع أن نستعرض الآن عند هذا الحد سير هذه الحركة التي لا تنفى . كان هنار هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يخترق حياض بلجيكا وهولندا . ولن ندمو بلجيكا الحلفاء لمساعدتها إلا إذا هوجت . ومن ثم أصبح زمام المبادرة العسكرية فى أبدي هنار وقد وجه ضربه فى الماشر من شهر مايو . وبدلا من أن تترىس الجيوش الفرنسية الأولى ومها الجيوش البريطانية وراء خطوطها المحصنة أسرعت إلى التوئب فى خطة يائسة إلى بلجيكا لإخاذاها بنساء على خطة للجنزال جملان تدعى الخطة (د) وكان الفرنسيون قد خلّوا النجوة للقائبة للاردين وتركوها سيئة التعممين ضميعة الدافع . وقد تمكن اندفاع مدرع لا مثيل له فى تاريخ الحرب من اختراق قلب خط الجيوش الفرنسية وأصبح فى خلال ثمان وأربعين ساعة يهدد بالقطع سائر جيوش الشمال من خطوط مواصلاتها الجنوبية وعن البحر كذلك . وكان على القيادة الفرنسية العليا فى الرابع عشر من شهر مايو على الأكثر أن تصدر أوامرها الاضطرارية إلى هذه الجيوش بالانسحاب المام بكل ما تستطيع من سرعة ، راضية لا بالمجازفة فحسب بل بالأسائر الجسيمة فى المدمات كذلك ولكن الجنرال جملان لم يقابل هذا الأمر بما فيه من واقع أليم وكان القائد الفرنسى لمجموعة الجيوش الشمالية وهو ييلوى أجمز من أن يتخذ القرارات الضرورية بنفسه . وقد دعت الفوضى سائر الجيوش الفاعمة على الجناح الأيسر المهده .

فلما أحست هذه الجيوش بقوة العدو المتفرقة تراجعت وتقهقرت وعندما التفت الحركة التطويقية حول ميمنها أقامت جناحاً دفاعياً . ولو بدأت هذه الجيوش تراجعا المام فى الرابع عشر لبلتت فى السابع عشر منه خطها القديم . ووجدت الفرصة للنجاة من الطوق لكن هذه الجيوش فقدت ثلاثة أيام على أقل تقدير وهى أيام مدمرة . وأخذت وزارة الحرب البريطانية منذ السابع عشر منه ترى بوضوح أن القتال الماجل نحو الجنوب هو وحده الذى يمكن به إقناده الجيش البريطانى . وكانت الوزارة البريطانية تلح على الحكومة الفرنسية وعلى الجنرال جملان بوجهة نظرهما هذه ولكن

القائد البريطاني الورد جورت كان يشك في نجاح هذه الخطة القاعة على إشغال المدو في جهات القتال في حين يجب خرق جبهة واحدة لكي يتم التراجع . وفي التاسع عشر ترك الجنرال جلان الخدمة وخلفه الجنرال فيجان وكانت أوامر جلان الأخيرة رقم ١٢ سليمة من ناحية البدء وإن تأخرت خمسة أيام عن الموعد الذي يجب أن تصدر فيه . وكانت مقفلة والاستنتاجات الرئيسية التي وصلت إليها وزارة الحرب البريطانية ورؤساء أركان حربها ، وقد أدى تغيير القيادة في وقت الحاجة إليها إلى تأخير ثلاثة أيام آخر ولم تكن خطة فيجان التي اقترحها بعد زيارته للجبهة الشمالية سوى خطة على الورق وهي في حقيقتها خطة جلان نفسه ولكن بعد أن أصبحت ميثوساً منها من جراء الإبطاء في تنفيذها .

وإزاء هذا الموقف الزعج الذي نواجهه وجدنا أنفسنا مضطرين لقبول خطة فيجان وبذلنا غاية الجهد لتنفيذها وإن كانت جهودنا قد أصبحت وليس لها أثر فعال وقد اصلناها حتى الخامس والعشرين حين انقطعت سائر المواصلات . وسد الألمان هجومنا للعناد الضعيف واحتلوا آراس . وتدهورت الجبهة البلجيكية . وأوشك الملك ليوبولد على أن يستسلم وأصبح كل أمل في الانسحاب إلى الجنوب ضائعاً ولم يبق أمامنا إلا البحر . فهل نستطيع أن نصل إليه أم أننا سنطوق وتحطم جيوشنا في الديدان ومهما يكن الأمر فإن علينا أن نفقد كل ما لجيشنا من مدفعية ومدعات . مما لا يمكن تمريضه إلا بعد بضعة أشهر . ولكن ما قيمة كل هذا أمام إنقاذ الجيش وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء قوتنا في المستقبل وبدأ الورد جورت الذي شعر منذ اليوم الخامس والعشرين بأن الجلاء بالبحر هو فرصتنا الوحيدة بقم رأس جسر حول دنسرك وقد شق طريقه إليه بكل ما تبقى لديه من قوة . وكنا في حاجة ماسة إلى كل ما يحتاجه البريطانيون من نظام واستتال وما يحتاج به قوادهم من مهارة أمثال بروك والسيكساندر وموتجومري وكنا نحتاج إلى أكثر من هذا لنقوم بعمل كل ما في طاقة الإنسان أن يعمه .

وسندرس الآن قصة كثرة فيها السلام والجلد . ذكر الجنرال هولدر رئيس

أركان حرب القيادة الألمانية أن هتلر تدخل في هذه الفترة تدخلا مباشراً في الحركة لأول مرة . إذ أصبح كما يذكر ذلك القائد المليم بهذا الموضوع « في خوف على فرقة المدرعة لأنها كانت في موقف خطر إلى حد بعيد ، في أرض صلبة يحيطها القوات ولا تستطيع أن تحقق نتائج ذات أهمية » وقد أدرك أنه لا يستطيع أن يضحي بفرقة المدرعة دون فائدة لأنه يراها ضرورية لمرحلته الثانية من الحملة . وقد رأى أن تفوقه الجوى يتيح له أن يحول دون وقوع جلاء واسع النطاق من طريق البحر لهذا أرسل من طريق براوخيتش بامر « التشكيلات المدرعة بأن تتوقف أو تتراجع في بعض المراكز المدفوعة » ومن ثم أصبح الطريق مفتوحاً على تسير هولدر ، أمام البريطانيين ليصلوا إلى دنسرك . وعلى أية حال فقد استطعنا أن نلتقط رسالة لالنية في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية والأربعين من صباح الرابع عشر من شهر مايو فيها أمر بوقف الهجوم على دنسرك في ذلك الوقت ويقول هولدر إنه بالنيابة عن القيادة العليا رفض التدخل في حركة مجموعة الجيوش التي يتولى قيادتها وونشتادت ، كانت لديها أوامر صريحة بمنع العدو من الوصول إلى الساحل . وأضاف أنه كلما كان النجاح هنا أهم وأسرع كان من الأسهل الاستمساة من الدبابات المفقودة فيما بعد .

ونفس الخلاف بأمر صريح من هتلر نفسه قال فيه إنه يريد أن يضمن تنفيذ أمره بإرسال ضابط اتصال شخصي إلى الجبهة وقال هولدر « ولم أستطع أن أعرف كيف اقتنع هتلر بضرورة عدم تريض الفرق المدرعة للخطر . وقد يكون كايبل الذي كان قد أمضى في الحرب العالمية الأولى مدة طويلة في جبهة الفلاندرز قد أوحى إليه بهذه الآراء بإقتصاص التي كان يروها له » .

وقد روى قادة آخرون من الألمان هذه القصة نفسها . وأشاروا إلى أن دوائع سياسية دعت هتلر إلى إصدار هذا الأمر . وترى إلى تحسين فرص السلام مع انكنازا بعد هزيمة فرنسا . وتروى بعض الوثائق التي ظهرت فيما بعد في صورة يوميات صادرة من مقر قيادة وونشتادت قصة مختلفة كل الاختلاف . فقد وردت الاوامر عند منتصف ليلة «الثالث والعشرين» من مقر القيادة بتوقيع براوخيتش تؤكد أن الجيش الرابع سيقى تحت قيادة وونشتادت للقيام « بالفصل الأخير من الحركة » وحضر هتلر في صباح اليوم

التالى لزيارة رونشتادت فأبلغه أن سلاحه المدرع الذى توغل هذه السافة البعيدة وبمثل هذه السرعة قد وهنت قوته وأصبح فى حاجة إلى التوقف فترة من الزمن لإعادة تنظيمه واستعادة التوازن والقوى . حتى يستطيع أن يواجه الضربة الاخيرة ضد العدو الذى « يحارب بقوة فاهرة » وقد توقع رونشتادت كذلك أن تتعرض قواته الممتدة فى مسافات شاسعة لهجمات من الشمال أو الجنوب . طبقا لخطة فيجيان وهى الخطة التى إذا نفذت كانت العملية الوحيدة التى يمكن للحلفاء أن يقوموا بها كضربة مضادة . وقد اتفق هتلر معه كل الاتفاق . لاحيا وقد كان يشعر بضرورة توفير القوات المدرعة لمهمات مقبلة ، ومع ذلك فقد جاء فى الصباح الباكر أمر جديد بتوقيع بروخيتش القائد العام باستمرار تقدم السلاح المدرع . ولكن رونشتادت . رفض تنفيذ هذا الأمر وهو معتمد على موافقة هتلر الشفوية . ولم ينقل الأمر إلى قائد الجيش الرابع كلوجه الذى طلب إليه أن يواصل جمع قواته المدرعة . وقد احتج كلوجه على التأخر ولكن رونشتادت لم يصدر أوامر القيادة العليا إلا فى اليوم التالى أى فى السادس والعشرين وقد أضاف أن دسكركه نفسها يجب ألا تهاجم بصورة مباشرة وتقول اليوميات إن الجيش الرابع أعلن احتجاجه على هذا التجهيد . وقال رئيس أركان حربه فى السابع والعشرين :

« إن الحالة فى موانئ القناة تبدو على الصورة التالية : البواخر الكبيرة تقترب من الأرصفة : وتمتد الألواح الخشبية إلى الشاطئ . وسرعان ما تمتلئ أسطح هذه البواخر بالرجال أما المتعاد الحربى فيتركونه جميعه وراءهم . ولكننا لا نريد أن نرى هؤلاء الرجال وقد أعادوا تسليحهم من جديد وتمعدوا لنا مرة ثانية » .

ويبدو من هذا أن السلاح المدرع قد توقف . وأن الامر الصادر بتوقفه لم يكن من هتلر ولكن من رونشتادت ولاشك أن لرونشتادت وجهة نظره فى هذا الموضوع تتفق بأوضاع السلاح المدرع نفسه ثم بالمركة بصفة عامة . ولكن كان يجب عليه أن يخضع للأوامر الرسمية الصادرة عن القيادة العليا أو أن يبالغ هذه القيادة ما قاله هتلر فى محادثتهما . وثمة اتفاق تام بين القادة الألمان على أن فرصة عظيمة قد ضاعت منهم .

وكان هناك سبب خاص ، له تأثيره على حركات السلاح الألماني المدرع في تلك المرحلة الحاسمة .

بعد أن وصل الألمان إلى البحر وراء أيبفيل ليلة العشرين من الشهر انجذبت الوحدات المتقدمة من الصفوف الألمانية المدرعة والآلية شمالاً نحو بولون وكاليه ودينكرك . لقطع الطريق على الفرار من ناحية البحر . وكانت هذه الطريقة ماثلة في خاطري منذ الحرب الماضية حين حافظت على اللواء البحري المتحرك ، الدامل من دينكرك ضد جناحي ومؤخرة الجيوش الألمانية الزاحفة على باريس ومن ثم لم أكن في حاجة إلى معلومات جديدة عن نظام الرى والقنوات بين كاليه ودينكرك ، ولا إلى معرفة جديدة عما للاخطوط المائية في هذه المنطقة من الأهمية . وقد فتحت السدود . وأخذ الفيضان يزداد يوماً بعد يوم ويتدفق ماؤه فيحى خط تراجعنا من جهة الجنوب . وأصبح من الضروري الدفاع عن بولون لاسيما عن كاليه إلى آخر لحظة ، لما لتلك من الأهمية في هذه الحالة المضطربة من المعركة . وأرسلت الحاميات إلى الهندين من انكترا في الحال . وقد عززت بولون وهوجت في الثاني والعشرين من شهر مايو وكان يتولى الدفاع عنها فريقان من الحرس وبطارية من البطاريات القليلة المضادة للدبابات التي في حوزتنا ومنها وحدة فرنسية صغيرة وبعد ست وثلاثين ساعة قضيناها في التفاوض بدأ أنها أمر مستحيل وقد وافقت على إجلاء حاميتها التي تشغل الفرنسيين كذلك بطريق البحر . وقامت ثمان مدمرات في ليلة الثالث والعشرين والرابع والعشرين بنقل من تبقى من الرجال بعد خسارة ما يقرب من مائتي رجل وواصل الفرنسيون الدفاع عن القلعة حتى صباح اليوم الخامس والعشرين فأحسست ندماً على جلاء قواتنا .

وكنت قبل أيام قلائل قد عهدت إلى رئيس أركان حرب القوات الإمبراطورية . أن يتولى الدفاع عن موانئ المانش مباشرة . وكان على اتصال دائم بي . ثم قررت الدفاع عن كاليه حتى الموت وأن لا تنجلو حاميتها التي تتألف من فريق من حملة البنادق . وفريق آخر من الكتيبة الستين . وفريق من كتيبة الملكة فكتوريا ، وبطارية المدفعية المضادة للدبابات التاسعة والعشرين وفريق من الدبابات وعدد من

الديابات الخفيفة ، وقوات فرنسية مماثلة بطريق البحر وكان من المؤلم التضحية بهذه القوات العظيمة المدربة التي قل أن يوجد عندنا مثيل لها . طمأ في أن نكسب يومين أو ثلاثة أيام يشك في نتائجها . وقد وافق وزير الحربية ورئيس أركان حرب الامبراطورية على هذا العمل الشاق .

وفي ليلة السادس والعشرين من شهر مايو اتخذنا قراراً بدمد إقناذ الحامية . وكانت المدرات حتى ذلك التاريخ على استعداد تام . وكان إيدن وإيرونايد مى فى الأميرالية . فلما خرجنا من المشاء فى الساعة التاسعة مساء تلك الليلة كنا قد اتخذنا القرار ، وكان بين هذه القوات الفريق الذى كان يعمل فيه إيدن وحارب معه فى الحرب المالية الأولى . وإذا كان للإنسان أن يأكل ويشرب حتى فى أيام الحرب فقد كان هذا القرار يمز فى نفسى ونحن على مائدة المشاء إلى حد الرضى وكانت كاليه موضع الخطورة . وقد نحول بيننا وبين إقناذ دفسرك عوامل أخرى . ولكن مما لاشك فيه أن الأيام الثلاثة التى كسبناها بالدفاع عن كاليه قد قوت خطنا المسأى فى « جرنفلاند » ومكنته من المناومة وعلى الرغم من تردد هتلر وأوامر رونسشادت فإن خطوطنا كانت ستقطع وتضيع سائر قواتنا .

ووقفت فى خلال ذلك كارثة . فالألمان الذين لم يكونوا قد مضطوا على الخط البلجيكي مضطاً شديداً حطموا هذا الخط على جانبي كورتانى فى الرابع والعشرين من شهر مايو . وهى منطقة لا تزيد أكثر من ثلاثين ميلا عن أو ستند وفسرك . وقد اعتبر ملك بلجيكا أن الوضع أصبح ميئوساً منه وتهيأ للاستسلام .

وفي ليلة الخامس والعشرين اتخذ اللورد جورت قراراً حيويًا وكانت الأوامر الصادرة إليه حتى تلك الليلة هى أن يتابع خطة فيجيان بأن يواجه هجومه نحو الجنوب فى اتجاه كمبريد ويستخدم فى هذا الهجوم الفرقتين الخامسة ، والخمسين بالاشتراك مع الفرنسيين . ولم يتم الهجوم الفرنسى الموعود باتجاه الشمال من منطقة السوم . وتم إخلاء آخر المناطق المدافعة عن بولون . أما كاليه فكانت لا تزال محتاجة . وقدر اللورد جورت التخلي عن خطة فيجيان فلم تمتد خطة إلخف نحو الجنوب ونحو السوم

باقية . وفي خلال ذلك تم انهيار الخط البلجيكي ، والقجوة التي فضعها الألمان في الشمال لما خطرهما . وقد قرر جورت عن ثقة بمقدرته العسكرية واقتناع بانهار كل إشراف من جهة الحكومتين البريطانية والفرنسية على ميدان المعركة وقندان كل سيطرة لقيادة العليا الفرنسية عليها - أن يتخلى عن فكرة الهجوم تجاه الجنوب . وأن يسد الثغرة التي ستنتج طاجلا باستسلام بلجيكا في الشمال .

ويحذف تجاه البحر ومن ثم يكون الأمل الوحيد في إنقاذ مايمكن إنقاذه من الدمار أو الاستسلام . وفي الساعة السادسة مساء أصدر أوامره إلى القوتين الخامسة ، والتمسين بالانضمام إلى اللواء البريطاني الثاني لمحاولة سد الثغرة في الخطوط البلجيكية . ونقل إلى الجيرال بلانشارد الذي خاف بيلوت في قيادة مجموعة الجيوش الفرنسية الأولى هذه الأوامر . وقد اعترف هذا الضابط بوقوع الأحداث وشدها . فأصدر أوامره في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء بالانسحاب في ذلك اليوم إلى خط وراء قناة ليز غرب ليل . وقد عزم على أن يقيم رأس جسر حول دنكرك .

ووضع جورت وبلانشارد في الصباح الباكر من اليوم السادس والعشرين من شهر مايو خطتهما للانسحاب تجاه الشاطئ ولما كان على الجيش الفرنسي أن يقطع مسافة أطول . فقد كانت الحركات الأولى لقوات الحملة البريطانية بمثابة تمهيد مبدئي . وظلت القوات الخلفية للواثنين البريطانيين الأول والثاني باقية في الخطوط الدفاعية للجهة حتى ليلة السابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر مايو . وكان اللورد جورت في جميع هذه الخطوات يعمل برأيه وعلى مسؤوليته . ولكننا كنا في هذا الوقت على ضوء بعض المعلومات قد وصلنا إلى نفس النتائج . وقد صدرت إليه برقية في السادس والعشرين من وزارة الحربية تؤيد ما قام به من إجراءات وتتيح له أن يتحرك تجاه الساحل متعاوناً مع الجيوش الفرنسية والبلجيكية وبدأ حشد أكبر عدد ممكن من السفن من مختلف الأحجام والأشكال على نطاق كبير .

وفي أثناء ذلك . استمرت عملية إقامة ردوس الجسور حول دنكرك . وتقرر أن يحتفظ الفرنسيون بالمواقع المتقدمة من « جريفلاين » إلى برج وأن يحافظ البريطانيون على القناة من فيرتز إلى نيوپورت والساحل ، وبدأت الجماعات المختلفة

تقدم إلى هذا الخط من جميع الأسلحة وهي تصل من شتى الجهات . وتلقى اللورد جورت من وزارة الحربية أمراً مؤكداً للام الصادر إليه في السادس والعشرين . في برقية مؤرخة في السابع والعشرين تقول « إن مهمته أصبحت منحصرة في إجلاء أكبر عدد ممكن من الرجال » وكنت قد أبلغت السيود رينو في اليوم السابق أن سياستنا أصبحت محصورة في إجلاء قوات الحملة البريطانية وطلبت إليه أن يصدر أوامر مماثلة . وكان انقطاع المواصلات له أثره الكبير حتى أن قائد الجيش الفرنسي الأول أصدر أمراً في الساعة الثانية بعد ظهر السابع والعشرين إلى جنوده قال فيه « إن المركبة تدور الآن حول خط ليز دون تراجع » .

وقد أصبحت أربع فرق بريطانية مهددة بالخطر . والجيش الفرنسي الأول جميعه مهدداً بالانقطاع والزلزلة حول ليل . وأخذ جناح الحركة التطويقية الألمانية ببذلان جهدهما لانطباع الكاشة على هذه القوات الفرنسية والبريطانية . وكانت هذه الملاحظة من الملاحظات الفريدة الحاسمة . حيث تلعب وسائل النقل الميكانيكية دورها .

ولما أصدر اللورد جورت أمره تراجع هذه الفرق الأربع بسرعة مدهشة في ليلة واحدة . وقد استطاعت بقية الجيش البريطاني في خلال ذلك عن طريق المارك الطاحنة على جانبي المنطقة الإبقاء على الممر المؤدى إلى البحر مقفوحا . وقد تمكن طرفا الكاشة من الالتقاء أخيراً ليلة التاسع والعشرين في صورة تشبه تلك العملية الروسية العظيمة حول ستالينجراد سنة ١٩٤٢ بعد أن تأخرت بمجهود الفرفة الخامسة ثلاثة أيام وقد استغرقت عملية إغلاق الكاشة يومين ونصف يوم . وفي خلال ذلك الوقت كانت الفرق البريطانية وجزء كبير من الجيش الفرنسي الأول باستثناء الجيش الخامس الذى فقد ، قد انسحبت جميعها بانتظام عند الثغرة على الرغم من اعتقاد الفرنسيين على الخيول في مواصلاتهم وعلى الرغم من قطع الطرق الرئيسية الممتدة إلى دنسرك ومن امتلاء الطريق الفرعية بالقوات المنسحبة وبقواض طويلة من وسائل المواصلات والوف اللاجئيين .

وكنت قد طلبت إلى الستر تشمبرلين منذ عشرة أيام أن يدرس مع الوزراء هل نستطيع الاستمرار في الحرب وحدنا .

لم اعرضت الأمر على مستشارينا العسكريين بصفة رسمية . وتمتدت أن أضع
سنيئة السؤال في عبارة تتيح لرؤساء أركان الحرب . أن يبتروا من آرائهم بحرية
مهما تكن هذه الآراء . وكنت أعرف من قبل أنهم مصممون على الاستمرار
في الحرب . ولكني رأيت أن من السداد الاحتفاظ بسجلات خطية لهذه القرارات
وأردت أن أجد الفرصة التي تتيح لي أن أؤكد للبرلمان أن وراء تصميمنا آراء
الخبراء العسكريين المحترفين . وما أنذا أورد فيما يلي السؤال ورد أركان الحرب عليه .

١ - لقد استعرضنا تقريرنا عن استراتيجية بريطانيا إذا وقع تطور
خاص على ضوء المهمة التي عهد إلينا بها رئيس الوزراء في الرسالة
التالية :

إذا هجمت فرنسا من الاستمرار في الحرب . ووقفت موقف الحياد
واحتفظ الألمان بمركزهم الحالي مع اضطراب الجيش البلجيكي للاستسلام
بعد مساعدة الحملة البريطانية على الوصول إلى الساحل . وإذا تقدمت
ألمانيا بروض تحمل بريطانيا تحت رحمتها عن طريق نزع السلاح ووقف
القواعد البحرية من المدل في جزر أوركني وما شابهها . فإنا هو أملنا
في مواصلة الحرب وحدنا ضد ألمانيا . وربما ضد إيطاليا كذلك .

وهل يستطيع الأسطول والسلاح الجوي . أن يعطينا الأمان
ضد غزو خطير وهل تستطيع القوات التي تحتشد في هذه الجزر أن
تتحمل التارات الموجهة إليها من الجو والتي تشتعل على وحدات لا يزيد
عددنا عن العشرة آلاف رجل .

من الدلم بأن إطالة مدى المقاومة البريطانية قد تكون من الخطورة
بمكان على ألمانيا المشغولة بالمحافظة على الجزء الأكبر من أوروبا ؟

٢ - وقد توصلنا إلى النتائج التالية :

٣ - ما دام سلاحنا الجوي موجوداً . فيجب على الأسطول أن
يتعاون معه . وفي استطاعتها مما أن يحول دون قيام ألمانيا بغزو
خطير من طريق البحر لهذه البلاد .

٤ - إذا فرضنا أن ألمانيا استطاعت أن تحصل على التفوق الجوى فنحن نعتقد أن في استطاعة الأسطول أن يمنع النزو إلى أجل محدود لا إلى أجل غير محدود .

٥ - إذا خبز أسطولنا من منع النزو . وزالت قوتنا الجوية من الوجود . وحاولت ألمانيا النزو فإن قوة دفاعنا الساحلية لا يمكنها أن تحول دون تثبيت أقدام دبابات الألمان ومشاتهم على سواحلنا . وفي حالة كهذه ستكون قواتنا البرية غير كافية لمواجهة غزو جدى خطير .

٦ - إن جوهر الموضوع يقوم على التفوق الجوى . فإذا استطاعت ألمانيا الوصول إلى هذا التفوق فإنها قد تحاول إخضاع هذه البلاد من طريق القوة الجوية بحسب .

٧ - إن ألمانيا لا تستطيع أن تصل إلى التفوق الجوى التام إلا إذا قضت على سلاحنا الجوى جميعه . وحطمت مصانع طائراتنا التي يوجد منها عدد كبير وهام في كوفنري وبرمنجهام .

٨ - قد تقع الغارات الجوية على مصانع طائراتنا في الليل والنهار ونرى أن علينا أن نلحق أكبر خسائر بالمدو في غاراته النهارية حتى لا يقع الضرر بمصانينا . ومهما حملنا من الإجراءات الدفاعية . ونحن نبادر بما لدينا من قوة ، فليس في مقدورنا التأكد من قدرتنا على حياة الراكر الصناعية الكبيرة التي تعتمد عليها صناعة طائراتنا . مما يصيبها من الاضرار المادية ذات الأثر البالغ التي تحمل بها من جراء الغارات القليلة . وعلينا أن نحول بين المدو وبين إصابة الأهداف ونقف حائلاً بينه وبين أهدافه .

٩ - ونجاح الغارات الجوية في القضاء على صناعة الطائرات لا يقوم على الاضرار المادية التي تحدثها التنازل بل على نيل من الروح المنوية

في نفوس المال وعزمهم على المضي في السبل على الرغم من الممار التي
محيط بهم .

١٠ — وإذا أراد المدو أن يستمر في هذه التارات الهييلة على
مصانع طائراتنا ، فقد يقال بيفته . وينجح في تحقيق ما يطمح فيه من
إزال الأضرار المادية . والمنوية داخل المناطق الصناعية حتى يشل
حركة مصانعنا تماماً .

١١ — ويجب علينا أن نذكر أن الألمان يفوقونا في عدد
الطائرات بنسبة واحد إلى أربعة فضلاً عن أن مصانع إنتاج الطائرات
الألمانية أكثر مناعة وتوزيعاً من مصانعنا .

١٢ — وفي مقدورنا ما دامت لدينا قوة من القاذفات أن نجعلها
تقوم بفترات مماثلة على المراكز الصناعية في ألمانيا لأقدمها وتصلها
من السبل .

١٣ — وبالإجمال فإن ألمانيا تبدو لأول نظرة وكأنها تحصل أكثر
الأوراق الاربعة . ولكن في وسع القوة المنوية عند جنودنا البحارين
وسكاننا المدنيين أن توازن بين قوتنا وما تتمتع به ألمانيا من
مميزات في العدد والعدد . ونحن على ثقة بأنها ستنتج في هذين
الموازنة .

وقد وقع على هذا التقرير الذي كتب في أشد أوقاتنا شيقاً وظلمة
قبل اقادة دسكرك ، رؤساء أركان الحرب الثلاثة وهم نيو وال . وأود
وايرونايد ، ونوابهم الثلاثة ديل ونيليس ويري . وأود أن أعترف
بمد قراءة هذا التقرير بستوات بخطورة الموقف الذي كنا فيه وحلكته .
لكن أعضاء وزارة الحرب والوزراء القليلين الآخرين الذين اختلفوا
عليه كانوا قد صمموا على أمر واحد غير قابل للجدال . فالكل قلب
واحد وروح واحد .

وقد أصدرت التعليمات التالية :

١٩٤٠/٥/٢٨

سيكون من دواعي فخرنا رئيس الوزراء في هذه الأيام أن يرى
روح المنوية عالية بين زملائه الوزراء ومساعدتهم من كبار الوزراء
في تلك الظروف التي يعيشون فيها . وعلينا أن لا نقتل من خطورة
الأحداث . ولكن علينا في الوقت نفسه أن نعلم ثقتنا التامة وبعزمنا
على المضي في الحرب . حتى نقضي على إرادة العدو وتصميمه على السيطرة
على أوروبا وإخضاعها .

وعلينا أن لا نجعل لفكرة القاتلة بأن فرنسا ستفقد سلاحها منفرداً
أثراً في نفوسنا . ومهما طرأ على القارة الأوروبية من أحداث فإن واجبنا
يقضي علينا بأن نبذل كل مجهود لدينا للدفاع عن جزيرتنا
وامبراطوريتنا وقصبتنا .

وفي صباح اليوم الثامن والعشرين استسلم الجيش البلجيكي .

وقد تلقى اللورد جويت إشارة بالمرم على الاستسلام قبل وقوعه بساعة واحدة .
وإن كان هذا الانهيار منتظراً منذ ثلاثة أيام . وقد استطاعت القوات البريطانية
أن تفلح الفكرة التي سينتهي إليها هذا التطور . وفي ذلك اليوم كان احتمال نجاة
الجيش البريطاني في يد الأعداء . وقد واجه الجنرال بروك في الجبهة المتقدمة من كومين
إلى إبيرس ومنها إلى البحر — وهو يحاول سد الفجوة التي أحدثها البلجيكيون .
ممركة قاسية قاتل فيها قتالاً عنيفاً بعد انسحاب البلجيكيين شمالاً واستسلامهم .
ولكن هذه الفجوة أخذت تتسع حتى أصبح من الممكد سدّها . ولم يكن من
الاستطاع وقف الاندفاع الألماني بين الجيوش البريطانية والبلجيكية . ولكننا كنا
نتوقع نتائجها للملكة . وهي أن يتجه العدو إلى الداخل عبر الإيزار فيصل إلى
السواحل وراء قواننا الحاربة .

وقد احتل الألمان مجلد الرد الروس القوي لحق بهم . وفي أثناء ذلك وعلى بعد أربعة

أميال بحسب وراء جبهة بروك للسكافة كانت هناك حشود كبيرة من السيارات والجنود متدفقة إلى الوداء نحو أراس. الجسر القائم حول دنكرك لتصبح جزءاً لا يتجزأ من خطوطها الدفاعية . فلما جاء اليوم التاسع والمشرون من الشهر كانت قوات كبيرة من الحملة البريطانية قد وصلت إلى القطاع وكانت قد بدأت الإجراءات البحرية في هذا القطاع تم بنجاح . وفي الثلاثين من شهر مايو أعلنت القيادة العامة أن سائر الفرق البريطانية أو ما تبقى منها قد دخلت القطاع وقد استقطع أكثر من نصف الجيش الفرنسي الأول أن يمتاز طريقه إلى دنكرك حيث نقل أكثر رجاله من طريق البحر في سلام . إلا أنه قطع خط الرجعة لخمس فرق على الأقل من طريق السكافة الألمانية التي أطحقت إلى الغرب من ليل . واستمر الفرنسيون يقاتلون في ليل بصورة تدريجية إزاء ضغط زائد حتى أجبروا مساء الحادى والثلاثين من شهر مايو إلى الاستسلام وقد فقد مائهم من مؤنة وعناد وهكذا وقع نحو خمسين ألف رجل أسرى في يد الألمان . وقد استقطع هؤلاء الفرنسيون بقيادة الجنرال مولينية الباسل أن يثبتوا أربعة أيام شديدة أمام سبع فرق ألمانية على أقل تقدير . وكان في استطاعة هذه الفرق أن تشترك في الهجوم على قطاع دنكرك . ولا شك أن هذه المقاومة الباسلة كانت مساهمة ذات شأن في إقناذ زملائهم الذين كانوا أسعد حظاً في نجاة الحملة البريطانية .

وقد كنت في محنة وأنا أحمل المسؤولية وأراقب بأفئاس متقطعة وعيون قلقة حائرة هذه المسرحية التي لا أستطيع أن أتحكم فيها والتي قد يؤدي التدخل فيها إلى ضرر أكثر من الفائدة . ولا شك أننا بتنفيذ خطة فيجيان بالتراجع نحو السوم إلى أطول مدى ممكن قد ضاعفنا من خطورة الموقف الحرج الذي كنا نواجهه إذ ذاك ، ولكن قرار جورت الذي أسرعنا بالموافقة عليه ، والذي يقضى بالتدخل عن خطة فيجيان والترحل إلى البحر قد نفذ تنفيذاً رائعاً بفضل الميرية الفذة التي اتصف بها القائد وأركان جريه . وسيظل هذا الحادث أسطورة عظيمة في تاريخ بريطانيا العسكرية .

إنقاذ دنكرك

كنا في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر مايو وقد تخلّفت عن مجلس العموم منذ ذلك اليوم إلى يوم الثلاثاء الذي يليه ولم أر قائدة تذكر من الإغناء ببيان آخر في هذه الفترة . ولم يبد الأعضاء رغبة في الاستماع إلى مثل هذا البيان ولكنهم أدركوا جيداً أن مصير جيشنا سيقرر قبل أن ينتهي هذا الأسبوع وقلت « إن على المجلس أن يستمد لاستماع أنباء شديدة قاسية ، ولكنني أريد أن أضيف أنه مهما تحدث في هذه المركة فلن يحررنا من واجبتنا في الدفاع عن قضية العالم ، التي كرسنا لها أنفسنا . ولن يصف من إيماننا بقدرتنا على أن نشق طريقنا كما فعلنا في ظروف جماعلة من تاريخنا الطويل حيث اقتحمنا طريق الكوارث والآلام لتحقيق المزعمة أخيراً بأعدائنا ولم أكن قد رأيت الكثيرين من زملائي الوزراء ، من غير أعضاء وزارة الحرب منذ تأليف الحكومة إلا فرادى . ورأيت أن أعقد اجتماعاً عاماً لجميع أعضاء الوزارة في غرضي بمجلس العموم . وكنا نحو خمسة وعشرين وزيراً حول اللامدة . فشرحت لهم مجرى الأحداث ، وبيّنت لهم بوضوح أين وقفنا وما هو معلق في كفة القدر ثم قلت عرضاً وكأني لا أرى إلى موضوع ذي أهمية خاصة وبالطبع مهما يحدث في دنكرك فإننا سنمضي في القتال »

« وحدثت ظاهرة أدهشني كثيراً من هؤلاء الساسة والمفكرين ورجال البرلمان الذين يمثلون مختلف الآراء سواء أكانت صائبة أو خاطئة قبل الحرب . فقد رأيت عدداً منهم يتقدم من مقعده ويسرع إلى وهو يصيح ويربّط على ظهره ولم يكن ثمة شك في أنني إذا اتخذت في تلك اللحظة في قيادة لأمتنا لأقميت عن منصبى . وكنت على يقين من أن كل وزير كان على أتم استعداداً للتضحية بروحه في هذه اللحظة . وكانوا كأفراد يمثلون مجلس العموم يشار اتجاهاته ومن ثم فهم يمثلون الشعب البريطاني جميعاً . وقد كان لي في الأيام والشهور التالية أن أتكلم باسم هؤلاء جميعاً وأشعرهم مشاعرهم في كثير من المناسبات وكان ذلك حقاً على وكنت أعبر عنها

خير تعبير لأها كانت مواطني نفسها . وكان هناك خيط رفيع من النور يشرق على جزيرتنا من أقصاها إلى أدناها .

ولقد كتب الكثير من البيانات الدقيقة لجلاء القوات البريطانية والفرنسية عن دنكرك . فنذ اليوم العشرين من شهر مايو تقدمت مجموعة البواخر والقطع الصغيرة في سبيلها الحثيث تحت قيادة الأميرال رمزي إلى قيادة موقع دوفر . وأعلنت الأميرالية مساء اليوم السادس والعشرين من شهر مايو وضع عملية « دينامو » موضع التنفيذ . وقد وصلت إلى الوطن أول قوات جلت عن دنكرك . وإذ ضاع منا ميناء بولون وكاليه . لم يبق لنا إلا ما بقي من ميناء دنكرك والشواطئ الرملية القريبة من الحدود الهاجيكية . ورأينا أن أقصى ما يمكن إنقاذه في ذلك الوقت هو نحو خمسة وأربعين ألف رجل في يومين . وفي السابع والعشرين اتخذت إجراءات الطوارئ للحصول على أكبر عدد ممكن من السفن الصغيرة للقيام بواجبات خاصة . ومعنى ذلك إجلاء ما لا يقل عن نصف قوات الحملة البريطانية . وكان معلوماً أن عددا كبيرا من هذه السفن الصغيرة والزوارق ستكون للعجلاء من الشواطئ الرملية بينما تقوم السفن الكبيرة بمملها في ميناء دنكرك نفسه . وقام ضباط الأميرالية بإشارة من المستر ريجز من وزارة الملاحة . بالبحث في جميع أحواض الزوارق بين تيدلنتجتون وبرايثلتجتون ثمثروا على نحو أربعين زورقا بخاريا ولنشا وكلها صالحة للعمل وقد تم حشدتها في شيرنيس في اليوم التالي وقد جمعت في نفس الوقت جميع القوارب والزوارق واليخوت وسفن الصيد الصغيرة . وكل ما على سواحل البحر من وسائل النقل وكلت بالعمل ، وفي اليوم السابع والعشرين من شهر مايو اندفع سيل دافق من هذه القطع الصغيرة إلى البحر نحو شواطئ دنكرك لإنقاذ جيشنا المحبوب .

وبعد أن انكشف ستار السرية عن هذه الحركة . أطلقت الأميرالية دون تردد البحرية لسلك حركة من الحركات التي اجتاحت أهالي السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية من عشاق البحار وقد استطاع كل من له قارب أو زورق بخاري كان أو

شرعى أن يسبح إلى دنكيرك ، وهكذا قوت الاستعدادات التى بدأناها لحسن الحظ منذ أسبوع بهذه الدقة من الحواس العظيم التى أبداه المتطوعون بطريقة مدهشة وكان عدد القوارب التى وصلت فى التاسع والمشرين صغيرة . ولكنها كانت مقدمة لنحو ربمائة سفينة صغيرة قدر لها أن تلعب بعد الحادى والثلاثين من شهر مايو دوراً حيوياً فى نقل مالا يقل عدده عن مائة ألف جندي من الشواطئ إلى البواخر الراسية فى عرض البحر . وقد فقدت فى هذه الأيام مدير غرفة خرائطى فى الأميرالية القبطان بيم وشخصاً أو شخصين كانا مأثورين إلى . وكانوا قد استولوا على زورق هولندي صغير أنيخ له أن ينقذ فى أربعة أيام ثمانمائة جندي . وقد بلغ مجموع السفن التى أسرمت بأفاد الجيش تحت نيران المدافع التى لا يقطع قصفها من طائرات العدو ، نحو ثمانمائة وستين قطعة صغيرة منها نحو سبعمائة يملئها بريطانيون والبقية لبعض رعايا الحلفاء .



وفى أثناء ذلك ، كان احتلال القطاع الغائم حول دنكيرك يبرز بقوة وهناك . وقد وصلت القوات إلى القطاع متفرقة وفى حالة من الفوضى . ولكن سرعان ما أعيد تنظيمها ووزعت على الخطوط الدفاعية التى تدعمت فى مدى يومين لحسب ، وقد مهد لأحسن الجنود بحماية الخط الأمامى . واحتفظ بالفرق التى تحملت القتال فى المدة السابقة كالفرقة الثانية والخامسة كقوة احتياطية على الشواطئ . وقد حمل بنقلها إلى أرض الوطن . وكان قد تقرر أن تشارك ثلاثة ألوية فى الدفاع عن الجبهة . ولكن عندما حمل الفرنسيون جزءاً كبيراً من عبء الدفاع تقرر أن يكتبى بلواوين . وكان العدو مستمراً فى المطاردة أثناء عملية الجلاء وقد قام قتال مرير على الأخص حول الجناحين فى نيوبورت وبيرجز . ومع السير فى عمليات الجلاء كان النقص فى عدد الجنود من بريطانيين وفرنسيين يساهم انقياض فى الخطوط الدفاعية . وقد ثبتت مشرث الأتوف من الجنود على الشواطئ وبين الكتيبان الزمالية ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة . إزاء غارات جوية مستمرة بشير رحمة . وقد تبين من هذا أن اعتقاد مطر فى قوة السلاح الجوى الألمانى وقدرته على منع الفرار .

وما يقرب على ذلك من احتفاظه بتشكيلاته المدرعة للضربة النهائية من الهزيمة كان اعتقاداً خاطئاً . وإن لم يكن بعيداً عن المقول .

وقد عملت ثلاثة عوامل في تحطئة هذه الاحتمالات . أولها أن الغارات الجوية على هذه المجموع من الجنود القائمة على الشاطئ لم تصبها بأضرار بالغة . وقد عجب الجنود حين وقعت غارة جوية شديدة عليهم ولم يقتل أحد منهم أو يصب بجراح . وقد حدثت الانفجارات في كل مكان . ولكنها لم تصب أحداً . ولو كانت الشواطئ مخفية لكانت النتائج أشد تأثيراً بل لكانت مهلكة ممتدة . وهكذا أصبح الجنود ينظرون إلى الغارات الجوية باحتقار . فقد كانوا يقبضون خلف الكتيبان الرملية وأمامهم البحر الأزرق وهو صديق صدوق لهم وفيه سفن الانقاذ ووراءها أراضى الوطن .

وكان العامل الثاني الذي لم يكن يقومه هتلر . وهو ما حل بطلياربه من قتل وذبح . فقد وضعت القدرة الجوية البريطانية والألمانية موضع الاختبار واحتفظت قيادة الطائرات الفاتلة بدوريات متتامة في سماء المركة . وقد بذلت جهداً كبيراً في عاربة المدو في مارك جوية عنيفة رغم تفوقه في العدد . وكانت طائرانا تغلب ساعة بعد أخرى على أسراب الفاذقات والحاربات الألمانية فتوقع بها الخسائر البالغة . وتدمرها شر تدمير وتهدمها عن سماء المركة وقد ظل هذا القتال الجوى مستمراً يوماً بعد يوم حتى تمكن سلاحنا الجوى من تحقيق فوزه العظيم . وأينما وجدت طائرانا مجموعات كبيرة من الطائرات الألمانية كانت تسرع إلى مهاجمتها وتسقط منها العشرات التي تصل عاجلاً إلى المئات وقد استخدمنا كل ما لدينا من طائرات احتياطية في الوطن . وكان الطيار البريطاني يضطر في كثير من الأحيان إلى الإفارة أربع مرات في اليوم . وقد وصلنا إلى النتيجة البارزة وهي أن المدو المتفوق يهزم أو يقتل . ويتراجع على ما فيه من شجاعة . وأنها لمركة فاسلة . ولم يكن الجنود المقيمون على الشاطئ لسوء الحظ يرون الكثير من هذا الصراع الأسطوري في الجو . فقد كانت هذه المارك دائرة على بعد عدة أميال أو فوق السحاب . وكانوا لا يملكون بما ينال المدون من خسارة . وكل ما كانوا يرون هو تلك

القنايل التي كانت تصانط على الشواطئ. بقي بها العدو الذي كان يستطيع الوصول ولكنه لا يستطيع العودة في غالب الأحيان وكان يسيطر على الجيش شموذ من المראה والنضوب ضد السلاح الجوي لأنه لم يره في للمركة حتى كان بعض الجنود الذين وصلوا سالين إلى الوطن يرمون بالسباب زملاءهم الذين يرتدون ملابس الطيران جهلاً منهم بالحقيقة . وكان عليهم أن يشعروا عليهم ويهنتوهم ولكن كيف يدركون الحقائق وقد قررت أن أعلن الحقيقة في البرلمان .

ولكن العاملين الرمي والجوى ماكانا ليحدثنا أثرهما لولا العامل الثالث وهو عامل البحر . فقد كان للعمليات التي صدرت منذ عشرة أيام أو اثني عشر يوماً تحت وطأة الأحداث وما تبعها من المواقف النائرة أثرها العظيم . وقد هم النظام التام على الشواطئ وعلى ظهر السفن والبواخر وكان البحر هادئاً . وأخذت الزوارق تسير ذهاباً وإياباً بين الشاطئ والبواخر تنقل الرجال من الشاطئ بعد أن يخوضوا في الماء أو تحملهم وهم ساجدون غير عابثة بالقذائف الجوية التي كانت كثيراً ما تنالهم ببعض الإصابات وكان العدد الهائل من هذه الزوارق هو وحده الذي تحدى النارات الجوية وثبت أن « أسطول البعوض » لا يفرق . وقد اتقنت شاحل الجند وسط الهزيمة وسقطت على شعب الجزر البريطانية الذي أحدث مشاعره فجأت على الهزيمة وسبق قصة شواطئ دنكيرك حافلة في كل ما يحتفظ به من سجلات .

وإذا تحدثنا عن العمل الباسل الذي قامت به السفن الصغيرة فإننا لا ننسى الأعباء التي قامت بها البواخر الكبيرة التي كانت تعمل من ميناء دنكيرك والتي قامت بنقل الملايين من ثلثي الرجال . وكان للدمرات الدور الأكبر في هذا الميدان وعليها ألا تتجاهل دور السفن الخاصة وملاحي البواخر التجارية .



كما ننظر إلى عملية الجلاء . بقلوب مرتجفة وآمال متلهفة وقد أصبح مركز اللورد جورد ليلة السابع والعشرين في حرج شديد بالنسبة للسلطات البحرية . فقد بعث القبطان تيفنانت من رجال الأميرالية وقائد الوحدات العاملة في دنكيرك رسالة يطلب فيها إرسال كل ما يمكن من سفن وبواخر عاجلاً إلى الشواطئ . فاجلجلاء

سبيدا ليلة غد أمراً على أشد ما يكون من التعقيد « وكانت الصورة التي تلقيناها بالبحر وبأشعة الشمس . وقد بذلنا جهداً عظيماً لتلبية النداء . وبشنا بطراد وثماني مدمرات وست وعشرين قلمة بحرية أخرى إلى اللينا . وكان اليوم الثامن والعشرون يوماً اشدد فيه القلق . ولكن سرعان ما خفت هذه الشدة . حين استقر الوضع في الناحية البرية بمأونة السلاح الجوي القوي . وتم تنفيذ الخطة البحرية في التاسع والعشرين على الرغم مما نالنا من خسائر بالغة . فقد خسرنا ثلاث مدمرات وغرقت إحدى وعشرين سفينة وأصيب عدد آخر بأضرار .

وفي اليوم الثلاثين من شهر مايو عقدت اجتماعاً في حجرة العمليات الاميرالية حضره الوزراء الثلاثة للقوات المسلحة ورؤساء أركان حربهم . ودسنا ماوقع من أحداث ذلك اليوم على الشاطئ الياباني . وكان عدد الجنود الذين تم انقاذهم حتى تلك الساعة مائة وعشرين ألفاً بينهم ستة آلاف فرنسي وكان عدد القطع البحرية المائلة ٨٦٠ قطعة بين صغيرة وكبيرة . وتلقينا برقية من الأميرال ديك وكرر من دنسرك قول « على الرغم من الضرب الجوي الشديد . ويران المدافع فقد استطعنا إنقاذ أربعة آلاف آخرين في الساعة الماضية » وقد أوضح صدوبة الدفاع من دنسرك في اليوم التالي . وأكدت ضرورة إنقاذ عدد أكبر من الفرنسيين . فإن تفاضينا عن هذه الناحية ستترتب عليه إساءة بالغة للعلاقات التي بيننا وبين حليفنا وقلت كذلك إنه إذا لم يبق لنا في دنسرك غير فيلق واحد فإننا سنطلب إلى الأورد جورث أن يستقل إحدى القطع البحرية ويمود إلى إنجلترا . ويترك الفيلق في عهدة قائده . وعلى الجيش البريطاني أن يظل باقياً ما أمكنه البقاء حتى يتم إجلاء الفرنسيين كذلك .

ولما كنت أعرف الأورد جورث شخصياً معرفة تامة فقد أرسلت إليه بخط يدي الأمر التالي القى بهتته إليه بصفة رسمية عن طريق وزارة الحرب في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الثلاثين من شهر مايو .

« استمر في الدفاع عن القطاع الحالي إلى أقصى مدى حتى تستطع إجلاء أكبر عدد ممكن من الجنود في العملية الناجحة القائمة الآن

واثبت إلينا بأخبارك كل ثلاث ساعات وإذا كان في مقدورنا أن نتصل بك فنبعث إليك بأمر المودة إلى انكثرا مع المدد الذي تختاره من الضباط في اللحظة التي نرى فيها أن قواتك قد نزلت إلى الحد الذي يمكن تسليمها فيه إلى قائد فيلق وأنت خير الآن في هذا الأمر ، وإذا تمطلت سبل الاتصال بيننا وبينك . فليك أن تسلم القيادة لهذا القائد طبقا للخطة السالفة . حين يصبح عدد قواتك المحاربة في حدود ثلاث فرق وهذا إجراء عسكري سليم ينطبق على القواعد العسكرية . وليس لك حق التصرف في هذا الشأن . وليس لنا أن نترك للدو فرصة اعتكالك على رأس قوة صغيرة تظل تحت أمرك . وعلى قائد الفيلق الذي تختاره أن يستمر في الدفاع مع الفرنسيين . وأن يواصل . إجلاء القوات من دنكرك وعن الشواطئ . ولكن إذا رأى أن من المستحيل القيام بأي جلاء منظم آخر . وتندر إلحاق أى أذى جوهرى بالمدفوك أن ندعوه بمد الاتفاق مع القائد الفرنسى إلى الاستسلام بعقبة رسمية منما لسفك الدماء بلامبر .

وقد يكون لهذه الرسالة أثرها في أحداث جسيمة أخرى وعلى مصير قائد باسل آخر فقد علمت عند ما كنت في البيت الأبيض في آخر شهر يناير سنة ١٩٤١ من الرئيس ومن المستر ستمسون بمصير الجنرال ماك آرثر والحامية الأمريكية في كوريجيدور ووجدت من المناسب أن أشرح لهم كيف كان موقفنا في حالة ممثلة تتعلق بقائد هام . نقصت قوته حتى أصبحت جزءا صغيرا من القوات الأصلية التي كانت لديه وقد قرأ الرئيس والستر ستمسون معاً هذه البرقية التي يمثنا بها إلى جورت باهنام عظيم . وقد عجبت لما بدا على وجههما من التأثر . وعاد للستر ستمسون بعد قليل ليطلب نسخة من البرقية . فأعطيتها له في الحال . وقد يكون لهذه البرقية أثرها لدى الأمريكيين لاتخاذ القرار المناسب الذي اتخذوه فعلا بإصدار الأمر إلى الجنرال ماك آرثر بتسليم القيادة إلى أحد الجنرالات للمساعدة وإفقاد هذا القائد العظيم من المصير الذي كان سيواجهه إما بالوت أو بالبقاء أسيرا عند اليابانيين مدة الحرب والاستفادة من خدماته الجليلة في المستقبل وكما كنت أود لو يتم ذلك .

وفي نفس ذلك اليوم أى في الثلاثين من شهر مايو أبلغ أركان حرب اللورد جورت . أن آخر موعد يقيس فيه للقطاع الشرقى أن يصمد أمام الألمان في دنكررك هو فجر اليوم الأول من شهر يونية . لهذا يحل المستولون بعملية الجلاء بكل ما لديهم من جهد ، والتأكد من عدم بقاء ما يزيد على أربعة آلاف جندي بريطاني يعملون كخوذة على الساحل إلى هذا الوقت المحدد . ولكن ظهر أن هذا العدد ليس فيه الكفاية لتغطية المواقع الأخيرة . وقرر الاحتفاظ بالقطاع البريطاني حتى منتصف ليلة اليوم الأول والثاني من شهر يونية ، وتسير عملية الجلاء بالتساوي بين القوات البريطانية والفرنسية .

وهكذا كان الوقف مساء اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو عند ما سلم اللورد جورت قيادة تنفيذها للأوامر الصادرة إليه إلى الييجور جنرال اليكساندر . ليرجع إلى إنجلترا .



وقد رأيت معاً لسوء التفاهم . ورغبة في الاتصال المباشر أن أطير إلى باريس في اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو لأحضر اجتماعاً لمجلس الحرب الأعلى . وقد رحل ميمى في نفس الطائرة السريعة إلى والجنرال ديل وإيمان واصطحبت معي كذلك الجنرال سبيرزالتى كان قد وصل إلينا بالطائرة في اليوم السابق بحمل آخر الأنباء عن باريس . وكان هذا الضابط الالامع وعضو البرلمان . سديقاً منذ أيام الحرب الأولى حيث مر بي في سنة ١٩١٦ كضابط اتصال بين كمبرلر الفرنسيين وميمىة البريطانيين عند مرتفع فيمي ، وكان يتحدث الفرنسية بلسان طلق وعلى أفراعه أنوار الطرخمة جزاحات فكان بشخصيته الفذة خير من يصلح لمعالجة الأمور بين البلدين . وكان الفرنسيون يميلون إلى الاندفاع والحسب والمنف عند ما يشتد النقاش بينهم وبين البريطانيين . في حين يحافظ البريطانيون على جودم إلى حد الخشونة . ولكن سبيرز كان يرد على كبار الفرنسيين ويقنعهم ببساطة بالغة وبصورة لامتيل لها . ولم نذهب هذه المرة إلى السكى دروسيه بل ذهبنا إلى مكتب السيوريتو

في وزارة الحربية بشارع سان دومنيك وقد وجدنا دينو والريشال بيتان وحدهما . وكانت هذه أول مرة يظهر فيها بيتان في اجتماعنا كغائب لرئيس الوزراء .

كان بلبس اللباس العادية . وكان يصحبنا سفيرنا ودبل وايمان وسبيرز وكان مع دينو وبيتان كل من فيجان ودارلان والكابتين دى مارجيرى مدير مكتب دينو والسيو بودوان سكرتير وزارة الحرب الفرنسية .

ولم الفرنسيين لم يكونوا أكثر دراية منا بحقيقة ما يجرى في الجبهة الشمالية لجيوش الشمال . فلما أبلغتهم أن ١٦٥ ألفاً قد تم جلاؤهم إلى الآن من بينهم خمسة عشر ألفاً فرنسي ذهبوا . وعند ما لفتوا أنظارنا إلى زيادة عدد البريطانيين الذين تم جلاؤهم بينت لهم أن السبب في ذلك هو وجود وحدات إدارية بريطانية كبيرة في الجبهة الخلفية استطاعت أن تلوذ بالهواجر وتعود قبل وصول القوات المقاتلة من الجبهة وقضلا من ذلك فإن الفرنسيين لم يخلطوا أوامر حتى الآن بالجللاء . وأشارت إلى أن من أهم الأسباب التي دعيت إلى الحضور لباريس . التأكد من أن أوامر مماثلة تستمر للفرنسيين . وقد رأت حكومة جلالة الملك نظرا للظروف القاسية التي نحن فيها أن تأمر اللورد جورت بإجلاء المحاربين الفعليين وترك الجرحى مكانهم وإذا صحت الآمال فيسقط طبع إجلاء نحو مائتي ألف رجل من ذوى البأس والأجسام القادرة . وسيكون هذه مسجزة ولا شك ولم أكن قبل أربعة أيام أستطيع الزمان على إنقاذ أكثر من خمسين ألفاً بكه أمل . وقد تأكد لي ما سينالنا من خسائر باهظة في المعدات الحربية . وقد أتى دينو على ما يقوم به الأسطول والسلاح الجوي البريطانيان من أعمال جليلة فشكرته على ذلك ثم انصرفنا إلى الحديث عما يمكن أن نمته لإعادة إنشاء القوات البريطانية في فرنسا .

وفي أثناء ذلك كان الأميرال دارلان قد أعد سورة برقية إلى الأميرال ايرال في دنكرك نصها كاليلي :

١٥ — عليك أن تعمل على إقامة رأس جسر حول دنشرك .
بالفرق التي تعمل تحت أسرك والفرق الأخرى القائمة تحت أمر القائد
البريطاني .

٢ — إذا أثبتت بأنه يعتمد وصول قوات جديدة من خارج رأس
الجسر إلى أماكن الجلاء . فيجب على القوات التي تحتفظ برأس الجسر
أن تنسحب وتستقل البواخر . ولتكن القوات البريطانية هي المقدمة
في الجلاء .

وقد تدخلت في الحال ، وقلت إن القوات البريطانية لن تكون السابعة ويجب أن
يكون الجلاء على قدم المساواة في العدد . وليكن البريطانيون هم اللخرة . وأخيراً
وافق الفرنسيون على ذلك .

ثم انتقل الحديث إلى إيطاليا . وبينت وجهة نظر بريطانيا . وهي أن إيطاليا إذا
دخلت الحرب فستوجه إليها أشد الضربات . فتمه عدد كبير من الإيطاليين يمارضون
في دخول الحرب . وعليها أن نرفضها ما لها من عواقب وما فيها من قسوة . وانترجت
أن يبدأ بالضرب من الجو على الثلث الصناعي القائم في شمالها والذي يضم مدن ميلان
وتورين وجنوا وقد وافق دينو على ذلك . وعلى الحلفاء أن يضربوا إيطاليا عاجلاً . وقال
الأميرال دارلان : إنه أعد خطة لضرب مستودعات الزيت الإيطالية المنتشرة على
طول الساحل من الحدود الفرنسية إلى نابولي من البحر والجو .

وقد تم الاتفاق على إجراء البحوث الفنية اللازمة .

وبعد أن تحدثت من أهمية بقية أسبانيا بعيداً عن الحرب أخذت أستعرض الموقف
بصفة عامة . فبينت ضرورة احتفاظ الحلفاء بمجبهة ثابتة ضد سائر أعدائهم . وقلت إن
الولايات المتحدة قد راعيتها الأحداث القائمة . وهي إن لم تدخل الحرب الآن فستدخلها
قريباً . وإذا ما غزا الألمان إنجلترا فإن الولايات المتحدة ستكون أكثر تأثراً . وقد
أكدت أن انكسارها لا يخشى التزو . وستعتمد بقوة وعنف في كل قرينة وفي كل
كوخ . وبعد أن تضمنت لنفسها القوات الضرورية التي ترى أنها محتاجة إليها .

فتميلت إلى حلبيتها فرنسا كل ما يزيد على حاجتها من قواتها المسلحة لتكون تحت إمرتها . وكانت مقتنعة عام الافتتاح أن علينا أن نغضى في القتال حتى النصر . وإذا انهيار أحدنا فعلى الآخر أن يستمر . والحكومة البريطانية على استعداد للقتال من العالم الجديد . إذا ما زلت كارثة بالبحر . إن ألمانيا إذا انتصرت على إحدى الحليفتين فإنها لن ترحم . وستصبح في عداد الأتباع والأرقاء إلى الأبد . ومن الجدير أن تصل حضارة أوروبا الغربية بكل ما حققته من عظمة إلى نهاية عزلة ولكن رائدة من أن تعيش الديمقراطيةان العظيمتان حياة غير جذيرة باسم الحياة .

وقال مستر أتلي بعد ما قدمت أنه معقن من في وجهات نظري ثم قال « إن الشعب البريطاني يعرف الآن الأخطار التي أمامه . ويعرف كل المرفة أن ألمانيا إذا انتصرت فإن كل ما بيننا وبينها سينهار . فالألمان لا يقتلون الأنفس فحسب ولكنهم يقتلون الأفسكار كذلك والشعب البريطاني الآن أكثر تصميماً على القتال منه في أى وقت آخر » وقد شكرنا السيورينو على ما قلناه . وقال : إنه يعتقد أن الروح المنوبة عند الشعب الألماني ليست بقدر ما حققته من الانتصارات الوقتية التي أحرزها جيشه وأضاف ، إن فرنسا إذا استطاعت أن تحتفظ بالسوم بمساعدة بريطانيا وإذا عجلت الصناعة الأمريكية بسد النقص القائم على عدم التبادل في السلاح فإننا سنكون على ثقة بالنصر . وقال : إنه شاكر لى كل الشكر تلك الإشارة التي أبديتها بأنه إذا انهارت إحدى الحليفتين فإن تحتل الأخرى من الكفاح .

ثم انتهى الاجتماع الرسمي ولما غادرنا المائدة وقف البعض من كبار الموجودين إلى نافذة يتجادلون الحديث في جو يختلف بعض الاختلاف . وكان الريشال يثاق . أبرز هؤلاء . ووقف سبيز إلى جانبي يساعده في رئاسته القومية . ويحدث . وكان الكاتب الفرنسي الكابتن دى ماريجري قد أشار إلى أن القتال في أفريقيا يجب أن يستمر . ولكن مظهر الريشال يثاق بوجوده وانفراد كان يوحى إلى بأنه يفضل أن يعقد سلفاً منفرداً . وكان لشخصيته وشهرته ومكانته والنباتات التي كان يتحدث بها تأثيراً كبيراً للسيطرة على الذين يحقدهم بسحره . . وقد ذكر أحد الفرنسيين ولا أذكر اسمه على التحقيق في عبارة مذهبة إن استمرار التكتات العسكرية قد يزعم

فرنسا في بعض الحالات على تمديد سياستها الخارجية وقد انتهز سبيرز الفرصة ووجه حديثه إلى المارشال بيتان فقال في لغة فرنسية فصيحة « لا شك أنك تفهم يا حضرة المارشال أن هذا يعني فرض حصار على فرنسا » وقال آخر « قد يصبح هذا أربأ لا مناص منه » لكن سبيرز عاد فوجه حديثه إلى بيتان قائلاً « وهذا لا يعني الحصار وحده ، ولكن يعني ضرب جميع الموانئ الواقعة في أيدي الألمان » وقد سررت لصندور هذه الكلمات من سبيرز وحدث أكرر أنشودتي المألوفة « ستفانل مهما كانت الأمور وسواء يسقط من يسقط » وانقضت ليلة ثانية من الغارات الخفيفة وقد تركت باريس في الصباح .

وفي اليوم الحادى والثلاثين ، من شهر مايو والأول من شهر يونيو احتد القتال في دنكرك ووصل إلى الذروة . ولكن لم يصل إلى النهاية . وقد قتل في هذين اليومين ما يزيد على ١٣٢ ألفاً من الرجال ، حل أكثرهم في الزوارق الصغيرة من الشواطئ تحت سيل منهمر من قتابل الطائرات وقذائف المدافع . وقد بذلت قاذفات المدو أقمى جهودها في اليوم الأول من شهر يونيو منذ ساعات الفجر الباكر . وكانت تمد غاراتها في الوقت الذى تمود فيه مقاتلاتنا لثتال نصبها من القود . وأغرق بسبب هذه الغارات عدد كبير من بواخرنا المحتشدة بالغ في مجموعه مجموع ماغرق في الأسبوع الماضى ، وبلغت خسائرنا في هذا اليوم من قتابل الطائرات والألغام وزوارق الطوربيد وغير ذلك إحدى وثلاثين سفينة غرقت ، وإحدى عشرة أصيبت بأضرار ه وشد المدو في البر مضطه على رأس الجسر الذى أقناه لاختراق دفاعنا . وصدته المقاومة الباسلة واليائسة التى بذلتها قوات الحلفاء الخلفية .

وانتهت المرحلة الختامية بمنتهى المهارة والدقة . فقد أصبح في الإمكان للمرة الأولى وضع الخطط مقدماً بدلاً من الأوضاع الحالية والرتجلة . وفى فجر اليوم الثانى من شهر يونيو ، كان ثمة نحو أربعة آلاف بريطانى ومعهم سبعة مدافع مضادة للطائرات واثنا عشر مدفناً مضاداً للدبابات قد ظلوا في ضواحي دنكرك مع القوات الفرنسية الكبيرة المدد التى ظلت تحافظ على خط الدفاع عن القطاع . وقد أصبح

(١٢ - مذكرات)

الحلاء ميسراً ولكن في ظلام الليل وقرر الأميرال داسس النزول في حشود إلى البناء تلك الليلة بكل ماله من وحدات متوقفة وبالإضافة إلى الزوارق الصغيرة والقوارب وسفن الجر رحلت أربع وأربعون باخرة من انكلترا في تلك الليلة وبينها إحدى عشرة مدمرة وأربع عشرة كاسية ألغام . واشتركت في العملية كذلك أربعون سفينة فرنسية وبلجيكية . وقبل منتصف الليل ، كانت قوة المؤخرة البريطانية قد نقلت إلى ظهر البواخر .

لكن هذه لم تكن النهاية في قصة دنكرك . فقد كنا متأهبين لأن ننقل تلك الليلة عدداً أكبر من الفرنسيين الموجودين في البناء لكن النتيجة كانت أننا عندما اضطررنا لسحب باخراً عند الفجر وبضها خال ، كان عدد من الجنود الفرنسيين لا يزال مشتبكاً مع العدو وقد ظلوا على الشواطئ . وعلى الرغم مما حل بالمعارة من نصب وإمحاء لما بذلوه من جهد في الأيام السابقة التي قضوها بغير راحة قد لبوا النداء . وفي اليوم الرابع من شهر يونية أزل في انكلترا ٣٦١٧٥ جندياً فرنسياً . وكان أكثر من واحد وعشرين ألفاً منهم في سفن بريطانية . وقد استمر في القتال بضمة ألوف في رأس الجسر لسوء الحظ حتى صباح اليوم الرابع من شهر يونية حتى وصل العدو إلى ضواحي المدينة ، وقد كان المدافعون قد وصلوا إلى غاية ما يمكن للطاقة البشرية أن تحتمل ، بعد أن قاتلوا بشجاعة عدة أيام لتعطية انسحاب دقاتهم البريطانيين والفرنسيين وقد كان نصيبهم أن يقضوا السنوات التالية في الأسر . ولولا احتمال قوات المؤخرة في دنكرك وثباتهم فإن من المشكوك فيه أن تتمكن مثل تلك السرعة من بناء جيشنا في بريطانيا والدفاع عن الجزر البريطانية وإحراز النصر النهائي .

وفي الساعة الثانية وال دقيقة الثالثة والمشرين من بعد ظهر اليوم الرابع من شهر يونية أعلنت الأميرالية أخيراً انتهاء عملية « دينامو » التي تم فيها نقل ٣٣٨.٠٠٠ جندي بريطاني وحليف إلى الجزر البريطانية ، وفي اليوم الرابع من شهر يونية اجتمع البرلمان وقد رأيت أن من واجبي أن أعرض عليه القصة كاملة في جاستين أولاهما عملية والثانية سرية ، ولسرد القصة كاملة كما أوضحتها في كتاب هذا لا أحتاج إلا إلى بعض مقتطفات من الخطاب الذي ألقته في البرلمان . وكان علينا أن نشرح

لا لشعبنا خصب ، بل للعالم بأسره ، أن عزمنا على القتال إلى النهاية قائم على أسس قوية وجدية . ولا ينبعث من عازلات يثيرها اليأس ، وكان واجبي كذلك أن أهرض في وضوح الأسباب التي تحملني على هذه الثقة :

« يجب علينا أن لا ننظر إلى عملية الإنفاذ التي حققناها على أنها الحقيقة الجمهورية للنصر . فالحروب لا تسكب بالجلء . وعلى الرغم من هذه الحقيقة فقد كان هناك انتمصار في هذا الإنفاذ . وعلينا أن نرمقه ونسجله . . لقد حققه سلاحنا الجوي . وكثير من جنودنا المائدين لم ينتح لهم أن يروا سلاحنا الجوي وهو يعمل . وكل ما رأوه هو قاذفات المدور . التي أفلتت من هجمات سلاحنا الوقائية . ولهذا فقد قللوا من قيمة ما حققه سلاحنا وقد سمعت الكثير من اللغط عن هذا ، لذلك وجدته مضطرا إلى الخروج من الموضوع لأبدي هذه الملاحظة التي سألقيها على مسامعكم .

كانت الحركة تجربة عظيمة لقوة السلاحين الجويين البريطانيين والألماني . وهل كان للألمان هدف جوي أكثر من أن يمحوا الجلاء عن تلك الشواطئ أمراً مستحيلاً ؟ . وأن يتركوا سائر البواخر التي خرجت إلى عرض البحر . والتي بلغ عددها الألوف ؟

وهل من هدف أكبر من هذا لتحقيق مزايا عسكرية ذات أهمية لأغراض الحرب جميعها ؟ لقد حاولوا جهد طاقاتهم ، ولكن خابت محاولاتهم . نعم . لقد هزموا في هذه المحاولة وخابت مساعيهم . وتمكننا من إيقاد الجيش . ودفنوا ثمننا غاليا وصل إلى أربعة أضعاف ما أنزله بنا وأثبتت جميع طائراتنا على اختلاف أنواعها أنها تفوق على أنواع الطائرات الألمانية التي واجهتها ، وبرهن طيارونا على تفوقهم . وأستطيع أن أقول - وأنا أرى الزايات التي تتوافر لدينا في حالة الدفاع من هذه الجزيرة ضد غارات من وراء البحر - إنني أرى في هذه الحقائق أسسا جمهورية تدعو إلى الثقة . وعلى أن أثني كل الثناء على هؤلاء الطيارين من الشباب .

فقد كان الجيش الفرنسى العظيم قد تراجع وناله الدمار لهذا الهجوم الذى تقدمت به ألوف من الدروع . أليس لنا أن نقول إن قضية الحصار كلها سيدافع عنها بضعة ألوف من الطيارين بإخلاصهم ؟ وقد قيل أن المهرم لم يمد المنة لنزو الجزر البريطانية ، وليست هذه الفكرة بمجديدة علينا . فقد فكرنا فيها من قبل وعندما وقف نابليون فى ميناء بولون سنة كاملة بزوارقه وجيشه العظيم قال له أحدم إذ ذاك « إن هناك أعشاباً أشد مرارة فى إنسكلترا » ولا شك أن هذه الأعشاب قد زاد عددها منذ طادت قوات الحملة البريطانية من دنسكرك إلى بلادنا .

ولاشك أن مسألة الدفاع عن الوطن ضد الغزو « تتأثر تأثراً شديداً إذا غمسنا بالحقيقة القائلة بأن لدينا الآن قوات عسكرية أكثر وأقوى من قبل » ولكن هذا الوضع لن يدوم . إننا لانكتفى بأن نقوم بحرب دفاعية . فلينا لحليفنا واجب علينا أن نعيد تنظيم الحملة البريطانية ونشيدها تحت قيادة القائد المام الباسل اللورد جورت وهذا كله سائر فى طريقه ، والآن يجب علينا أن نجعل طرق دفاعنا من هذه الجزر على درجة كبيرة من التنظيم حتى يستطیع أقل عدد من الرجال أن يضمن أوفى ما يمكن من السلامة ويتوافر لدينا كل مانقطعع من وسائل للهجوم التى ترى من الواجب أن يتحقق . هذا ما نفكر فيه الآن وهذا ما يجب أن نعمله » .

وقد ختمت خطابى بكلمة كان لها أثرها بمد قليل وفى الوقت المناسب ، فى قرار الولايات المتحدة وهذا هو نصها :

« إننا لن نضمف ولن نستسلم ، على الرغم من أن مساحات كبيرة ودولا كثيرة مريبة وذات شهرة قد وقعت أوقد تقع فى يد الجستابو وفى قبضة جهاز الحسك النازى الرهيب . بل ستمضى حتى النهاية . وسنحارب فى فرنسا . وفى البحار والمحيطات ، وسنقاتل بثقة متزايدة وقوة نامية فى الجو . وسندافع عن جزيرتنا . مهما يكن الثمن . أجلد

سنقاتل على السواحل وفي المطارات ومواقع الهبوط وستحارب في الشوارع
والحقول وفي التلال والسهول . ولن نستسلم . وإذا قدر — وهذا مالا
يخطر ببال لحظة واحدة — لهذه الجزيرة أوجزء كبير منها أن يقع في يد
المدو ويموت جوعا . فإن امبراطوريتنا وراء البحار — يمزها وبحرسها
الأسطول البريطاني — ستترفع راية الجهاد إلى أن تتم إرادة الله .
فيبادر العالم الجديد بكل ماله من قوة إلى إنقاذ العالم القديم وتحريره . »

الجرى وراء المغام

قامت الصداقة بين الشعبين البريطانى والإيطالى . منذ عهد جاريبالدى وكافور . وقد نالت كل مرحلة اتخذتها إيطاليا لتحرير شمالها من الحكم النمساوى . وكل حركة قامت بها لتحقيق وحدتها واستقلالها عطف الديمقراطية البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا وقد كان للفوز البريطانى الأثر الأكبر في ضم إيطاليا إلى صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . ولكن رأى المام البريطانى قد انقسم بقيام موسوليني وثبتت أقدام الفاشية باعتبارها حركة معارضة للبلشفية وإن لم يؤثر هذا أى تأثير على الأسس الجمهورية القائمة على التوابا الحسنة بين الشعبين . وكنا نرى موسوليني يقف دائماً إلى جانب بريطانيا العظمى في معارضتها للهتلرية ومطامع ألمانيا ، حتى جاءت مطامعها في الحبشة فأتجبت أسوأ النتائج . وقد شرحت أننا تلك القصة المحزنة للسياسة الخاطئة التي انتهجتها حكومتا بولدين ونشمبرلن والتي كان لها أسوأ النتائج من ناحيتين . فقد كسبنا عدواة الديكتاتور الإيطالى ولم نقض على قوته ، وأسأنا إلى عصبة الأمم ولم ننفذ الحبشة . وقد رأينا ما بذله المستر نشمبرلن والمستر صمويل هور والورد هاليفاكس . من الترضية والهدنة لا كتساب صداقة موسوليني كما رأينا كيف كان اعتقاد موسوليني بأن شمس بريطانيا قد غربت وأن مستقبل إيطاليا بمساعدة ألمانيا يقوم على أنقاض الإمبرطورية البريطانية . وقد أدى هذا إلى خلق محور برلين - روما . الذى كان منظورا أن يؤدي إلى اشتراك إيطاليا في الحرب ضد بريطانيا وفرنسا منذ اللحظة الأولى .

وكان من سداد الرأى عند موسوليني أن يترى ، حتى يرى تطور الحرب ومصائرها قبل أن يلقى بنفسه ووطنه في غمراتها وبلزهما أن يقفا إلى جانب ألمانيا . ولم يكن هذا التريث بنير طائل . فقد كان كل من الفريقين يهتريان لإيطاليا وينظران إلى مصالحها برعاية . ففقدت اتفاقات راجمة وكبست وتقاُئمتاً لاستكمال تسليحها . وهكذا مضت أشهر بوارد الحرب وهي تسير على هذا النحو . ومن الهككات الممتة أن ننظر بين التيب إلى ما كانت تناله إيطاليا إذا حافظت على سياسة الحياد والانتظار . لقد كانت الولايات

المتحدة تحت تأثير الأمريكيين من الأصل الإيطالي أن نوزع إلى هتلر بأن أية محاولة لإرغام إيطاليا على الوقوف إلى جانبه سيكون لها أسوأ النتائج، وكانت إيطاليا تستطيع بمصافحتها على الحياد والتسك به، أن تنجي ثمار السلام والازدهار والقوة، وبعد أن يكون هتلر قد وقع في حرب مع روسيا فإن هذه الدولة المحطوطة تستطيع أن تحتفظ برخائها ورغدها إلى أمد لا محدود من ثم يبدأ موسوليني في عهد السلام الذي على الحرب أو في سنتها الأخيرة، أكثر الساسة الذين عرفهم شبه الجزيرة الشمسة سدادا في الرأي ولا شك أن مثل هذا المصير كان خيرا له وأبقى من المصير الذي كان ينتظره في النهاية.

وكانت علاقات موسوليني في المرتين اللتين لاقيته فيهما سنة ١٩٢٧ علاقات وثيقة طيبة. وما كان لي أن أثير عليه بريطانيا إلى حد القطيعة في مسألة الحبشة، أو أستثير ضده عصبية الأمم. إلا إذا كنا على استعداد لحاربه إلى النهاية. وكان كهلن يدرك حلقى لتسليح بريطانيا وقدرها على الرغم من غيبته حين يجد الشعب البريطاني ليؤيدني فيها.

وفي غيام هذه الأزمة التي وصلنا إليها بعد الكارثة التي أصابنا في معركة فرنسا. رأيت أن من واجبي كرئيس للوزراء أن أبذل غاية جهدي لإبقاء إيطاليا بعيدا عن الصراع، وإذا كنت لا أنساق مع الآمال الكاذبة. فإنني على الرغم من ذلك بمثت بعد ستة أيام من تسلي الحكم في بريطانيا، بناء على رغبة مجلس الوزراء، بقاء إلى موسوليني ورد عليه. وقد نشر النداء والرد بعد عامين في ظروف مختلفة كل الاختلاف. وكان النداء في السادس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٠ وهذا نصه :

« يطيب لي وقد توليت زمام الحكم في بريطانيا كرئيس للوزراء ووزير للدفاع أن أعود بهذا كرتي إلى اجتماعنا السابقة في روما. وأراة أربغ في أن أقتل إليك كرئيس للشعب الإيطالي بعض عبارات حسن النية. في هذا الموقف الذي تتسع فيه الشقة، فهل فات الأوان لحقن الدماء بين الشعبين البريطاني والإيطالي؟ إننا نستطيع أن ننزل ببعضنا إصابات بالثة، وأن بضرب بعضنا بعضا بنير رحمة، وأن نجعل

البحر الأبيض المتوسط بنزاعنا حلقة شديدة الظلام . فإذا كانت هذه بنيتك . فليكن لك ما تريد . ولكنني أعلن أنني ما كنت يوما ما عدوا لمنظمة إيطاليا . إن من الصعب أن يتكهن الإنسان بنتيجة هذه المارك التي تدور الآن في أوروبا ، ولكنني على ثقة من شيء واحد . وهو أنه مهما جد في أوروبا من أحداث فإن انكسارا ستعصف في طريقها للنهاية . ولو بقيت منفردة في الميدان - شأننا من قبل - وإنني لعل يقين بأن مساعدات الولايات المتحدة لنا ستزداد بل إننا سنجد العونة من الأمريكتين » .

« وأرجو أن تكون على ثقة بأنني لم أوجه إليك هذا النداء من ضعف أو خوف . فهذا النداء سيبقى خالداً في سجل التاريخ . وسيبعت صوتا فوق كل صوت . ينادي بأن لا يشتبك الوارثان الشريكان للحضارتين اللاتينية والمسيحية في قتال . وإني لأرجو أن تصفى إلى هذا الصوت بكل تقدير وإكبار قبل أن تبدأ إشارة الخطر ولن تبدأ منا على الإطلاق » .

وكان رد موسوليني قاسيا . وإن لم يكن خاليا من الصراحة . قال :

« يطيب لي أن أقول ردا على رسالتك التي بثت بها إلى أنك لاشك على علم بالأسباب الخطيرة التي أدت إلى وقوف بلديتاني معسكرين متضادين . ولا أراى في حاجة إلى الرجوع إلى الماضي . ولكنني أذكرك بالوقوف الذي وقفته حكومتك سنة ١٩٣٥ في مسألة فرض العقوبات على إيطاليا في جنيف حيث أرادت أن تضمن لنفسها مكانا صغيراً تحت شمس أفريقيا دون أن تمس ممتلكاتكم ومصالحكم أو ممتلكات غيركم ومصالحهم بضرر من الأضرار . وأريد أن أذكرك كذلك بحالة اليهودية التي تجد إيطاليا نفسها راسفة فيها ببحرها ، وإذا كانت حكومتك قد أعلنت الحرب على ألمانيا حفظاً منها على كليتها وتمهيداتها في استطاعتك أن تدرك أن مثل هذا الشمو ، بالمحافظة على السكينة والنمساك

بالالتزامات التي تفرضها المعاهدة الألمانية الإيطالية اليوم أو غدا مهما
تسكن الأحوال .

ومنذ هذه اللحظة لم نشك على الإطلاق في أن موسوليني سيشارك في الحرب في
الوقت الذي يراه ملائماً . وقد تبين أنه قد صمم على الدخول فيها منذ رأى هزيمة فرنسا
وقد ذكر تشيانو في الثالث عشر من شهر مايو . أنه سيمعلن الحرب على بريطانيا
وفرنسا في مدى شهر واحد . وقد نقل قراره الرسمي بإعلان الحرب في أى وقت
ملائم بعد اليوم الخامس من شهر يونيه إلى رؤساء أركان حرب القوات الإيطالية
وقد تأجل الموعد بإشارة من هتلر إلى اليوم المباشر من شهر يونيه .

* * *

وإذا كان مصير الجيوش الشمالية معلقاً في كفة القدر ، فقد طار إلى انكلترا
السيوريانو في اليوم السادس والعشرين من شهر مايو ايهبت معنا في هذا الأمر
الذي لم يذب قط عن إلنا . فقد كنا نتوقع دخول إيطاليا الحرب في كل لحظة .
وهكذا فإن نيران الحرب ستشتعل في فرنسا من جهة أخرى . وسيزحف عليها من
الجنوب عدو جائع . فهل في مقدورنا أن نفعل شيئاً لرشوة موسوليني ؟ هذا هو
السؤال الذي كنا نتساءله . وكانت كل تأكيدات رئيس وزراء فرنسا تدل على
خقدان الأمل . لكن ريدو كان واقعياً تحت ضغط شديد في بلاده . وكنا ننظر إلى
حليفنا بكل تقدير ونولى وجهة نظرها كل اعتبار ، لاسيما ونحن نرى أن سلاحها
الحبوى الوحيد ، وهو جيشها ، أخذ يفترق . وقد أبان السيوريانو بجلاء احتمال انسحاب
فرنسا من ميدان القتال . وأكد أنه شخصياً يود أن يستمر في القتال . إلا أنه ربما
حل محله في رئاسة الوزارة شخص آخر يرى غير هذا الرأي .

وكنا في الخامس والعشرين من شهر مايو ، بناء على نداء من فرنسا ، قد أرسلنا
إلى الرئيس روزفلت رسالة نناشده فيها التدخل . وقد آجبنا للرئيس في هذه الرسالة
أن يوضح لإيطاليا باسم بريطانيا وفرنسا . أننا ندرك شكواها بالنسبة إلى أوضاعها
في البحر الأبيض المتوسط . وأننا على استعداد لدراسة أى طلب معقول نتقدم به .
وأن الحلفاء سيدعون إيطاليا إلى مؤتمر الصلح . على أن يكون ضمنها كاية دولة

من الدول المحاربة وأنا ساعدو الرئيس إلى ضمان أى اتفاق نصل إليه . وقد بادر الرئيس بتنفيذ ما طلب إليه . ولكن الديكتاتور الإيطالى رفض قبول دعوته بطريقة حاسمة . فلما اجتمعنا برينو كان أمامنا رد موسوليني . وقد عرض الرئيس الفرنسى اقتراحات أكثر تحديداً ودقة وإذا كان لهذه الاقتراحات أن تزيد شكوى إيطاليا من حالة المبودية التى نشير إليها فى بحرهما فلها ولا شك ستؤثر على أوضاع جبل طارق والسويس معاً . وكانت فرنسا على استعداد لتقديم تساهل مشابه فى تونس .

ولكننا لم نكن نميل إلى قبول هذه الآراء ، ولم يكن هذا ناشئاً عن اعتقادنا بخطئها . أو أن الموقف لا يتطلب دفع ثمن غالى لبقاء إيطاليا خارج الحرب . بل لأننى كنت أعتقد أن كل ما نستطيع عرضه على موسوليني سيناله من هتلر فى حالة هزيمتنا . وليس للإنسان أن يساوم فى اللحظة الأخيرة . وإذا أخذنا فى التفاوض لإبقاء الدوتشى فى موقف يكون فيه سديقاً لنا ، فستقضى على كل ما لدينا من هزيمة على القتال . وقد رأيت زملائى فى موقف يدل على التشدد والإصرار . وكانت أفكارنا ترمى إلى ضرب ميلان وتورين فى اللحظة التى يدخل فيها موسوليني الحرب ليرى مبلغ حبه لهذه الثغرات . وقد رأيت برينو الذى لم يكن فى قرارة نفسه معارصاً لهذا رأى راضياً قائماً . ولكن هذا لم يمنع الحكومة الفرنسية بعد بضعة أيام من تقديم عرض مباشر من ناحيتها إلى إيطاليا لإعطائها شيئاً من التنازل الإقليمى . ولكن موسوليني رفضه بأنفة واحتقار . وقال تشيانو للسفير الفرنسى فى اليوم الثالث من شهر يونيه أن « الدوتشى لا يميل إلى استعادة بعض المناطق الفرنسية بطريق المفاوضات السلية . وقد قرر أن يخوض الحرب ضد فرنسا » وكان هذا ما كنا نتوقعه .

وعلى الرغم من الجهود العظيمة التى بذلتها الولايات المتحدة لم يكن لأى قوة أن تغير الاتجاه الذى ارتكبه موسوليني . وفى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين بعد ظهر اليوم العاشر من شهر يونيه ، أبلغ وزير خارجية إيطاليا السفير البريطانى أن إيطاليا تعد نفسها فى حالة حرب مع المملكة المتحدة منذ منتصف تلك الليلة وقد أرسلت الحكومة الإيطالية بلاغاً مماثلاً إلى الحكومة الفرنسية . ولما نقل تشيانو مذكرته إلى السيوف فرانسو يونيه السفير الفرنسى قال وهو يتجه إلى الباب -

« ستجدون أن الألمان سادة قساة » وقد أعلن موسوليني من شرفة قصره في روما إلى الجماهير المحتشدة « أن إيطاليا في حالة حرب مع فرنسا وبريطانيا » .

ولقد كانت تلك - كما قال تشيافو معتذرا فيما بعد - « فرصة لاتوانى إلا مرة واحدة . كل خمسة آلاف سنة » ولكن هذه الفرص النادرة قد لا تكون طيبة على الدوام .

وأخذ الإيطاليون يهاجمون القوات الفرنسية على جبهة الألب وقد أعلنت بريطانيا الحرب على إيطاليا . وصدر الأمر باعتقال خمس بواخر إيطالية ، كانت معطلة في ميناء جبل طارق ، كما صدرت أوامر إلى الأسطول بقطع الطريق على كل ما يرام من البواخر الإيطالية وسوقها إلى أقرب ميناء . وقامت قاذفتنا لبلة الثانية عشر من شهر يونيو ، بمد طيران طويل من انكلترا ، بإلقاء أولى قناتها على نوردين وميلان . وكانت تحمل قذائف خفيفة ، إلا أننا ستحمل قذائف أثقل وزناً عندما نبدأ في استخدام الطائرات الفرنسية في مرسلينا .

ولم تكن فرنسا تستعظم أن تحشد أكثر من ثلاث فرق . بالإضافة إلى ما يبادل ثلاث فرق أخرى من الحاميات الجبلية لمقابلة الهجوم المنتظر الذي تقوم به مجموعة الجيوش الإيطالية النربية من ممرات الألب وساحل الريفيرا . وكانت هذه الجيوش تبلغ في عددها اثنتين وثلاثين فرقة بقيادة الأمير امبرتو . وقد أخذ السلاح الألماني المدرع ينزل سريعا مع مجرى نهر الرون ، للالتفاف حول مؤخرة الفرنسيين ، ومع ذلك ظلت الوحدات الفرنسية الألبية ثابتة أمام الإيطاليين في سائر مواقع الجبهة الجديدة . حتى بعد سقوط باريس وليون في أيدي الألمان .

ولما اجتمع هتلر وموسوليني في ميونخ في اليوم الثامن عشر من شهر يونيو . لم يكن لدى الدوتشي ما يباهى به كثيرا .

وشرع الإيطاليون في هجوم عام في الحادي والعشرين من يونيو . لكن الراكز الفرنسية في الألب ثبتت لهذا الهجوم . ولم يصل المجهود الرئيسى على الساحل . تجاه نيس أن يحقق شيئا . إذ توقف في مداخل منيتون . وعلى الرغم من أن الجيش الفرنسي على الحدود الجنوبية الشرقية قد استمر محافظاً على مواقمه وشرفه .

إلا أن الزحف الألماني نحو الجنوب جمل من الاستحيل عليه أن يستمر في القتال .
لذا كان مقدّم الهدنة مع ألمانيا مرتبطاً بطلب من إيطاليا لوقف الأعمال الحربية .

وكان من المقرر أن يلقى الرئيس روزفلت خطاباً ليلة الماشر من شهر يونيه
وحوالى منتصف الليل . أخذت أستمع إلى الخطاب في غرفة العمليات الحربية في
الأميرالية . حيث كنت أعمل ومضى بعض الضباط . فلما قام الرئيس بالمباراة الجارحة
التي وجهها لإيطاليا وقال فيها « في هذا اليوم الماشر من شهر يونيه سنة ١٩٤٠
ارتفعت اليد التي تحمل الخنجر وأهوت به على ظهر جارتها » شربنا جميعاً بالرضا
والارتياح . وقلت لنفسى ماذا سيكون من أمر أصوات الإيطاليين في الانتخابات
القرية القادمة ؟

لقد كنت أعرف في روزفلت سياسياً أمريكياً عنكاً ، وتأكدت أنه لا يخشى
شيئاً في سبيل تنفيذ إرادته . إن خطابه ولاشك كان رائئاً ومحمل إلينا بصيصاً
من الأمل فلم أذهب إلى فراشى تلك الليلة حتى بادرت برسالة أشكر له فيها
عواطفه النبيلة .

وبدأ دور التسابق إلى الممانم . ولم يكن موسوليني هو الوحش الجامع الوحيد الذى
يبحث عن الفريسة ، فقد جاء الدب يسمى مسرعاً مع ابن آوى .

وقد بينت سير العلاقات الانكليزية الروسية حتى وقوع الحرب . وشعور النداء
نحو بريطانيا وفرنسا الذى كاد يصل إلى حد قطع العلاقات . والذى ظهر بعد غزو
الروس لفنلندا .

وكانت ألمانيا وروسيا تملآن ممّا إلى الحد الذى يبيحه ما بينهما من خلاف
متأسل . وكان هتلر وستالين يشتركان في الروح الديكتاتورية التى يتسان بها . كما
كان نظام الحكم مماثلاً إلى حد بعيد في بلديهما . وكثيراً ما كان مولوتوف يقصّل بسفير
ألمانيا الكونت شولنبرج في المناسبات الهامة وكان على جانب كبير من الصراحة
في ثنائه على السياسة الألمانية وأعمال هتلر العسكرية . فلما هاجم الألمان الروم

أعلن مولوتوف « أن الحكومة السوفياتية تدرك تماماً ما حدا بالمانيا إلى القيام بهذا العمل فالإنجليز قد ساروا بعيداً في تجاهلهم حقوق الدول المحايدة » ثم قال « وإننا ننتهي لألمانيا النصر الكامل في أعمالها الدفاعية » وقد أبلغ هتلر ستالين صباح اليوم العاشر من شهر مايو إنباء الهجوم الخاطف على فرنسا والأراضي المنخفضة المحايدة الذي شرع فيه . وكذب شولنبرج يقول « زرت مولوتوف فأبلغته الخبر وقد استحسنه وأضاف أنه يعرف أن المانيا لابد أن تحمي نفسها ضد الهجوم الانكليزي — الفرنسي ولم يكن يشك مطلقاً في انحصارنا »

وعلى الرغم من أننا لم نكن نعرف شيئاً عن هذه التصريحات إلا بعد انتهاء الحرب . إلا أننا لم نكن غدوعين أبداً في موقف الروس ومع هذا فقد مرنا على سياسة التريب والأناة وحاولنا أن نقيم علاقات ذات طابع سرى مع روسيا . ورأيت من الحكمة . الاستفادة من كفايات السير ستافوروكريس بتعيينه سفيراً في موسكو . وقد قبل القيام بهذه المهمة الشاقة ، التي لا أمل فيها ، بسمه صدر ولم نكن ندرك تماماً أن الشيوعيين السوفيت يسكروهن الساسة من رجال الجناح اليسارى المتطرف ، أكثر من كراهيتهم المحافظين أو الأحرار . فكلمنا اقرب الإنسان من الشيوعية بميوله القلبية كان أكثر تمرداً لكراهية السوفيت إلا إذا انضم إلى الحزب . وقد وافقت الحكومة السوفياتية على تعيين كريس سفيراً لنا في بلادها وأوضعت الأسباب لشركائها النازيين . وكذب الكونت شولنبرج إلى برلين في التاسع والشرين من شهر مايو يقول « إن الاتحاد السوفياتي . له اهتمام بالغ بالحصول على الطاطم والصفير من انكلترا مقابل الخشب ولا سبيل إلى القلق من بعثة كريس . إذ لا مبرر على الإطلاق للشك في موقف الإخلاص الذي يقطه منا الاتحاد السوفياتي . كما أن السياسة السوفياتية الجديدة بالنسبة لبريطانيا لا تحمل أى أضرار بالمانيا أو بمصالحها الحيوية وليس ثمة ما يدعوا للاعتقاد بأن انتصارات المانيا قد أحدثت شيئاً من الفزع أو الخوف في دوائر الحكومة السوفياتية » .

وكان انهيار فرنسا والدمار الذي حل بميوشها ، وفرة الانتظار المتوقعة في القرب أموراً تدعو ستالين إلى التفكير العميق . ولكن لم يبد مايدل على أن الروس

بدأوا يدركون خطورة الموقف . وقد بحث شولنبرج في الثامن عشر من شهر يونيه أى عندما تمت هزيمة فرنسا يقول « لقد دعاني مولوتوف إلى مكتبه هذا المساء وأبلغني أنني » الحكومة السوفياتية البالنة بالانتصارات الباهرة التي أحرزتها ألمانيا المسلحة . وكان هذا قبل سنة واحدة من التاريخ الذي هاجت فيه هذه القوات نفسها الحكومة السوفياتية بهجوم مفاجيء على روسيا في كغائب حافلة من الحديد والنفار ، ونحن نعرف أن هتار بعد أربعة شهور نجسب من هذا الحديث كان قد صمم على أن يقوم بحرب مهلكة ضد السوفيت وبمد الحركات الواسعة السرية لنقل هذه الجيوش ، التي هناها السوفيت بانتصارها ، إلى الشرق .

ولم يكن هذا التقدير السيء لنج الحكومة السوفياتية وعملها من الشيوعيين وشركاها للثشرين في السالم من أن يرفوا عقيرتهم مطالبين بفتح الجبهة الثانية التي لا بد لبريطانيا . وهي الدولة التي سبق للسوفيات أنفسهم أن حكموا عليها بالبودية والحطاب . أن تقوم بدور قيادي فيها .

ولكننا على أى حال كما نقدر الأمور قدرها ونذكر المستقبل أكثر مما يدرك هؤلاء « الحاسبون » الذين يبنون سياستهم على الأرقام . وقد عرفنا الأخطار التي كانوا معرضين لها وما تتطلبه مصالحهم الحقيقية أكثر مما كانوا يدركون .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر يونيه - أى يوم سقوط باريس - بحث موسكو إلى ليتوانيا إنذارا نهائيا تنهما فيه هي والدول البلطيقية الأخرى بالآمر على الاتحاد السوفياتي وتطلبها بتغييرات أساسية في حكومتها ويمض التساهل في بعض الشئون العسكرية وفي اليوم الخامس عشر من شهر يونيه ، قام الجيش الأحمر بنزو تلك البلاد وتمرضت لاتفيا واستونيا للساملة نفسها . فقد فرضت عليها إقامة حكومات موالية للسوفيات وقبول حاميات سوفياتية في أراضيها . وكانت المقاومة غير وافية بطبيعة الحال . وسرعان ماقتل رئيس جمهورية لاتفيا إلى روسيا ليظل منقيا فيها . ووصل المستر فيشنسكي ليقوم بتعيين حكومة مؤقتة ويشرف على انتخابات جديدة . أما في استونيا فسكان الوضع مماثلا فقد وصل إليها في اليوم التاسع عشر من شهر يونيه جندأوف ليقوم حكومة مشابهة . وفي اليوم الثالث من شهر أغسطس لم تبق حاجة إلى ادعاء

ضرورة قيام حكومات موالية فقد ضمت دول البلطيق جميعها إلى الاتحاد السوفياتي. وبمت الروس بإنذار نهائي إلى رومانيا عن طريق وزيرها في موسكو في الساعة المباشرة من مساء اليوم السادس والعشرين من شهر يونيه ، طالبوا فيه بالتخلي عن بيسارابيا والجزء الشمالي من مقاطعة بوكوفينا على أن تيمت رومانيا بردها في اليوم التالي . وعلى الرغم مما أصاب ألمانيا من القدر لهذا العمل الذي يدل على التهجم والاندفاع من جهة روسيا ، لما فيه من الأضرار بمصالحها الاقتصادية في رومانيا . فقد اضطرت لقبوله بحكم الاتفاق المقود بين ريبنتروب ومولوتوف في أغسطس سنة ١٩٣٩ ويعترف لروسيا بمصالحها في جنوب شرق أوروبا . ولهذا فقد أشارت ألمانيا على رومانيه بقبول طلبات روسيا ، وفي السابع والعشرين من شهر يونيه انسحبت القوات الرومانية من المقاطعتين المذكورتين وانتقلت أراضيها إلى أيدي الروس . ومن ثم توطدت مراكز قوات الاتحاد السوفياتي المسلحة على شواطئ البلطيق ومصب نهر الدانوب .

عود إلى فرنسا

من ٤ يونيو إلى ١٢ يونيو

تد ساد شعور بالارتياح والرضى حين أذيع عدد الذين تم إنقاذهم من دنكرك وقد عم هذا الشعور سائر أنحاء الجزر البريطانية بل سائر أرجاء العالم . أجل : كان هناك شعور بالراحة بعد الشدة ، انقلب إلى شعور بالصر . فإن عودة نحو ربع مليون من أزهره أنبائنا بسلام إلى أرض الوطن علامة قاسية في طريقنا عبر سنوات من الهزيمة . وقد عاد الجنود لا يحملون شيئاً غير البنادق والسنان وبضع مئات من الدافع الرشاشة . وقد أسرعوا إلى بيوتهم ليقضوا أسبوعاً من الأجازة فيها . ولم تكن فرحتهم بالاجتماع بمائلاتهم المتخفف من رغبتهم الملحة في ملاقة المدو في أول فرصة . وكان الذين أنبعت لهم فرصة الاشتباك مع الألمان موقنين بأنهم إذا أنبعت لهم فرصة متساوية فيستغلون على المدو ، وكانت روحهم المنوية عالية إلى حد بعيد ، وسرمان ما التحقوا بفرقهم وبطارياتهم بقوة ونشاط بالنين .

وكانت في دنكرك ناحية مظلمة حالكه فقد خسرنا فيها كل ما كان يملكه الجيش من عتاد . وكان التناج الأول لمصانئنا يرسل إلى هذه القوات . وقد قضى عدة أشهر لتعويض ما خسروه حتى ولو نفذنا براعنا ولم ينجح المدو في تعطيلها .

إلا أن بعض المواطنين قد ثارت في نفوس بعض البارزين من قادة الولايات المتحدة من الناحية الأخرى للمحيط الأطلنطي . وقد أدركوا في الحال أن النابلية الكبيرة من الجيش البريطاني قد نجت بعد أن فقدت كل عتادها . ولم يدن اليوم الأول من شهر يونيو حتى أصدر الرئيس أوامره إلى وزارتي الحربية والبحرية بأن تقدما إليه تقريراً عما تستطيعان الاستغناء عنه من الأسلحة لإرسالها إلى بريطانيا ، وفرنسا . وكان الجنرال مرشال يقوم على رأس الجيش الأمريكي كرئيس لهيئة أركان الحرب ويصحح إلى امتياز كجندی امتيازاً بسمة الأفق وبعد التصور وقد أصدرت أوامره المأجلة

إلى نائبه وإلى رئيس دائرة المستودعات ليقدم إليه بياناً كاملاً بكل مالى الجيش الأمريكى من احتياطى فى السلاح والذخائر . وفى مدى ثمانية وأربعين ساعة كانت هذه القوائم قد أعدت . ووافق الجنرال مرشال عليها فى اليوم الثالث من شهر يونية . وتشتمل القاعة الأولى منها على ربع مليون بندقية من مجرّع مليونى بندقية صنعت سنّى ١٩١٧ و ١٩١٨ وظلت محفوظة فى أوراقها نحو عشرين عاماً وكانت مع كل بندقية منها نحو ٢٥٠ طلقة وكان هناك نحو تسعمائة مدفع ميدان عيسار ٧٥ ومهما أكثر من مليون قذيفة ، وثمانون ألف مدفع رشاش وأنواع أخرى من السلاح . وقد صدر الأمر إلى الميجور جنرال وىسون بالإشراف على إحصاء تصديرها . وأسمرت جميع مخازن الجيش الأمريكى ومستودعاته بمخزم المواد الحربية ولم تحمل نهاية الأسبوع حتى كانت ستائة سيارة متجبهة بمسافرها من التاد الضخم إلى أرسفة الجيش فى راريتان فى فيوجوسى . وفى اليوم الحسادى عشر من شهر يونية كانت اثنتا عشرة باخرة تجارية بريطانية تدخل إلى الميناء وترسوفيه لتحمل الشحنات على سطحها .

وقد رتب على هذه التدابير الاستثنائية التى قامت بها الولايات المتحدة أنها أصبحت لا تمك لنفسها من المدات إلا ما يكفى مليوناً وثمانمائة ألف رجل . وهو أقل رقم يمكن أن يقدر لمشاريع التمهته للجيش الأمريكى . ولعل من ينظر إلى هذه الأرقام الآن لا يقدرها حتى قدرها ، ولكنها كانت فى ذلك الوقت عملاً عظيماً منبثاً من الإيمان والقيادة ، قامت به الولايات المتحدة وحرمت نفسها هذه المقادير الهائلة من السلاح لترسلها إلى بلاد كان الكثيرون يمترونها قد أصيبت بالهزبة فى الحرب . ولم تقدم الولايات المتحدة على هذا العمل بطبيعة الحال . وقد قننا بنقل هذه الأسلحة الثمينة من الأطلسى بأمان فى شهر يوليه . فوصلت إلينا وهى لازم إلى عامل مادي لاكتسبناه فحسب بل إلى عوامل أخرى لها أهميتها الكبرى فى سائر الاعتبارات التى ينظر إليها العدو والصديق بالنسبة للنزوة .

وكان شهر يونية من الأيام الشاة بالنسبة لنا ، لما نواجهه من الحاجة إلى الجهود المزدوجة التى يجب أن تقوم بها فى هذا الموقف المكشوف الذى كنا فيه مدفوعين (١٣ - مذكرات)

بالواجب الذى يقتضيه علينا نحو فرنسا ، وحاجتنا إلى جيش عامل فى أرض الوطن ،
وتحصين جزرنا من الساحية الأخرى . وقد اتبعنا على الرغم من المواقف التضاربية
سياسة ثابتة موطدة لا تؤثر فيها الاندفاعات الماطفية . وقد ظل معنا الأول هو إرسال
ما يمكننا إرساله من قوات مدربة حسنة الإعداد لإعادة تنظيم الحملة البريطانية فى
فرنسا . ثم بذل جهودنا للدفاع عن جزرنا بإعادة تأليف الجيش النظامى وإعداد
وتحصين الموانع التى يحتمل أن يقيم فيها لزال الجيوش وتزويد السكان بالسلح
وتنظيمهم . ثم نقل ما نستطيع نقله من قوات من أنحاء الامبراطورية إلى بريطانيا .
ولم نكن فى حاجة إلى الرجال بقدر حاجتنا إلى السلاح . وقد استطعنا إنقاذ
نحو ثمانين ألف بندقية من القواعد ومراكز المواصلات إلى الجنوب من نهر
السين ولم ينتصف شهر يونية حتى كان كل جندى محارب فى الجيش المادى النظامى .
قد حمل سلاحاً خاصاً به فى يده ، ولم يكن لدينا من مدفيه الميدان إلا القليل حتى
للجيش النظامى حيث كنا قد أضعنا فى فرنسا جميع مدافعنا الجديدة من عيار خمسة
وعشرين رطلاً ولم يبق لدينا غير خمسمائة مدفع و ١٠٣ دبابات متوسطة و ١١٤ دبابة
لشعبة و ٢٥٢ دبابة خفيفة . ولم يرب أن شعباً عظيماً يقف مثل هذا الموقف من
المرء أمام أعدائه .

وقد رأينا أن من واجبنا إرسال المعونة إلى فرنسا قبل كل شيء وكان من المقرر
أن تبدأ حركة إرسال الفرقة الثانية والخمسين إلى فرنسا فى اليوم السابع من شهر
يونية وفق الأوامر السابقة ، وقد أعدنا تأكيده هذه الأوامر . وصدر الأمر إلى الفرقة
القيادية من الجيش الكندى التى كانت قائمة فى انكلترا من أول العام والسليحة
بأحسن السلاح بأن تتوجه إلى بريست . بموافقة الحكومة الكندية على أن تبدأ
فى الوصول إلى هناك فى اليوم الحادى عشر من شهر يونية أى فى نفس الوقت
الذى كانت فيه الآمال تنهار . وقد كان إرسال هاتين الفرقتين إلى فرنسا المتداعية
فى مثل هذا الوقت الذى كنا نتوقع فيه أن يتدفع الألمان إمامتنا بسكل ما لديهم
من قوة وعنق ، عملاً رائداً لصالحنا إذا ما تورن بالقوات المحدودة جداً التى استطعنا
إرسالها إلى فرنسا فى الأشهر الثمانية الأولى من الحرب . وأعجب حين أعود بذات كرتى

إلى هذه الحقائق كيف أتيج لنا أن نرسل التشكيلة العسكرية الوحيدة العامة التي نملكها إلى فرنسا لو لم نكن ندرك صعوبة عبور اللانث بالنسبة للعدو . إلا إذا سيطر على البحر أو الجو أو أحرز المعدات اللازمة لإنزالها إلى البر .



وكان لدينا في فرنسا الفرقة الجبلية الحادية والخمسون القاعة وراء السوم ، التي انسحبت من خط ماجينو . وكانت لا تزال في حالة طيبة . وكانت هناك أيضاً فرقنا المدرعة الأولى والوحيدة - باستثناء كتيبة الدبابات والقوة للمساعدة - التي سحبت وأرسلت إلى كاليه للمساعدة في عملية الإغاث . وقد خسرت هذه الفرقة هدفاً من رجالها في محاولة عبور نهر السوم . كجزء من خطة فييجان . ولم يدن اليوم الأول من شهر يونيه حتى كانت هذه الفرقة قد خسرت ثلثي رجالها . وصدرت الأوامر بسحب ما بقي من رجالها إلى ما وراء نهر السين لإعادة تنظيمها . ثم جمع تسعة أفواج من المشاة لا تحمل غير البنادق ، من محطات المواصلات وراء الخطوط في فرنسا ، ولم يكن لديها إلا القليل من الأسلحة المضادة للدبابات ، وليس لديها أية معدات ميكانيكية أو أجهزة إشارة .

وقد بدأت الرحلة الأخيرة من معركة فرنسا في اليوم الخامس من شهر يونيه . وقد رأينا آنفاً كيف وفر الألمان أسلحتهم المدرعة ولم يستخدموا الكثير منها في معركة دنكرك ، محتفظين بها لهذه المعركة النهائية في فرنسا . وقد تدفق هذا السلاح جميعه نحو الجبهة الفرنسية الضعيفة التداعية الممتدة من باريس إلى البحر . ولست أستطيع هنا أن أسجل غير معركة الجناح الساحلي التي لعبنا فيها دوراً . وقد أراد الجيش الفرنسي الماثر الاحتفاظ بخط نهر السوم . ولكن فرقتين مدرعتين ألمانييتين استطاعتا في اليوم السابع من شهر يونيه الاندفاع نحو روان وبذلك أصبح الجناح الفرنسي الأيسر الذي يضم فرقنا الحادية والخمسين معزولاً عن باقي الجبهة ، وذلك بتطويق الجيش الفرنسي التاسع في مثلث روان - ديب - النهر .

وقد خشينا . واشتد قلقنا من أن يتسع هذا الزل فيشمل شبه جزيرة المافر
التي تصبح مزولة عن الجيوش الرئيسية .

لهذا صدرت الأوامر إلى الجنرال فورشون بأن ينسحب في اتجاه روان إذا
لزم الأمر إلا أن هذه الحركة لم تتم بسبب الضعف الذي نال القيادة الفرنسية .
وقد قدمنا بيانات عاجلة متكررة إلى الفرنسيين في هذا الشأن ولكن بدون
جدوى . وكان هذا من سوء التدبير إذ أن الخطر كان ظهراً منذ ثلاثة أيام على
أقل تقدير .

وفي اليوم الماسر من شهر يونيو تمكنت الفرقة بعد قتال عنيف من التمتع
مع الجيش الفرنسي التاسع نحو خط سان فاليري للجللاء بطريق البحر . ولكن
الضباب في ليلتي الحادى عشر والثاني عشر من شهر يونيو قد حال دون جللاء
الجنود على ظهر البواخر . ووصل الألمان في صباح الثاني عشر إلى الجانب
الصخرى إلى الجنوب . وأصبح الشاطئ واقفاً تحت نيرانهم المباشرة . وارتفعت
الأعلام البيض فوق البلدة ، واستسلم اللواء الفرنسي في الساعة الثانية صباحاً .
وفي الساعة العاشرة والنصف اضطرت البقية الباقية من فرقنا الجبلية إلى الاستسلام .
ووقع ثمانية آلاف جندي بريطاني وأربعة آلاف جندي فرنسي في أسر الفرقة
الألمانية المدرعة السابقة التي يقودها الجنرال رومل . ولقد أثارني أن أرى الفرنسيين
لا يسمحون لفرقتنا بالتراجع إلى روان قبل قوات الأوان وإبقائها في مواقعها حتى
أصبح من العسير عليها أن تصل إلى المافر أو تتراجع نحو الجنوب مما أسطرها
إلى الاستسلام مع قواتهم . ولقد كان مصير الفرقة الجبلية أحسن نوماً ، ولكن
الاسكتلنديين قد تآروا لهذا المصير عندما أأدوا تأليف فرقهم وعملوا صغوفهم
وتوحدوا مع الفرقة الاسكتلاندية التاسعة وساروا جنباً إلى جنب من ميادين
المدنيين إلى النصر النهائي وراء الراين .

وقد تلقيت في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الحادى عشر من شهر
يونيو رسالة من رينو . وكان قد أبقى كذلك الرئيس . . لقد بدأت للأساة
الفرنسية تسير نحو الكارثة وكنت منذ عدة أيام ألح في اجتماع المجلس الأعلى .

وقد تمذر الآن الاجتماع في باريس . إذ لم تكن . قد وصلنا الأنباء بالمعلومات الصحيحة من الأوضاع فيها . ولا شك أن « رموس رماح » الاندفاع الألماني كانت تقرب منها . ووجدت من التمذر الحصول على موعد من رينو . ولم يكن الوقت وقت التمسك بالرسيمات وعلينا أن نعرف ما يريد الفرنسيون أن يعملوه . وقد أبلغني رينو أنه يستطيع أن يستقبلني في بريار بالقرب من أودليان . إذ بدأت العاصمة الرسمية تجلو عن باريس إلى تور . أما مقر القيادة العامة فقد أختل على مقربة من بريار . وقد أصدرت أوامري إلى طائرة « فلامنجو » بالاستعداد في مطار هندون بعد النداء . وسافرت في الساعة الثانية بعد الظهر . بعد أن كنت قد حصلت على موافقة زملائي الوزراء بالسفر في الجلمة التي عقدناها قبيل الظهر .

وكانت هذه هي رحلتي الرابعة إلى فرنسا . ولما كانت الأوضاع العسكرية هي المسيطرة إذ ذاك . فقد طلبت إلى المستر إيدن وزير الخارجية أن يصطحبني مع الجنرال ديل رئيس أركان حرب الأمبراطورية والجنرال إيسمان وكانت الطائرات الألمانية إذ ذاك تسير أشواطاً بعيدة في سماء المانش مما أرغمنا على القيام بدورة واسعة . ومضت الفلامنجو ومعهما اثنتا عشرة طائرة من طائرات « ناخات الذهب » وبعد ساعتين وصلنا إلى مطار ستير كان فيه بعض الفرنسيين وأسرع إلينا ضابط فرنسي برتبة الكولونيل في سيارة وتظاهرت في وجهه بالثقة والاطمئنان وابتسمت ابتسامة هريضة كنت أعتقد أنها مناسبة في مثل هذا الوقت ولكن الضابط لم يستجب لابتسامتي فصرخت في الحال بأن الموقف قد ساء كثيراً عما كان في اجتماعنا السابق منذ أسبوع يباريس وسار بنا الكولونيل إلى دار وجدنا بها رينو والمريشال بيتان والجنرال فيجنان وقائد الجوفوين ، وعدداً آخر من الضباط من بينهم الجنرال - الصغير نسيبا - ديبول الذي عين منذ قليل وكيلاً لوزارة الدفاع الوطني . وعلى السكة الحديدية كان قطار القيادة حيث لاذ عدد من رفاقنا . أما الدار فلم يكن بها إلا جهاز تليفوني واحد وضع في دورة المياه وكان مشغولاً على الدوام لتأخير الاتصالات التليفونية .

ولما حانت الساعة المناسبة بدأنا اتجاهنا . ولم يكن بيننا مجال للتأنيب أو تبادل

الألفاظ النابية فقد كنا جميعاً أمام حقائق مغزعة . وقد دار الحديث بيننا على النحو التالي : لقد طالما حدثت الحكومة الفرنسية على الدفاع عن باريس وأنا أؤكد ما يستغفره القتال في الشوارع ومن بيت إلى بيت في مدينة كبيرة من قوات الجيش الغازي وذكرت المارشال بيتان ، بتلك الآليات التي أمضيناها ممّاً في قطاره في أحد المشارب بمد كرامة الجيش البريطاني الخامس سنة ١٩١٨ حيث استطاع - ولم أذكر المارشال فوش إذ ذاك - من إنقاذ الموقف . وذكرته بكلمة منصو وكيف كان يقول « سأقاتل أمام باريس ، وفي باريس ووزراء باريس » وقد أجاب المارشال بيتان بهدوء تام وذمّه بأنه كان في تلك الأيام يحمل بقوات المناورة تبلغ نحو ستين فرقة . أما الآن فإنه لا يملك شيئاً منها . وقال « إنه في تلك الأيام كانت في الجبهة ستون فرقة بريطانية . وأساف إن من المبت الذي لا يؤدي إلى نتيجة تدمير باريس » .

وأخذ الجنرال رينويس مرض الموقف العسكري بقدر ما وصل إلى علمه بالنسبة لهذه المركبة المذبذبة التي تدور على بعد خمسين ميلاً أو ستين . وقد أنني ثناء بالنّا على شجاعة الجيش الفرنسي . وناشدنا أن نرسل كل ما نستطيع من مجندات وفي مقدمتها أسراب المقاتلات البريطانية التي يجب دفعها إلى المركبة حالاً ثم مضى يقول « هذه لحظة حاسمة وهي الخطأ إبقاء أي سرب من الطائرات في انكلترا » ولستكني بناء على قرار مجلس الوزراء البريطاني الذي اتخذ بحضور مارشال الجوى الأعلى داودينج الذي أحضرته في جلسة مجلس الوزراء بصفة خاصة قلت « إن هذه النقطة ليست حاسمة وهذه ليست بالاحظة الحاسمة كذلك فستكون الاحظة الحاسمة عندما يوجه هنتر جميع سلاحه الجوى إلى بريطانيا العظمى . فإذا استطعنا أن نسيطر على الجوى وإذا أمكننا أن نستوق البحار على حالها مفتوحة - وهذا ما سنتمكن منه ولا شك - فسنمود ونستعيد لكم كل شيء » فثمة خمسة وعشرون سرباً من الطائرات المقاتلات لابد أن تظل للدفاع عن بريطانيا مهما يكن الثمن . ونحن مصممون على أن نحصى في الحرب إلى النهاية وإننا واقفون بأننا سنتمكن من ذلك إلى حد بعيد أما التخلي عن هذه الأسراب فعندما القضاء على فرصتنا في الحياة » .

ووصل الجنرال جورج القائد الأعلى للجبهة الشمالية الغربية فجأة وبمد استماعه إلى

خلاصة ما دار من الحديث أكد الصورة التي رسمها فيجيان للجبهة الفرنسية . وقد دعوتهم إلى التمسك بالخطة التي سبق أن أثمرت إليها وهي حرب المصائب . فالجيش الألماني ليس إلى هذا الحد من القوة التي يظهر بها عند وقوع الاصطدام . وإذا قامت الجيوش الفرنسية بسائر فرقها وكثافتها بمحاربة الألمان في الجبهة التي تواجههم بحماية ومزيج فأننا ولا شك نستطيع أن نوقف زحف الألمان ورد على الفرنسيون ببيانات من الموقف الرهيب على الطرق التي تفيض بأفواج اللاجئين الذين تتابعهم نيران الدافع الرشاشة المدمية من الطائرات الألمانية . وعن حالة المزام الجماعية التي سيطرت على جماهير كبيرة من السكان وعن تداعي الجهاز الحكومي والسلطة العسكرية . وقد ذكر الجنرال فيجيان في لحظة أن الفرنسيين ربما اضطروا إلى طلب الهدنة . وهنا انتفض ربنو قائما ليقول بطريقة خاطئة « هذه مسألة سياسية » وقلت في مجال الرد « إذا كانت فرنسا في محنتها ترى من صالحها أن يستسلم جيشها فليها أن لا نتردد في ذلك بسببنا على الإطلاق . ومهما يكن قراركم فأننا مصممون على القتال إلى النهاية وإلى النهاية إلى النهاية » فلما قلت إن على الجيش الفرنسي أن يستمر في القتال حيث كان وحيث استطاع لأضعاف مائة فرقة ألمانية رد الجنرال فيجيان قائلاً « وحتى إذا تم هذا فإن الجيش الألماني سيظل لديه مائة فرقة أخرى لنزوكم واحتلال بلادكم . فما عساكم تصنعون حينئذ » ورددت عليه بقولي « لست من الخبراء العسكريين ولكن مستشاري الفنيين يرون أن الطريقة المثلى لمعالجة النزو الألماني المنتظر لبريطانيا هو أن نفرق أكبر عدد من الغزاة في البحر وهم في طريقهم إلينا ، وأن نهشم رؤوس الباقين عندما يصلون زاحزين إلى الشاطئ » قال فيجيان وقد علت وجهه ابتسامة كثيفة « يجب أن أعترف على أي حال بأن لديكم حاجزاً متيناً ضد الدبابات » وكانت هذه آخر الكلمات المؤثرة التي سمعتها منه . وكنت طوال هذه المناقشة المؤلة أنوء بحزن شديد لأن بلاداً مثل بريطانيا عدد سكانها نحو ثمانية وأربعين مليوناً لم تستطع أن تساهم مساهمة أكبر مما قدمت في الحرب البرية ضد ألمانيا وأن تسعة أعشار المذبحة وتسمية وتسمين في المائة من الآلام وقعت على فرنسا وعليها وحدها .

ونحننا لننسل أيدينا لتناول الطعام وقد جرى به إلى مائدة المؤعر وفي أثناء ذلك تحدثت إلى الجنرال جورج بصعفة خاصة . وقد اقترحت أولاً أن يستمر القتال

في كل مكان في الجبهة الداخلية . وتنظيم حرب طويلة المعصابات في الجهات الجبلية ثم الانتفال ثانيا إلى إفريقيا وهي خطوة كنت أظنها علامة انهزام قبل أسبوع ولكن صديق المحترم - الذي على الرغم من أنه يتولى مسئوليات مباشرة - لم يكن مطلق الحرية في يوم من الأيام في قيادة الجيوش الفرنسية . وقد لست أنه لا يرى أملا كبيراً في المشروعين اللذين عرضتهما عليه .

وإني لأتحدث ببساطة عن أحداث تلك الأيام . ولقد كانت تلك الأحداث في حينها آلاماً حقيقية تختلف في عقولنا وأرواحنا جميعاً .



وقد جلسنا إلى مائدة الشاء حوالي الساعة العاشرة . وكان مجلسي إلى بين رينو . وكان الجنرال ديجول إلى جانبي من الناحية الأخرى . وقدم إلينا حساء ومجة بيض وقهوة وتبذ خفيف . وكنا حتى تلك اللحظة من الهنة التي تزلت بنا من تلك السكوارث الألمانية لا تزال على حد كبير من الصدافة . ولكن سرعان ما وقع فصل مؤلم . وقد يذكر القارئ ما علفت من الأهمية على وجوب ضرب إيطاليا ضرباً عنيفاً في اللحظة التي تدخل فيها الحرب وإجراء الترتيبات اللازمة لنقل القاذفات البريطانية بعد موافقة الفرنسيين إلى الطارات الواقعة قرب مرسيلى لتضرب تورين وميلان . وكان كل شيء في ذلك الوقت على استعداد تام للضرب . وما كدنا نجلس إلى المائدة حتى جاءت إشارة من ماريشال الجو بإرات قائد القوات الجوية البريطانية في فرنسا إلى الجنرال ايسان تقول إن السلطات المحلية تمارض في قيام القاذفات البريطانية بالاعارة من مطارات مرسيلى إذ أن النار على إيطاليا ستكون تبيجتها توجيه أعمال تآكربة لجنوب فرنسا وليس في وسع البريطانيين سدها ، وقسا عن المائدة أنا ودينو وفيجدن وإيدن ودبل . وقد تحدثنا حديثاً قصيراً بعده وأقن رينو على إصدار الأوامر إلى السلطات الفرنسية لمنحصة بالسماح للقاذفات البريطانية بأن تؤدي واجبها ولكن سرعان ما تلقينا اشارة تليفونية أخرى تقول إن أفواجا من الفرنسيين للقيمين بالقرب من الطارات قد جاءوا بمختلف العربات وسيارات النقل ووضعوها في أراضي الطارات حتى أصبح من المستحيل على القاذفات أن تقوم من مرابضها لأداء واجبها .

ولما غادرنا المائدة وجلسنا للتناول قهوتنا مع بعض البرادى أبلغنى ريتو أن المريشال بيتان قال له إن على فرنسا أن تطلب الهدنة . وأنه قد أعد مذكرة بذلك . ويريد منه أن يقرأها واستمر ريتو يقول « إنه لم يقدم إلى هذه المذكرة بعد . ويظهر أن الخجل لم يزل مستوليا عليه . وعنده من تقديمها » ولا شك أنه خجل كذلك عند تأييد طلب الجنرال فيجيان بأن ترسل أسراب طائرتنا الخمسة والمشرين بعد أن قرر فى أحماق نفسه أن الأمل قد ضاع . وأن فرنسا يجب عليها أن تسلم . وقد ذهبنا جميعا إلى مضاجعنا . والأمسى بلاءً قلوبنا والحزن يخيم على نفوسنا وفى صباح اليوم الرابع عشر دخل الألمان باريس .

وبعدنا فمقدنا مؤتمرا فى الساعات المبكرة من الصباح . وقد حضره مريشال الجوارات وأحد ريتو طلبه بأن نبحث بخمسة أسراب من القاذبات إلى فرنسا وقال الجنرال فيجيان انه فى حاجة شديدة إلى القاذبات النهارية لتتم النقص الذى يراه فى الجنود . وأكسدت لها أن زيادة المساعدة الجوية ستبحث بحثاً شاملاً فى وزارة الحرب البريطانية بمجرد عودتى إلى لندن مع التصميم على وجهة نظرى بأنه من الخطأ الشديد حرمان المملكة المتحدة وسائل الدفاع التى لا غنى عنها فى أرضها .

وبعد حديث لا طائل وراه . من هجوم مضاد فى أدنى حوض السين أبديت فى لهجة حاسمة ورغبى فى أن تقوم الحكومة الفرنسية عند حدوث أى تغير فى وضعها بإبلاغ الحكومة البريطانية بصفة عاجلة لنستطيع الحضور فى الحال للالتقاء بهم فى المكان المناسب الذى يختارونه قبل اتخاذ قرارات حاسمة فيما يتعلق بدورهم فى المرحلة الثانية من الحرب .

واستأذنا للسفر من بيتان وفيجيان وأركان حرسهما . وكانت هذه آخر مرة اجتمعنا فيها وانفردت جانباً بالأميرال درلان وقلت له « اسمع إيدرلان . إياك أن تسمح للألمان بالاستيلاء على الأسطول الفرنسى . فوعدتى وعداً قاطعاً بأنه لن يسمح بذلك على الإطلاق .

ولم يكن لدينا من الوقتود الصالح ما يسمح لقيام الطائرات «قاذفات القنب» بمراقبتنا للحراسة . وكان علينا أن نختار أحد أمرين . إما أن نترث حتى يصل الوقتود أو نجازف بالفلامنجو وحدها . وقد أكدوا لنا أن الضباب يغطي طريقنا من سائر النواحي . وكانت مودتنا عاجلا إلى الوطن أمراً لا مفر منه ومن ثم رحلنا بالفلامنجو . وطلبتنا من القيادة الجوية البريطانية أن ترسل ببعض الطائرات لمقابلتنا وحراستنا فوق المانش .

فلما اقتربنا من الشاطئ كانت النجوم قد تبددت وصح الجو . ورأينا على بعد مائتي ألف قدم مدينة الهافر تخمنا تلتهمها النيران وكانت سحب الدخان المتصاعدة من الميناء توجه نحو الشرق ولم ترأية طائرة قادمة لحراستنا . وقد لاحظت أن قائد الطائرة يقوم بمشاوورات مع مساعديه ثم أسرع الطائرة فهبطت بنا بحركة منقضة إلى ارتفاع مائة قدم أو ما يقرب من ذلك فوق البحر الهادئ . حيث لا ترى الطائرات . وسألت عما حدث . وعرفت فيما بعد أنهم رأوا طائرتين ألمانيتين تخمنا تطلقان النيران على زوارق الصيد . ولحسن حظنا أن الطائرتين الألمانيتين لم تنظرا علينا . ثم استقبلتنا طائرات الحراسة عندما اقتربنا من الشاطئ الإنسكايزي وهبطت بنا الطائرة الأئمنة فلامنجو في مطار هيندون بسلام .

وفي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم نقلت إلى وزارة الحرب ما أسفرت عنه بمثقتنا . وشرحت للزملاء وقف الجيوش الفرنسية على ضوء ما نقله إلينا في المؤتمر الجنرال فييجان . فقد قطعت هذه الجيوش ستة أيام في قتال مستمر ليلا ونهارا وأصبحت في موقف اليأس والتهالك ويقوم العدو بهجوم عام يستخدم فيه مائة وعشرين فرقة تميزها الدبابات والمدركات ضد أربعين فرقة فرنسية . وقف الجيوش الفرنسية الآن عند آخر خط دفاعي تستطيع منه أن تبذل شيئا من المقاومة المنظمة . وقد استطاع الألمان إلى الآن أن يجتازوا هذا الخط من نقطتين أو ثلاث . ولا شك أن الجنرال فييجان لا يرى أملا في الاستمرار في القتال . وهو يرى أن الألمان يقومون بتدمير فرنسا بطريقة منظمة وواجه يدعو : إلى إنقاذ ما تبقى من البلاد من هذه النهاية . وقرأت للزملاء الذكرة التي أعدها الرمال والتي اطلع عليها رينو ولم يسلمها إليه بعد .

ثم قلت « لا شك أن بيتان رجل خطير إلى حد بعيد في هذه المرحلة ولقد كان من الالهزاميين على الدوام » أما الميوس رينو فيبدو مصمما على القتال ويؤيد الجنرال ديجول الذي حضر المؤتمر ففكرة الاستمرار في حرب المصائب . وقلت : إن الجنرال شاب ممثلا حيوية وقد خلف في نفسي أثرا حسنا إلى حد بعيد . ويبدو لي أن رينو سيتجه إليه إذا انهار الخط الحالى ليتولى القيادة . وذكرت لهم أن الأميرال درلان قد صمم على ألا يسلم الأسطول الفرنسى إلى العدو . وإذا لزم الأمر فإنه سيبيت به إلى كندا وإن كان يخشى أن يمارضه الساسة في خطته .

وكان قد اتضح أن فرنسا قاربت النهاية في مقاومتها المنظمة وأن فصلا آخر من قصة الحرب يقترب من الخاتمة . وقد يستمر الفرنسيون في الحرب على أية حال . وقد تظهر حكومتان فرنسيتان تقوم إحداها بمقد صلح وتقوم الأخرى باعداد المقاومة المنظمة من المستعمرات الفرنسية لتتولى الحرب في البحر عن طريق الأسطول الفرنسى وفي فرنسا بطرق المصائب . ولكن من الممدر علينا أن نتكلم بشيء الآن أن نرسل بعض المونة إلى فرنسا إلى حد ما . وإن كان لابد لنا أن نركز جهودنا على الدفاع عن جزرنا .

الدفاع الداخلي

وجهاز الهجوم للضاد

سيرى قارئ هذه الصفحات كيف كانت سدل التيب شديدة تحجب ما وراءها ولا تترك أمام الناظر إلا الحيرة والذهول . والآن وقد انقشمت عنا تلك النيموم أصبح من السهل علينا أن نرى أين كنا شديدي الفزع والجهل بسير الأمور ومقى كنا غير مكتفين أو حائرين مشدوهين . لقد أخذنا على غرة مرتين في شهرين متتاليين وفوجئنا مفاجأة تامة وأثبت اكتساح النرويج واختراق الجبهة الفرنسية وما تبع ذلك من أحداث ، القوة الهائلة التي التمت بها المبادرة الألمانية . ولكن ماذا أهدوا بعد ذلك من خطط وماذا وضعوا من إجراءات إلى آخر ما هنالك ؟ هل يزلون إلينا من السماء الزرقاء . وقد حملوا أسلحة جديدة .. ووضعوا خططا دقيقة .. واستخدموا قوة طاغية هائلة ليبرزوا جزيرتنا الزلاء إلى حد بعيد ، الفقيرة إلى المددات في موضع أو أكثر من المراضع التي تصلح لا تزال القوات ؟ أو هل يذهبون إلى إيرلندا فينزونها ؟ هذه كلها احتمالات كان من الحماقة أن يبت الانسان فيها برأى معتمد على منطقته وتفكيره ولقد قال الدكتور جونسون^(١) « إن الرجل إذا عرف أنه سيشتق بعد أسبوعين . فإنه يركز رأسه على ذلك تماما » ولقد كنت وأثقا من النصر دائما ومع ذلك فقد كانت الأوضاع تسمرنى . وإنى لأشكر تلك الأوضاع لأنها كانت تترجم أرائى إلى تنفيذ صحيح .

وقد أدرك زملائى أن من الضروري الحصول على سلطات استثنائية من البرلمان بقانون أعدوه في الأيام القلائل الماضية . وسيضمن هذا القانون - بعد إقراره - للحكومة السلطة التامة على حياة وحريات وممتلكات سائر رعايا جلالة الملك في بريطانيا العظمى . وإذا استخدمنا الصيغة القانونية قلنا إن البرلمان سيضمن للحكومة السلطة

(١) من أدباء بريطانيا اللروين في القرن السادس عشر .

الطلقة . وكان يخول الحكومة « حق إصدار الراسم بموجب قانون الدفاع — التى تطلب إلى الناس أن يضموا أنفسهم وخدماتهم وممتلكاتهم تحت تصرف جلالتهم . حسب ما يراه ضروريا أو ناهيا لضمان السلامة العامة ، والدفاع عن المملكة . والمحافظة على الأمن العام واستمرار الحرب التى يشتبك فيها جلالتهم ، وضمان المؤن والخدمات اللازمة لحياة الشعب » .

وكان من سلطة وزير العمل أن يوجه أى إنسان للقيام بأية خدمة تطلب منه . وكان النظام الذى يسيطه هذه السلطة يشتمل على بند خاص يعلق بمدالة الأجور . وتقرر تأليف لجان فى المراكز الهامة لتجديد المال . وفرض الاشراف على الممتلكات إلى أبعد مدى فى الإمكان . وعلى هذا النوال تقرر فرض الاشراف على سائر المؤسسات بما فيها المصارف لتكون تحت سيطرة الحكومة وكان من واجب أصحاب الأعمال أن يقدموا دقائر حساباتهم وأن يدفعوا الضريبة الإضافية التى تبلغ مائة فى المائة . وتقرر إنشاء مجلس للاتجاج برئاسة المستر جرينوود وتعيين مدير له دائرة تجديد المال .

وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو قدم للبرلمان هذا المشروع وقام بتقديمه المستر تشمبرلين والمستر أتلى . وقد قام الأخير باقتراح القراءة الثانية وأقر البرلمان بمجلسية — الموم والوردات — بما فيها من غالبية من المحافظين هذا القانون بالإجماع فى نفس اليوم وسدق عليه التصديق الملكى فى تلك الليلة ليصبح قانونا وكان الشهور السائد فى بريطانيا إذ ذاك ينطبق على قول الشاعر :

« ذلك لأن الرومان كانوا إذا اشتبكك روما فى قتال . فى تلك الأيام القديمة المهيبة لا يضنون عليها بالمال أو عقار أو ولد أو زوجة ولا عضو ولا حياة » .

كان الوقت بالنمبة لبريطانيا وقت مل ولا شك . إلى آخر دق وإلى آخر ذرة أو طافة . وكان الشعب متحداً اتحاداً لا مثيل له . فجة سبق من التاريخ . وكان الرجال والنساء يعملون وراء الآلات والأجهزة فى المصانع حتى يتداعى الواحد أو الواحدة ويسقط على الأرض من شدة الاعمياء فيسحب إلى بيته بالرغم منه ليحمل عمله شخص آخر قد سجد قبل الوعد المفرد . . وكانت الرغبة الملحة على سائر الرجال والكثيرات

من النساء أن يكون لكل إنسان سلاحه . وقد ارتبط أعضاء الوزارة والحكومة بقيود لا تزال نذكرها بسرور وغبطة . واندم شعور الفزع عند الشعب وكان ممنولوه في البرلمان في هذا الموقف جديرين بثقتهم . ولم تكن قد عايننا ماعانت فرنسا من شدة مالاقتته . وليس ثمة ما يؤثر على الانكليزي ويحركه أكثر من خطر النزو . وهي حقيقة لم يعرفها الشعب البريطاني منذ أكثر من ألف سنة . وقد صمم الشعب على أحد أمرين : النصر أو الموت . ولم تكن بهم حاجة إلى إثارة مشاعرهم بالخطب الحماسية . ولكنهم كانوا يتهيجون حين يسمعونى أعبء من مشاعرهم . وأقدم لهم المبررات عما يقومون بعمله أو يحاولونه . وكان كل ما هناك من خلاف هو وجود من يريدون أن يفعلوا أكثر مما تتحمله الطاقة والذين يرون أن الحواس الجنونية يزيد من طاقة العمل ويرفع من نتائجه .



وكان علينا بعد إرسال الفرقتين الوحيدتين الكاملتي التسليح اللتين نملكهما إلى فرنسا ، أن نبادر باتخاذ سائر الإجراءات التي في مقدورنا للدفاع عن جزيرتنا ضد الهجوم المباشر . وكان مصير هولندا عاجل ما زال ماثلا في أذهاننا جميعاً . وكان المستر إيدن قد اقترح على وزارة الحرب تشكيل جيش من الحرس الوطني وقد وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ وسرعان ما تألفت جماعات من سائر أنحاء البلاد من كل مدينة ومن كل قرية وكلهم من ذوي القوة والعزيمة الصادقة . وقد حملوا المسدسات وبنادق الصيد والمراوات والرماح . وقد انضمت من هذه الجماعات في وقت عاجل هيئة كبيرة تضم نحو مليون ونصف مليون من الرجال . وقد أخذوا بالتدريج يحملون الأسلحة الصالحة .

وأخشى ما كنت أخشاه هو أن نستطيع الدبابات الألمانية الوصول إلى الشاطئ . ولما كانت مستحسنة على دائماً فكرة إنزال الدبابات إلى شواطئهم ، فقد كان من الطبيعي أن يدور بخلد أي أنهم يفكرون نفس التفكير بالنسبة إلينا . ولم يكن لدينا العدد الكافي من المدافع المضادة للدبابات أو الذخيرة أو حتى مدافع الميدان . ونستطيع أن نتصور الحالة التي كنا فيها من القصة التالية : لقد قمت بزيارة شواطئنا في خليج القديسة

مرجريت بالقرب من دوفر ، وقد أبلغني البريجادير قائد المنطقة أن كتيبته لا تملك إلا ثلاثة مواقع مضادة للدبابات وعليها أن تحصى أربعة أميال أو خمسة من هذا الشاطئ الذي تهدده أكبر الأخطار . وأبلغني أنه لا يملك أكثر من ست طلقات لكل مدفع وسألني مقترحيا هل من حقه أن يسمح لرجاله بإطلاق طلقة واحدة من هذه الذخيرة الثمينة لكي يجربوا مدافعهم . فأجبت بأنه ليس لدينا عتاد للتجربة أو التدريب وأن ما لديكم من العتاد يجب أن لا يستخدم إلا في اللحظة الأخيرة ومن مسافة قريبة للغاية .

ويتبين مما تقدم أن الوقت لم يكن يسمح بالسير بالطرق المألوفة وقد قررت رغبة مني في الإسراع في العمل أن أضع تحت إشرافي كوزير للدفاع مؤسسة التجارب التي أقامها الميجور جيفريز في وايتشيرش وكفت منذ سنة ١٩٢٩ قد ارتبطت بعلاقات ذات نفع مع هذا الضابط للبرز الذي برهن بمقاييسه المبدئية الخلاله عن نفعه الكبير . كما سنرى فيما بعد ، طوال أيام الحرب . وكان ليندلمان على صلة وثيقة به وبى في وقت واحد وقد استخدمت قليلهما الجهابذين مع سلطتي الشخصية . وكان جيفريز ورجاله يمدون قبلة يمكن أن تلقى من نافذة على دبابه فتلتصق بها فور إطلاقها ولا شك أن تأثير قبلة متفجرة على لوح من الفولاذ يكون له أثره البالغ . وقد انطبعت صورة في أذهاننا من جنود خلمصين ، أو مدينين يجرون وراء الدبابه ويقذفون القنبه عليها على الرغم من أن الانفجار سيكاف الشخص الذى يلقيها حياتاه . وكان الكثيرون بلا شك على استعداد للقيام بهذا العمل . وفكرت في أن القنبه إذا ثبتت على قضيب يمكن إطلاقها بقوة أنصف من البندقية وأخيراً رضيت بالقنبه اللاصقة باعتبارها سلاحاً من أسلحة الطوارىء التى قد نلجأ إليها عند الحاجة . ولم نستعمل هذه القنبه في بلادنا على الإطلاق . ولكنها أثبتت نجاحها في سوريا حيث كانت الأوضاع البدائية ولا تزال مهيمنة .



ولأول مرة منذ مائة وخمس وعشرين سنة يقف عدو شديد الراس أمام مياه القنال الانكليزى الضيقة وقد أصبح . حتماً علينا أن نعيد تنظيم جيشنا النظمى

التي تألف حديثاً ، وجيشنا الإقليمي الأكثر عدداً والأقل في تدريبه . ونهى
لأنفسنا جهازاً دفاعياً قوياً يقف مستمداً لقاء الغزاة والقضاء عليهم وليس لنا خيار
في ذلك على الإطلاق . ولم يكن أمام الفريقين إلا « الهلاك أو الملاح » . وقد استطعنا
أن ندخل الحرس الوطني كذلك في جهاز الدفاع المأم . وعرض الجنرال إيرونسايد
القائه المأم لقوات الوطن في اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو خططه على
رؤساء أركان حرب القوات المسلحة وقام الخبراء بطبيعة الحال بدراسة هذه الخطط
بكل دقة واهتمام . وقت أنا كذلك بدراستها بنقطة بالغة دقة وتمت الموافقة عليها .
وكانت هذه الخطة العظيمة التي وضعت للمستقبل تتألف من ثلاثة وجوه . أولها يعطى
على قوة دفاعية من الجنود المقيمين في الخنادق في سائر الجهات التي يحتمل أن يزل
فيها الإمداد على طول الشاطئ . ويقاوم هؤلاء الجنود من مواقعهم ومعهم قوات
احتياطية متحركة للقيام بهجوم سريع مقابل ، وثانيها إقامة خط من الحواجز المضادة
للدبابات يقوم عليه جنود الحرس الوطني ويمتد على طول الشاطئ الشرقي من أواسط
إنكلترا إلى جنوبها ومهمته حراسة لندن والراكر الصناعية العظيمة بسيارات مدرعة
تصل من الطرق الداخلية . أما الثالث فهو القوات الاحتياطية الرئيسية التي تقف
وراء ذلك الخط لتقوم بالهجوم المضاد الرئيسي .

وقد أدخلت على هذه الخطة مع مضي الأسابيع والشهور تعديلات وإضافات
لا حصر لها . لكن الفكرة لم تتبدل في جوهرها . وأصبح على سائر القوات أن تثبت
في مواقعها إذا هوجمت لا في الخطوط فحسب ولكن في سائر المراكز الدفاعية .
وتبادرت قوات أخرى بالقضاء على المهاجمين قضاء تاماً : سواء أكانوا قادمين من
البحر أو من الجو . أما الرجال الذين ينقطع اتصالهم بالساعدة المأجلة ، فلا يشترط
فيهم البقاء في مواقعهم . فقد وضعت الخطط الفعالة لسد الدخول من الخلف وقمع
مواصلاته وتدمير معداته الحربية تماماً كما فعل الروس . وقد حققوا نتائج عظيمة . حين
فمرم تدفق للد الألمان بعد سنة واحدة .

ولاشك أن الكثيرين قد دهشوا حين رأوا هذا النشاط المسجيب في كل ناحية
من النواحي . وكان لابد أن يدركوا ضرورة مد الاسلاك ووضع الأنعام على الشواطئ

وإقامة الحواجز ضد الدبابات في الطرق والمابر وبناء مقاريس الأسمنت المسلح عند تقاطع الطرق والدخول إلى البيوت لوضع أكياس الرمل بالطوايق العليا ، وحفر الخنادق الواسعة ضد الدبابات في ملاعب الجولف والحقول الخصبة والحدائق . نعم لقد أدركوا ذلك وارتضوه ، رغم ماينالهم من جرائمه من أضرار . ولكنهم كانوا يتساهلون في بعض الأحيان . إذا كانت هناك خطة موضوعة لهذه الأعمال أم أنها إجراءات فردية يقوم بها أشخاص مندفعون بمامل الحماسة لاستغلال الأوضاع الجديدة التي أتاحتها القانون للتدخل في أملاك المواطنين .

وكانت هناك خطة عامة منظمة تشمل جميع أوجه هذا النشاط فلما تمت هذه الخطوة اتخذت القيادة العامة مركزها بلندن . وقد قسمت بريطانيا العظمى وإيرلندا إلى سبع قيادات وقسمت كل قيادة إلى مناطق للفيالق وكل منطقة قسمت إلى قيادات للفرق . وكان الطلوب من القيادات والفيالق والفرق أن تبقى جزءا من مواردها ليسكون بمثابة احتياطي متحرك وأن تحتفظ في مراكزها بأقل ما يمكن من هذه الموارد على أن تكون كافية للمحافظة على خطوطها الدفاعية . وقد تم بناء مواقع دفاعية في كل منطقة منفردة من مناطق المؤخرة بطريقة تدريجية . ثم أقيمت وراءها « مناطق الفيالق » ومناطق القيادات .

وقد بلغت الخطوط الدفاعية في محققا نحو مائة ميل أو زيادة . وأقيمت خلف هذه جميعها الحواجز المانعة للدبابات وعمر من جنوب انكلترا متجهة شمالا نحو نوتنجهامشير . فضلا عن هذا فهناك القوات الاحتياطية النهائية تحت قيادة القائد الأعلى لقوات الوطن . وبهذه الطريقة وضعتنا سياستنا للمحافظة على أكبر قوات متحركة للاحتياط .

وقد جعلنا كل ميناء من موانينا في الجنوب والشرق موضع دراسة معينة . ولم يكن من المستطاع الهجوم المباشر على ميناء محصن تحصينا كاملا . وعلى الرغم من ذلك فقد حولنا جميع هذه اللوائ إلى مراكز قوية تستطيع أن تصد عن نفسها أي هجوم من البر أو البحر على حد سواء ، ووضعت الحواجز على ألوف الأميال الربعة من بريطانيا لمنع هبوط قوات تحملها الطائرات . وقد احتاجت مطاراتنا ومخيمات الرادار التي نملكها (١٤ - مذكرات)

وكذلك مستودعات وقودنا - وكنا نملك منها حتى صيف سنة ١٩٤٠ ثلثمائة وخمسة وسبعين - إلى دفاع خاص ، بواسطة حاميات خاصة وبواسطة طيارها أنفسهم فكان علينا أن نضمن حمايتها في الليل والنهار من أعمال التدمير والمهجوم المفاجيء في الود من المواقع المعرضة للهجوم كالجسور وعطلات توليد الكهرباء والمستودعات والمصانع الحيوية وماشا كلها ، وأعدت الخطط لتدمير المنشآت الهامة التي قد يستفيد منها العدو بمجرد وقوعها في يده كما أهد اللام لتدمير الطرق الميسرة في الموانئ وتفجير الطرق والداخل الرئيسية وشل حركة مواصلات السيارات والاتصالات التليفونية والبرقية وتحطيم كل نوع من أنواع الأجهزة والآلات قبل وقوعها في يد العدو . وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات السديدة التي ساعدت فيها الدوائر المدنية زميلاتها العسكرية فإننا لم نفكر على الإطلاق في سياسة التخريب . فقد كان على أبناء انكلترا أن يدافعوا عن جزيرتهم لا أن يجربوها .



وكانت هناك ناحية أخرى . فقد كان أول ما عرفته من « معجزة دنكرك » هو وجوب الإفادة من ذلك الانسحاب بالاستعداد للهجوم مضاد . فإذا كان كل أمر مازال مؤرجحا فإن استمادة زمام المبادرة تصبح أمراً حيويًا . وكان اليوم الرابع من شهر يونيه بالنسبة لي من الأيام الكثيرة الأعباء . فقد كان على أن أهد الخطاب الطويل الخطير الذي ألقيته في مجلس الموم والذي تحدثت منه آنفا . . وبعد أن أقيمت عن كاهلي ذلك المباء أسرعت بإعداد المذكرة التي اعتقدت أن من الواجب أن تكون رائدنا في سائر أنسكارنا وأمالنا في هذه اللحظة ، وقد وجهت إلى الجنرال إسمان للملاحظات الآتية :

« إننا نهم بمخطر نزول الألمان في انكلترا على الرغم من سيطرتنا على البحار . وحيازتنا على قوة دفاعية قوية من الطائرات المقاتلة في الجو . وهذا أمر من الحكمة وسداد الرأي أن نفكر فيه وقد أصبح كل شق صخري . وكل شاطئ . وكل ميناء . مصدر قلق وتفكير بالنسبة لنا . وفضلا عن ذلك فإن قوات المظلات تستطيع أن تنزو ليفرول أو إرلندا أو غيرها من الأماكن . وهذه حالة لها قيمتها إذا

كانت ستخلق في نفوسنا الدخوة والنشاط . ولكن إذا كان في
وسع الألمان أن يقوموا بغزونا رغم قوتنا البحرية ، فإن كثيراً من الناس
يتساءلون : ولماذا لا نفكر نحن في غزو أراضيهم ؟ إن من واجبتنا
ألا نسمح للمقالية الدناعية الكاملة التي قصت على الفرنسيين بالمدار
أن تسيطر على أفكارنا : ومن أم الأمور عندى أن زعم الألمان على
إبقاء أكبر عدد ممكن من قواتهم للمحافظة على جميع الشواطئ التي
احتلوها . ويجب علينا أن نعمل على تنظيم قوات تنولى غزو هذه
الشواطئ والإغارة عليها لاسيما ونحن نعرف أن جميع سكانها أسدقاء
لنا . ويجب أن تتكون هذه القوات من وحدات كاملة العدة
مستقلة في توينها وتضم كل منها ألف رجل ليرتفع عددها إلى عشرة
آلاف عندما يضم بعضها إلى البعض . وفي مقدورنا أن نحفظ بميزة
المباغتة باخفاء هدف النارة حتى اللحظة الأخيرة . وقد انضح لنا ممارأيتنا
في دنسكرك أنه من المستطاع نقل القوات وتحريكها إلى المواقع المفتراة
عندما يحتاج الأمر إلى ذلك . ومن أم الأمور أن زعم الألمان على أن
يكونوا دائمى التفكير في المكان الذى قد توجه إليهم فيه الضربة
التالية . بدلا من أن يرغونا هم على إحاطة جزيرتنا بالأسوار المتينة
وتغطية سقفها كذلك ، وعلينا أن نبذل ما في وسعنا لتشمل الروح
المنوية والمقالية في النفوس . ونلقى هنا ما فنانيه من ترك الأمور
لشيئة العدو وتمكينه من زمام المبادرة مما هو موضع شكوانا الآن » .

وقد نقل إيمان هذه المذكرة إلى رؤساء أركان الحرب . وقد وافقوا على ما فيها
من حيث البدأ ، وظهرت إرادتهم في الكثير من القرارات التي اتخذوها ، وقد أدت
هذه المذكرة إلى سياسة مقررة مع الأيام . وكان تفكيرى في هذا الوقت يدور دائما حول
حرب الدبابات لامن للناحية الدفاعية فحسب بل من الناحية الهجومية كذلك وقد دفعنى
هذا التفكير إلى عمل عدد كبير من السفن التي تصالح لإزالة الدبابات وذلك أمر كان
يشغل بالى على الدوام . وله أهميته الكبرى في المستقبل .

لقد كان لي ولع دائماً بالحرب البرمائية ، وكانت تدور بخاطري دائماً فكرة إنزال الدبابات إلى البر من سفن تمت لذلك بحيث تظهر على شطآن لا تتوقع نزولها وكنت قبل عشرة أيام من انضائي إلى وزارة الستر لويد جورج في السابع عشر من شهر يولييه سنة ١٩١٧ كوزير للتعاون قد أعددت بغير استمارة بأحد من الخبراء خطة للاستيلاء على الجزيرتين « بوركوم وسيلت » وقد اشتملت هذه الخطة على الفقرات التالية التي أنشرها الآن للمرة الأولى :

« يجب أن يتم النزول على إحدى الجزيرتين - بوركوم أو سيلت تحت ستار من مدفعية الأسطول مع قنابل الدخان أو الناز تطلقها سفن لا تؤثر فيها الطوربيدات البحرية . ويجب أن يكون مع كل فرقة نزول إلى البر نحو مائة من هذه السفن الصغيرة . ويجب كذلك أن تؤمن على الأقل خمسين قطعة لإنزال الدبابات وتحمل كل منها دابة أو أكثر تكون صالحة لقطع الأسلاك الشائكة بمقدماتها . ويجسر متحرك تستطيع الدبابات أن تنزل إلى البر تحت حجب من قوتها النارية وحدها فتمنع وقف المشاة عن تأدية أعمالهم والمهجوم على مضائق القلعة وبطارياتها عن طريق الأسلاك الشائكة . وهذه وسيلة مبتكرة تقضي على نوع من المشاة التي كنا نجدها حيث كان حتماً علينا أن ننزل مدافع الميدان لقطع الأسلاك الشائكة .

وقد يكون من الخطر أن يحس العدو المقاسد التي نريدها فيقوى حامياته بإمدادات صالحة لاسباب في جزيرة بوركوم التي يساوره القلق عليها . لكن هذا النزول يمكن أن يتم تحت درع من الدبابات الخفيفة المنيعة ضد الدافع الرشاشة ، الكثيرة العدد حتى لا تقتار إلى حدة بتران المدفعية الثقيلة ونستطيع الدبابات الوافرة العدد ، لاسباب السريعة الحركة منها والخفيفة ، أن تعمل في مواقع لم تكن على أهمية للاقائها . وأرى أن هذه الأمور لها أهميتها وتستحق الدرس والعناية » .

وكنيت قد اقترحت بدلاً من هذا المشروع في هذه المذكرة إيجاد جزيرة صناعية في المياه الضحلة في « هورن ريف » في الشمال فظلت هذه المذكرة راقدة في محفوظات لجنة الدفاع الامبراطوري أكثر من ربع قرن . ولم أنشرها في كتابي السابق من « الأزمة المالية » لأنها لم تنفذ . ولعل هذا كان من حسن حظنا . فالآراء التي أوضحتها في هذه المذكرة أصبحت أكثر من حيوية لنا في هذه الحرب لاسيما أن الألمان كانوا يطمعون على ما أكتبه ويدرسونه بمثابة ودقة . وقد ظلت الأغراض الخفية لهذه المذكرة منطبعة بذهني حتى حلت الأزمة الجديدة . فصارت أساسا للعمل الذي أصبح واضحا في الأسطول الضخم من وحدات إنزال الدبابات سنة ١٩٤٣ وفي الأحداث التالية جميعها .

وبدا العمل بنشاط في إنتاج جميع القطع البحرية التي تنول إنزال المعدات الحربية الثقيلة وأنشئت في الاميرالية إدارة خاصة للإشراف على هذه الشؤون ولم يحل شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠ حتى كانت التجارب تقوم بجد على سفن إنزال الدبابات . ثم أضيفت إليها التحسينات اللازمة . وقد بدأت عملها بالفعل في الشرق الأوسط فوصلت إلى هنالك في سيف سنة ١٩٤١ . وقد برهنت هذه القطع البحرية على خرائدها العظمى ، ومن حسن الحظ أننا استطعنا أن نعهد بصناعتها إلى الشركات الإنشائية الهندسية التي لا تعمل في أحواض السفن لذلك فإن إنتاجها لم يؤثر على ما كانت تقوم به أحواض سفننا من بناء القطع البحرية الكبيرة . وبهذه الطريقة استطعنا أن ننفذ البرنامج الواسع الذي رأيناه .

وكانت هذه القطع صالحة لأعمال الإنارة من بحر المانش أو البحر الأبيض المتوسط . ولكنها لم تكن تصلح للسير في رحلات طويلة في المحيطات . ومن ثم كانت حاجتنا إلى قطع كبيرة تستطيع نقل الدبابات والسيارات في الأسفار البحرية الطويلة وإنزالها إلى الشواطئ . كالقطع السالفة الذكر وأسدرت تمليناي بإنشاء هذه السفن وأطلقنا عليها « سفن نقل الدبابات » وقد نقل التصميم إلى الولايات المتحدة فشاركت في تنفيذه ونحسينه . وأخذ الإنتاج الأمريكي يزداد على نطاق واسع وقد ظهرت هذه الوحدات في سائر أعمالنا البحرية التي جاءت بعد ذلك وبها حلت

مشكلة إززال السيارات الثقيلة إلى الشواطئ وقد بنيت أكثر من ألف قطعة من هذه القطع البحرية .

وما كدنا نصل إلى نهاية سنة ١٩٤٠ حتى كانت قد تسكونت لدينا فكرة صحيحة عن الحرب البرمائية وأخذ إنتاج هذه القطع ومعداتها يزداد يوما بعد يوم . وقد ألقت الوحدات الخاصة بهذه القطع وأخذت العمل في إنشاء معداتها وتدريب أفرادها يسير . يجد تحت إشراف قيادة العمليات المشتركة . وأنشئت مراكز خاصة للتدريب في أرض الوطن وكذلك في الشرق الأوسط وكنا بطبيعة الحال نقدم هذه الأمكار بمالها من أهمية لأصدقائنا الأمريكيين في صورتها النهائية ، ولما جاء الوقت المناسب كان قد تم الجهاز الذي أنبج له أن يلعب دورا كبيرا في سائر خططنا الكبرى .

وكانت جهودنا في هذا المجال سنتى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ عديدة بما تفرضه حرب النواصات من جهود وأعراض . ولم يكن في مقدورنا أن نستغنى عن أكثر من سبعة آلاف رجل لإنتاج هذه القطع التي تستخدم للإززال حتى نهاية سنة ١٩٤٠ ولم نحل سنة ١٩٤٤ حتى كان أكثر من سبعين ألف رجل في بريطانيا وحدها يشغلون في هذه المهمة بالإضافة إلى عدد أكبر يعمل في الولايات المتحدة .

أما فيما يتعلق بالأقوال والإشارات التي توحى بأننى كنت أعارض فكرة إززال واسعة النطاق كذلك التي حدثت في نورماندى سنة ١٩٤٤ فنحن حق أن أقول : لأننى كثيرا ما كنت استعير الهمم . وأدعوا إلى إيجاد هذا الجهاز الضخم والأسطول الذي لا يهزم لإززال القنابل والمدركات على الشواطئ . وهو جهاز لم يكن في مقدورته أن نحقق بغيره شيئا من تلك العمليات الرئيسية التي تمت في السنوات التالية وهذه ما يمتدح به الجميع .

مأسة فرنسا

من واجبي أن أبين للأجيال القادمة البحث فيما إذا كنا سندهى فى الحرب على انفراد لم يوضع قط فى جدول أعمال وزارة الحرب . فقد كان من المسلم به أننا سندهى فى الحرب ونستمر فيها وقد استولت هذه الفكرة على الجميع من مختلف ممثلى الأحزاب وكنا نرى أن من البعث أن نضيع وقتنا الثمين فى هذه المواضيع الأكاديمية الخيالية . ولقد كنا متحمدين جميعاً فى النظر إلى المرحلة الجديدة بمعين الثقة والإيمان .

وقد كانت زيارتى الأخيرة إلى فرنسا فى الثالث عشر من شهر يوليه قبل الانقطاع الطويل الذى استمر أربع سنوات إلا يوماً واحداً وكانت الحكومة الفرنسية قدجات إلى تور ، وتأزمت الأمور بصورة مستمرة واسطعيت مى هاليفاكس والجنرال ايسمان كما تطلع ما كس بيكر بروك بالذهاب مى وهو رجل جم النشاط عندما تدلهم الأمور وكانت السماء هذه المرة صافية بيئة الصفاء وطرنا وسط سرب من « نائبات الذهب » لنقوم بجولة نحو الجنوب فلما حلقنا فوق تور وجدنا المطار قد تعرض لآنارات شديدة فى الليلة السابقة ولكننا تمكنا جميعاً من الهبوط بسلام رغم أن أرض المطار كانت مليئة بالفجوات . وكانت مظاهر التدهور بادية ، ولم نجد فى انتظارنا أحداً بالمطار واستمرنا سيارة قائد المطار وأجهنا إلى المدينة قاصدين دار المحافظة التى قيل إن الحكومة الفرنسية اتخذتها مقراً لها ولم نجد بها أحداً من ذوى الشأن ولكن قيل لنا إن دينو قادم من الريف نحو المدينة .

ولما كانت الساعة قد بلغت الثانية فقد صممت على تناول النداء وبعد أن تبادلنا الحديث بمضى الوقت ، طفنا بالسيارات فى شوارع المدينة المزدحمة بسيارات اللاجئين وكان أكثرها محملاً بالأمتعة على ظهورها . وعثرنا على أحد المشارب وكان مغلقاً . وبعد لأى عثرنا على وجبة من الطعام . وقد زارنا المسيو بودوان ونحن تناولوا النداء وكان قد اتسع نفوذه فى الأيام الأخيرة .

وأخذ يتحدث إلينا بطريقة الحرية المائعة عن محز القوة الفرنسية عن

الاستمرار في المقاومة وأن فرنسا تستطيع أن تواصل الحرب إذا أعلنت الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا . وسألني رأيي في هذا الموضوع . واكتفت بأن أبدو أملي في دخول أمريكا ومزمتنا الأكيد على الاستمرار . وقد هلت فيما بعد أنه أشاع أنني وافقت على استسلام فرنسا إذا لم تدخل الولايات المتحدة الحرب .

ثم هدنا إلى المحافظة فوجدنا السيو مدلل وزير الداخلية ينقظنا ، وقد رأيت سكرتير كليمنصو الأمين السابق الذي يحمل رسالة حياته ، في أحسن حال من الناحية المئوية ، وكنت أرى الحبيوة والتحدى ممثلين فيه ورأيت أمامه دجاجة شبيهة لم يحسها وكان الإشراف باديا على عيها ، وقد حمل في كل يد من يده آلة تليفونية يصدر تعليماته عن طريقها وكان تفكيره منحصرا في الاستمرار في القتال حتى النهاية في فرنسا إلى أن ينسج المجال لقل أكبر ما يمكن من القوات إلى أفريقيا . وكانت هذه أول مرة أرى فيها هذا الفرنسي الباسل ، وقد أصابت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، بعد عودتها ، حيث أهدمت اللاجور التي قتله ولا شك أن ذكره ستبقى موضع الإجلال عند مواطنيه وحلفائهم ، وبعد فترة وجيزة وصل رينو وكان يبدو عليه الوجوم ، فقد نقل إليه الجنرال فيجان أن الجيوش الفرنسية قد حل بها النصف وأن الخطوط الدفاعية اخترقت في عدة مواضع وأن اللاجئيين يتدفقون على الطرقات في البلاد وأن بعض وحدات الجيش أصبحت في حالة من الفوضى . وقد رأى القائد الأعلى أن طلب الهدنة أصبح أمرا محتملا قبل أن يفقد ما تبقى من قوى قد يحتاج إليها أشد الحاجة لحفظ النظام ، حتى يمقد الصلح . هذه هي النصيحة العسكرية التي تلقاها رينو وقد أشار إلى أنه سيبحث برسالة أخيرة إلى الرئيس روزفلت يبلغه فيها بدو ساعة النهاية وأن قضية الحلفاء أصبح مسيرها في يد أمريكا . ولا حل غير ذلك إلا الهدنة والصلح .

ومضى السيو رينو يقول إن مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها في اليوم السابق قد كلفه بسؤال بريطانيا عن موقفها — إذا وقع ما لا بد من وقوعه — وهو يدرك تماما التعمد المقدس بالأيمقد أحد الحائفين صلحا مع المدو دون الآخر . وكان الجنرال فيجان وغيره قد أعلنوا أن فرنسا قد ضحت بكل شيء في سبيل القضية المشتركة .

ولم يبق لديها شيء تضحى به بعد . ولكنها نجحت في إنهاك العدو إلى حد بعيد . وإذا لم توافق بريطانيا على أن فرنسا أصبحت في الواقع عاجزة عن الاستمرار فستكون سيدة كبرى لفرنسا ، فهل ترى بريطانيا أن فرنسا يجب عليها أن تستمر تفصل بشعبها إلى حالة لا مفر منها من الفساد والانهيار على يدى عدو لا يرحم ؟ عدو خبير بإفناء الشعوب وإذلالها ؟ هذا هو السؤال الذى يرى من واجبه أن يطرحه : هل لبريطانيا أن تدرك الحقائق المرة التى تمنيتها فرنسا ؟

وقد رأيت أن الرد على هذا السؤال له خطورته . بحيث لا بد من الاختلاء بزملائى واستشارتهم قبل أن أرد عليه ومن ثم مضيت مع اللورد هاليفاكس واللورد بيغبروك وبقية أعضاء الفريق إلى حديقة مهمة ولكنها مشمسة وتحدثنا معافى هذا الموضوع أكثر من نصف ساعة . فلما عدنا أخذت أشرح موقفنا فنعن لانستطيع أن نوافق على صلح منفرد مهما تكن الصورة التى يعقد عليها ، ففرنسا من الحرب هو أن نهزم هتار هزيمة تامة وننحن نشمر بأننا جديرون بذلك . ولنا في وضع نستطيع معه أن نحرر فرنسا من التزاماتها ومهما يكن من أمر فلن نوجه إلى فرنسا أى لوم أو تمذير . وإن كان هذا الوقت يختلف تماما عن الواقعة على إخلائها من هودها . وقد حدثت فرنسا على توجيه نداء جديد أخير إلى روزفلت . وأكدت أننا سنؤيده بندا آخر مماثل له من لندن ، ووافق رينو على توجيه هذا النداء ووعدنا بالثبات حتى تثبت النتيجة .

وقد اتفقتنا بعد انتهاء المحادثات مع السيو رينو إلى حجرة مجاورة حيث وجدنا السيو هريو رئيس مجلس النواب ، والسيو جانيني رئيس مجلس الشيوخ . وتحدث هذان الوطنيان المخلصان من وجوب الاستمرار في القتال حتى الموت . وعندما مررنا بالبو المكثف بالناس متجهين إلى القناء الخارجى . رأيت الجنرال دييجول واقفا وقد علا وجهه الجود وحيته وقلت له في صوت خفيض لم يسمعه أحد غيره « إنك رجل الأندار » ولكن ظل وجهه جامدا ، وقد رأيت في القناء أكثر من مائة شخص من كبار الفرنسيين البارزين في حالة من اليأس الشديد . وجاءونى بأين كلمينصو فوضعت يدي في يده وحييته ، وكانت نافثات الهم قد حلفت في السماء استمدادا لحراسة

مطارنا . وركبت الطائرة وودعت في نوم عميق طوال رحلتنا السريعة التي مرت دون
أى حادث في طريق العودة إلى الوطن .

وفي الساعة العاشرة والربع من مساء ، قلت تقريرى الجديد عن رحلتى إلى
مجلس الوزراء .

ووصل السفير الأمريكى كينيدي . ونحن في الجلسة ومعه رد الرئيس روزفلت .
على نداء سابق كان يرنو قد وجهه إليه في اليوم المأسر من شهر يونية وجاء في الرد
« لقد كان لرسالتك تأثير عميق على نفسى وكنت قد أوضحت لك وللمستتر نشرشل
أن هذه الحكومة تبذل كل ما في وسعها لتمد الحلفاء بما حساساها تكون في حاجة .
ماسة ، إليه وقد ضاعفنا جهودنا في هذا السبيل ونحن أعزاء نقوم بهذا إيماننا منا بالمثل .
الغيا التي يحارب الحلفاء من أجلها .

« وقد تأثر الشعب الأمريكى تأثرا بلينا بالمقاومة العظيمة التي تقوم بها جيوش .
بريطانيا وفرنسا » .

« أما أنا فقد تأثرت بصفة خاصة من إعلانك أن فرنسا ستستمر في القتال للدفاع
عن الديمقراطية حتى ولو أدى ذلك إلى الانسحاب البطيء إلى شمال أفريقيا والأطلنطى .
ومن المهم أن نذكر أن الأسطولين البريطانى والفرنسى سيواصلان سيطرتهما .
على الأطلنطى وغيره من المحيطات . وأن من الضرورى الاستمرار في إرسال المعدات
الحوية من الخارج إلى سائر الجيوش المحاربة » .

« وقد شجنى ما ذكره نشرشل رئيس الوزراء منذ أيام عن مواصلة مقاومة
الامبراطورية البريطانية ولا شك أن هذا التصميم ينطبق على الامبراطورية الفرنسية .
العظيمة . ولا شك أن القوة البحرية لا تزال ، كما يعرف دارلان ، على وى لدروس التاريخ
وعبره في الشئون العالمية » .

وقد أيقنا أن الرئيس قد سار إلى حد أبعد مما كنا نتفكر منه فقد أتاح لرينو أن
ينشر رسالته المؤرخة في المأسر من شهر يونية بكل ما فيها من معان . وها هو ذا يرد
عليها بهذا الرد القوى الحاسم . وإذا كانت فرنسا ستقرر أن تتحمل آلام الحرب

إلى مدى أطول ، فإن الولايات المتحدة ستلتزم إلى حد بعيد بدخولها . فقد اشتملت الرسالة على متينين بصلان إلى حد الاشتراك ، الأول : يتعلق بالوعد الذى قطعه الرئيس بأن يقوم بكل أنواع المساعدات المادية ، والثانى : دعوة إلى الاستمرار فى الحرب حتى ولو أدى الأمر إلى الانسحاب إلى شمال أفريقيا . وأسرت فأبرت بشكرنا إلى الرئيس وقد بذلت غاية الجهد فى الثناء على رسالته إلى رينو بأقصى ما يمكنى من الصاير .

وفى اليوم التالى وصلت برقية من الرئيس تعلن عدم تمكنه من الموافقة على إعلان ما تشتمل عليه رسالته إلى رينو . وذكر السفير كيندى أن الرئيس كان يود نشر رسالته ولكن وزارة الخارجية الأمريكية عارضت فى ذلك إذ رأت أن فى نشرها أشد الأخطار . وعاد الرئيس يثنى على الحكومتين البريطانية والفرنسية وبطرى رسالة جنودهما ويؤكد مزمه على إرسال سائر المعدات والمؤن التى فى مقدوره أن يرسلها . ولكنه أعلن عن رغبته فى أن يوضح أن رسالته لا تعنى بأى حال التمهيد بإثراك الولايات المتحدة عسكريا فى الحرب . فنل هذا التمهيد بحكم دستورهما لا يمكن أن يصدر إلا من سلطة واحدة وهى سلطة الكونجرس . وكان الرئيس يفكر بصفة خاصة فى مصير الأسطول الفرنسى . وقد وافق الكونجرس بناء على رغبته على تخصيص مبالغ خمسين مليون دولار لإمداد اللاجئين الفرنسيين بالغذاء والكساء .

وكانت هذه البرقية ذات أثر مثير وغريب للآمال ، وقد أدركنا فى مجلس الوزراء البريطانى ما يتعرض له الرئيس من تجاوز سلطاته الدستورية . وما قد يؤدى إليه هذا التجاوز من هزيمة له فى الانتخابات القريبة التى لها أثرها فى مصيرنا . وكنت أنا واثقا بأن الرئيس مستعد للتضحية بحياته لا بمنصبه فحسب للدفاع عن قضية الحرية للحرية للأخطار البالغة . ولكن ما الفائدة التى يمكن أن تمود من مثل هذه التضحية ؟ وأستطيع أن أحس بالآلام التى يحتملها عبر الأطلنطى . وإذا كانت المتاعب فى البيت الأبيض تختلف عما نمانيه فى بوردو أو لندن فستوى الإجهاد الشخصى لا يقل هناك عنه هنا أو فى بوردو .

وقد حاولت فى ردى أن أمد الستر روزفلت بالحجج التى يستطيع أن يستند إليها فى الرد على الآخرين فيما يتعلق بالأخطار التى تهدد الولايات المتحدة إذا سقطت أوروبا

جوشلت بريطانيا ، فالمسألة ليست مسألة عواطف بقدر ما هي مسألة حياة أو موت ، وبمشت . أقول « إن مصير الأسطول البريطاني سيكون كما ذكرت من قبل أمراً حاسماً بالنسبة إلى مستقبل الولايات المتحدة إذ أن انضمام هذا الأسطول إلى أساطيل اليابان وفرنسا وإيطاليا وإلى موارد الصناعة الألمانية الضخمة يجعل لمتل السيطرة البحرية الكبرى . وقد يلجأ إلى الاعتدال في استخدامه ، ولكنه قد لا يفعل إلا أن هذا الانقلاب في القوة البحرية قد يحدث قبل أن تستعد الولايات المتحدة لمواجهة . وإذا ما انهارت بلادنا فإن في مقدور ألمانيا أن تغلق ولايات متحدة أوروبية تحت زعامتها أكثر عددا وأشد قوة وأحسن تسليحا من الولايات المتحدة القائمة في العالم الجديد » .



وفي أثناء ذلك كان الوضع قد ساء في الجبهة الفرنسية فقد ترتب على العمليات الألمانية في الشمال الغربي من باريس ، تلك العمليات التي ضاعت فيها فرقتنا الحادية والخمسون ، وصول المدو إلى مصب نهر السين والوار . وكان الجيشان الفرنسيان المحطمان السابع والعاشر ، يحاولان إقامة خط دفاعي سريع على الضفاف الجنوبية من النهرين . وقد فشل هذان الجيشان بعضهما عن بعض . ورأت القيادة العامة أن تحاول سد الانسداد بينهما فأصدرت أمراً إلى حامية العاصمة التي تدعى « جيش باريس » بأن تخرج من العاصمة وتقيم حلقة الاتصال بين الجيشين .

وكانت الجيوش - العاشر ، والرابع ، والثاني - في موقف أحسن صلاحية على ضفاف نهر الراين . فقد اتسع لها المجال ثلاثة أسابيع لتوطيد مراكزها والاستفادة مما جاءها من إمدادات وقد ظلت هذه الجيوش يميناً عن الاشتباك طوال أزمة دنكرك والزحف إلى روان ولكنها كانت أقل من أن تقوم بحماية جبهة طولها مائة ميل وكان المدو قد استغل الفترة الماضية ليحشد عددا كبيرا من الفرق ليواجه الضربة القاضية . وفي التاسع من شهر يونيو كان قد فُضي الأمر على الرغم من المقاومة الشديدة ، فقد كان الفرنسيون يقاتلون بمتاد وإصرار كبيرين وتمسك المدو من إقامة دعوس جسور إلى جنوب النهر بين سواسون ورثيل وانسعت سريما حتى وصلت إلى نهر الوار .

ونقلت الفرق المدرعة الألمانية التي لعبت دوراً حاسماً في الزحف إلى الساحل إلى ميدان المعركة الجديدة . واحتطعت ثمان من هذه الفرق في اندفاعين عظيمين أن

تحمل الانكسار الفرنسى إلى هزيمة ولم تستطع الجيوش الفرنسية التى حل بها التعر وسادها الاضطراب أن تذهب أمام هذا الحشد القوى من الأفواج المتفوقة والمعدات والتخطيط الحربى . ولم يمض أربعة أيام حتى كان المدوقد وصل فى السادس عشر من شهر يونيه إلى أودريان ونهر اللوار واندفع الاكساح الثانى إلى الشرق نحو ديجون وبزافسون تجاه الحدود السويسرية .

وكانت الفرقتان الباقيتان تقريباً من الجيش الماشر غرب باريس تقه ران إلى جنوب غربى نهر السين نحو النيكون وفى الرابع عشر من شهر يونيه سقطت العاصمة بعد أن تمزقت القوات للدافمة عنها وتآلف من الجيش السابع وجيش باريس وقامت فجوة كبيرة تفصل بين القوات الفرنسية والبريطانية القليلة فى الغرب . وبين ما تبقى من الجيش الفرنسى العظيم .

أما خط ماجينو حصن فرنسا ودرعها فإذا حل به ؟

إن الألمان لم يكونوا قد شنوا هجوماً مباشراً عليه حتى الرابع عشر من شهر يونيه . ولكن بعض الوحدات الفرنسية العاملة كانت قد أخذت تنضم إلى جيوش الوسط . فى انسحاب عاجل ، وقد خلفت وراءها جنود الحاميات . وكان الوقت قد فات . فى ذلك اليوم اخترق الألمان الخط عند ساربروكن وعبر نهر الراين عند كولمار . وأدركوا القوات المتراجمة وأرغموها على القتال بعد أن قعدوا سبيلهم نحو النجاة . ولم يمض يومان حتى كان الاندفاع الألمانى السابق نحو بيزانسون قد قطع عليها طريق الرجعة .

وهكذا تم تطويق أكثر من مائة ألف رجل ولم يعد لهم أمل فى النجاة . وقد حاولت بعض الحاميات المطوقة أن تصمد وتستميت وقد رفضت الاستسلام حتى بعد توقيع الهدنة حيث وافهم الضباط الفرنسيون ومعهم الأمر بوقف القتال وأذعن آخر المحصورين للأمر فى الثلاثين من شهر يونيه وقد احتج قائدها بأن خطوطه الدفاعية مازالت سليمة فى سائر المواقع .

وهكذا كانت الحركة الواهمة غير المنظمة قد آذنت بالنهاية فى سائر أنحاء الجبهة

الفرنسية . وليس لي إلا أن أذكر الدور الضئيل الذى استطاع البريطانيون أن يقوموا بمثيله .

لقد أبدى الجنرال بروك مهارة عظيمة فى تراجعهم إلى دنكيرك . وعلى الأخص فى المعركة التى نشأت عن استسلام بلجيكا . لذلك رأينا اختياره لقيادته القوات البريطانية التى بقيت فى فرنسا وسائر الإمدادات الأخرى إلى أن نرى قواتنا قد وصلت هنالك إلى الحد الذى يدعو إلى إعادة اللورد جورت كقائد عام للجيش ، وكان بروك قد وصل إلى فرنسا وقابل الجنرالين فييجان وجورج فى الرابع عشر من شهر يونيو . وصرح لى فييجان بأن القوات الفرنسية لم تعد تستطيع المقاومة المنظمة وقد انقسم الجيش الفرنسى إلى أربع مجموعات ويقف الجيش الماشر إلى طرفها الغربى . وذكر فييجان كذلك أن الحكومتين الحليفتين اتفقتا على إقامة رأس جسر فى شبه جزيرة بريتانى يقوم بحمايته الفرنسيون والبريطانيون معا على خط يمتد إلى الشمال والجنوب من رين . وأمره بمد قواته على خط دفاعى يمر بهذه المدينة واهترض بروك بأن هذا الخط يبلغ طوله مائة وخمسين كيلو مترا ويحتاج إلى خمس عشرة فرقة على الأقل ، فرد عليه فييجان بأن هذه التعليمات أمر يجب أن يذعن له .

والحق أننى اتفقت مع ريدو فى الحادى عشر من شهر يونيو فى اجتماع « بريار » على إقامة خط كهذا فى مؤخرة شبه جزيرة بريتانى ، ولكن كل شئ قد تداعى وانهار . ولم تصل هذه الخطة على الرغم من صلاحيتها إلى حد العمل . فالفكرة صحيحة ولكن ليس لها سند من الواقع . ومتى تحطمت الجيوش الفرنسية الرئيسية ، فإن هذا الخط رغم ماله من قيمة لا يمكن استبقاؤه أمام هجوم المائى مركز . ولكن استمرار المقاومة هنا بضعة أسابيع سيكون من شأنه المحافظة على الاتصال ببريطانيا ويتيح لفرنسا أن تقوم بانسحاب واسع النطاق إلى أفريقيا من البقية الباقية التى عززت شرمزق ، وإذا كان لمعركة فرنسا أن تستمر فإن ذلك لن يكون إلا فى أماكن كشبه جزيرة بريست أو مناطق الفوج الجبلية . أما الحل الآخر لفرنسا فهو

الاستسلام . فليس لإنسان إذن أن يستهين بفكرة رأس جسر في بريتانى . وقد كلف هذا الجسر الحلفاء بقيادة إيزنهاور ثمنا غالياً فيما بعد .

وقد قام الجنرال بروك بمد عاداته مع القادة الفرنسيين ونظره إلى الأوضاع التى كانت تسير من سبى إلى أسوأ كل يوم بإرسال تقرير تليفونى إلى وزارة الحربية وإلى الستر إيدن شخصياً أعلن فيه أن الأوضاع تدعو إلى اليأس التام .

ونصح بوقف إرسال التجهيزات البريطانية ، وإجلاء كل ما تبقى من الحملة البريطانية في فرنسا وعدده مائة وخمسون ألفاً إذ ذاك ، واتصل بى ليلة الرابع عشر من شهر يونيه ، رغم ما يعرفه عنى من عناد ، على خط تليفونى كان لحسن الحظ مفتوحاً تلك الليلة فأبدى تصميمه على رأيه وكان الحديث واضحاً وقد اتفقت بوجهة نظره بمد عشر دقائق وبأن علينا أن نجاول . فأصدرت أمرى عاجلاً وأبجت له التخلص من الأوامر الفرنسية . وبدأ شحن المقادير الكبيرة من المعدات والمستودعات والمتاد ، والمعدد الكبير من الرجال ، وقد استطاعت الفرقة الكندية التى كانت قد نزلت هناك أن تعود إلى بواخرها وتراجعت الفرقة الثانية والجسور السهلة إلى بريست ولم يكن معظم رجالها قد اشتركوا في المعركة ، وفي اليوم الخامس عشر من شهر يونية تحررت البقية الباقية من قواتنا من أوامر الجيش الفرنسى الماثر وفي اليوم التالى انجذبت نحو شربورج . وفي السابع عشر من شهر يونيه أعلن أن حكومة بيتان طلبت الهدنة وصدرت الأوامر إلى القوات الفرنسية بوقف القتال ولم تبلغ قواتنا . وأمسدنا أوامراً إلى الجنرال بروك بالعودة ومعه أكبر عدد يمكنه من الرجال والمتاد .

ومن ثم عدنا إلى عملية دنكرك ولكن على نطاق واسع . وقد استخدمنا لهذه العملية بواخر أكبر وأضخم وقد استطاع عشرون ألف جندى بولندى أن يصلوا إلى البحر ، وكانوا قد أجزوا الاستسلام فقلتهم بواخرنا إلى بريطانيا ، وكان الألمان يطاردون قواتنا فى سائر الأنحاء وفي صباح اليوم الثامن عشر من شهر يونية اشتبكوا مع مؤخرتنا فى شبه جزيرة شربورج على بمد عشرة أميال من الميناء . وفى الساعة الرابعة بمد الظهر غادرت الباخرة الأخيرة الميناء ، فى حين وصل المدو بقيادة

الجنرال رومل وفرقه المدرعة السابعة إلى مسافة ثلاثة أميال من الميناء . ولم يقع في يد العدو من رجالنا إلا عدد قليل . واستطعنا أن نحمل ١٣٦ ألف جندي بريطاني وعشرين ألف بولندي مع ثلاثمائة وعشرة مدافع ، من سائر الموانئ الفرنسية .

وكافت النارات الجوية التي شنها الألمان على سفن النقل هنيئة وقد وقع في سان نازير في السابع عشر من شهر يونية حادث مفزع . فتمرضت باخرة الركاب « لانكاستريا » من حمولة عشرين ألف طن وعلى ظهرها خمسة آلاف جندي لنارة شديدة بعد خمس دقائق من إبحارها فقتل من جراء هذه النارة أكثر من ثلاثة آلاف جندي . وأتخذ الباقون من الفرق على الرقم من النارات الجوية العنيفة بفضل القطع الصنيرة ، فلما نقلت إلى هذه الأنباء وأنا في حجرة مجلس الوزراء أمرت بعدم نشرها وقلت « إن لدى الصحف ما يكفيها من أنباء الكوارث اليوم » وكنت أنوى نشر الخبر بعد بضعة أيام ولكن أنساني ذلك نوال الحوادث السود ، وقد انقضى وقت طويل قبل نشر خبر هذه الكارثة .



ولترك الآن ميدان الكوارث العسكرية وتتناول ما حل بالوزارة الفرنسية وما يتصل بها من خلل وفوضى .

قام بزيارتي بعد ظهر اليوم السادس عشر من شهر يونية السيد مونييه والجنرال ديجول . وكان الجنرال باعتباره وكيلا لوزارة الدفاع أصدر أوامره إلى الباخرة الفرنسية « باستور » التي كانت تحمل أسلحة أمريكية إلى بورديو بأن تنحج إلى إحدى الموانئ البريطانية . وكان مونييه يضع خطة لنقل سائر العقود التي وقعتها فرنسا للحصول على عتاد من أمريكا إلى بريطانيا . إذا وقعت فرنسا مسلحا منفردا مع ألمانيا . . . وكان يتوقع ذلك ويريد أن ينفذ كل ما يمكن من عتاد هذا العالم ، وكان لوقته هذا أثر كبير المائدة وانفعل إلى الحديث في موضوع إرسال ما بقي من أسراب طائراتنا المقاتلة للاشتراك في المركة الأخيرة في فرنسا . وكانت هذه المركة قد انتهت فعلا . فقلت له ليس من الممكن تنفيذ ذلك .

ونحن في هذه المرحلة نسمع الحجج المتادة « كالمركة الفاصلة » و « الآن أولا » و « إذا سقطت فرنسا سقط الجميع معها » إلى ما هنالك من التعبيرات التي

كثير ترددها . ولكن لم يكن في مقدوري أن أسمع شيئاً لتلبية رغباته في هذا المجال . وسرمان ما غادر زائراً الفرنسيان مقدميهما وأجبحها إلى الباب ودونيه في المقدمة فلما وصلا إلى الباب التفت ديجول ولم يكن قد نطق بكلمة واحدة . وعاد متجهاً نحوى ثم قال باللغة الإنكليزية « إننى أرى أنك على حق » وقد بدأ أن هذا الرجل في مظهره الساكن الوقور يكن في أطوائه قدرة بالغة على احتمال الآلام . وما زلت أحفظ في نفسى هذا الأثر بالنسبة لهذا الرجل الممتشق القامة والشديد البرود وكنت أقول « هذا هو شرطى فرنسا » وقد عاد بعد ظهر ذلك اليوم إلى يوردو في طائرة وضمتها تحت تصرفه . ولكنه لم يبق فيها طويلاً .

وظل اجتماع وزارة الحرب ذلك المساء حتى الساعة السادسة مساءً وكان جميع الوزراء في حالة من الدواخف الناتجة التي اجتاحتها سقوط فرنسا . وكان التفكير في حالتنا وما تقتضيه من مواجهة الوقت وحدها أمراً يحتمل الرتبة الثانية . فعدا ذلك قبل كل شيء أهمية ما ينتظر للأسطول الفرنسى . وكنا قد أعدنا منذ بضعة أيام مشروعاً لاتحاد فرنسى بريطانى ذى جنسية مشتركة وأجهزة مشتركة للدفاع وسياسة خارجية واقتصادية ومالية واحدة وغير ذلك . وكان مقصداً - فضلاً عما لهذا المشروع من فوائد عامة - أن نمطى فرصة للسيورينو لانتعاش الفالية من أعضاء وزارته بحقيقة واضحة للانتقال إلى أفريقيا لمواصلة الحرب منها وقد تدرعت بهذه الوثيقة واسطحبت رئيسى حزنى الدال والأحرار والرؤساء الثلاثة لأركان الحرب وعدداً كبيراً من الضباط وكبار الموظفين وبدأت رحلة أخرى إلى فرنسا . وكان في انتظارنا قطار خاص في محطة واترلو وسنصل إلى سوشامبتون في ساعتين ثم نبصر فى الليل بسرعة ثلاثين عقدة في الساعة في طراد يصل إلى المكان الذى نلتقي فيه ظهر اليوم السابع عشر من شهر يونيو . واتخذنا أما كننا في القطار وجاءت زوجتى لتودعنى في المحطة . وقد حدث تأخر غريب فى بدء مسير القطار . نتيجة خلل طارىء . ووصل سكرتيرى فجأة من داوننج سترى وأنفاسه تكاد تنقطع وقد حل إلى الرسالة التالية من السير رونالد كامبل سفيرنا في يوردو .

« أخذت الأزمة الوزارية في الظهور وأرجو الحصول على معلومات

قبل منتصف الليل . وقد أصبح الاجتماع المقرر غدا أمراً مستحيلاً »

وعدت أدرجى إلى داوننج سترت بقلب مثقل بالهموم كان الفصل الأخير في حياة وزارة رينو كما يلي : لقد انهارت الآمال التي بناها رينو على إعلان الاتحاد بين البلدين بصفة عاجلة . ولم يقابل قط عرض سخي يمثل ما تقبل به هذا العرض من جفوة وعداء ، فقد قرأ رئيس الوزراء الفرنسي نص الوثيقة على زملائه الوزراء مرتين وأعلن تأييدها لطلق لها وأنه أعد ترتيبه ممي للاجتماع في اليوم التالي لبحث التفاصيل . ولكن الوزراء ومعظمهم من المشاهير وبعضهم من خايلي الذكر ، أممهم جميعاً الانقسامات . وأوجمهم المزائم ولم يكن أكثرهم قد نهياً لقبول مثل هذه النظريات البهينة المدي . فكان الشهور السائد في مجلس الوزراء رفض هذه الخطة . وكانت الدهشة والشكوك مسؤولة على النابية الكبرى وكان المجلس منعقداً في انتظار رد بريطانيا على الطلب الذي أرسلته فرنسا بالإجماع لتحريرها من التزاماتها حتى تستطيع سؤال الألمان من الشروط التي يطلبونها لهذه . ومن المحتمل أننا إذا كنا قد أرسلنا ردنا الرسمي أن نقبل غالبية الوزراء شرطنا الأول فيه وهو إرسال الاسطول إلى بريطانيا وتمرض هذه النابية إقتراحاً مقبولا إلى حدما لتحرير فرنسا من التزاماتها ونسمح لها بمفاوضات المدو مع احتفاظها بحق الانسحاب إلى أفريقيا إذا كانت الشروط الألمانية قاسية لا يمكن قبولها أما الآن فقد سادت الإجراءات المروفة في الاجتماعات العامة « نقطة قانونية مما كسة ثم لا قانون ولا نظام بل فوضى » .

ولم يستطع بول رينو التغلب على الأثر السي الذي خلفه الاقتراح الداعي لإقامة اتحاد فرنسي إنكليزي . وقد رفض دعاة المزعمة الذين يترصمهم للريشال بيتان حتى مجرد دراسة المشروع . وقذف بعضهم بعضاً بالاتهامات العنيفة قليل إنها « خطة آخر لحظة » ، وقيل إن المشروع « مباحته » وقيل إن « المشروع يضع فرنسا تحت السيطرة والوصاية » أو يرى إلى انقمصاب إمبراطوريتها « وقال بعضهم إنه يهبط بفرنسا إلى مرتبة الدومنيون . وغضب بعضهم لانفقاره إلى منصر المساواة . إذ أن المشروع كان في نظرهم سينخلق على الفرنسيين جنسية الامبراطورية البريطانية لاجنسية

بريطانيا المظلمى بينما يصبح الفرنسيون بمقتضاء حاملين الجنسية الفرنسية وكل هذه الزايم باطلة يتكرها نص المشروع .

وقد ظهرت بعد هذه الأقوال حجج أخرى فقد استطاع « فيجان اقناع بيتان بأن بريطانيا قد انتهى أمرها كذلك . وأنها خسرت الحرب . وكانت النواثر العسكرية المليا قد ذكرت « أن بريطانيا ستضعف رقبته في مدى ثلاثة أسابيع كما تضعف رقبه الدجاجة » ومن ثم وصف بيتان الاتحاد مع بريطانيا بأنه « اتحاد مع جثة هامدة » وقال إيبار نيجارى الذى كان من المشهورين في الحرب الماضية « خير لنا أن نكون إمارة نازية . لأن هذا شيء واضح معروف على الأقل » وقال الشيخ ريبيل وهو صديق شخصي لفيجان « إن هذا المشروع معناه تدمير فرنسا وخضوعها خضوعاً تاماً لبريطانيا » وميثاً حاول رينو أن يقتنمهم بقوله « إننى أفضل أن أتناون مع حلفائى ولا أتناون مع أعدائى » وقد ذهب هباء قول مندل « أليس لنا أن نكون ضمن الدومينيون البريطانى ولا نكون مقاطعة المانية ؟

ونحن لا نشك في أنه لم يقترح في مجلس الوزراء الفرنسى على بيان رينو بشأن اقتراحنا . ومن ثم فإن هذا سدمة شخصية للرئيس في نضاله . وقد حدث من قهوه وسلطانه على مجلس الوزراء . وانتقلت للمباحثات بعد ذلك إلى موضوع الهدنة . وطلب الشروط التى يريدها الألمان . وكان السيوشوتان جامداً وثاباً ، وكنا قد بمثنا إلى مجلس الوزراء بيرفيتين بشأن الأسطول ولكنهما لم تمرضا عليه . ولم تم وزارة رينو بدراسة التى تقدمنا به بضرورة إبحار الأسطول إلى الواوئ البريطانية كشرط مبدئى قبل التفاوض مع الألمان فقد كانت الوزارة في موقف انهيار تام . وما كانت الساعة تصل إلى الثامنة من مساء حتى كان رينو قد بلغ منه الأعياء مبلهه بسبب الجهد العقلى والجسائى الذى تحمله طوال هذه الدة فأرسل استقالته إلى رئيس الجمهورية وأوصى باستدعاء بيتان ، ولا شك أن هذا العمل يجب أن يوصف بالاندفاع والتسجل وكان لا يزال بأمل أن يلتقى في اليوم التالى وقد تحدث إلى سبيرز في ذلك فقال له الجرال أن حكومة جديدة ستكون غداً ولن نستطيع أن نقابل أحداً .

وقد ألف الريشال بيتان حكومة فرنسية جديدة ترى إلى عقد هدنة عاجلة مع

ألمانيا . وكانت جماعة دعاة الهزيمة التي هو رأسها قد تألفت مساء السادس عشر وظهرت سموتها حتى إن تأليف الحكومة لم يستغرق وقتاً طويلاً وقد أصبح شوتان ، الذي قال إن طلب شروط الهدنة لا يعنى قبولها ، نائباً لرئيس الوزراء . وأصبح الجنرال فييجان ، الذي كان يرى أن كل شيء قد انقضى ، وزيراً للدفاع وعين الأميرال دارلان وزيراً للبحرية والسيو بودان وزيراً للخارجية .

وكانت العقبة الوحيدة ، كما يبدو ، فيما يتعلق بالسيو لافال ، فقد كان رأى المارشال بادى' الأسم أن تعرض عليه وزارة المدل ولكنّه رفضها بأنفة وازدراء وأصر على أن توكل إليه وزارة الخارجية لينفذ من طريقها خطته التي تدعو إلى القضاء على التحالف مع انكلترا والانضمام إلى أوروبا النازية الجديدة كخليف صغرى ، وسرعان ما أذعن المارشال بيتان لتأثير هذه الشخصية القوية وضغطها وكان السيو بودان قد بدأ في عمله بوزارة الخارجية وإن كان يحس في أحمق نفسه عاجزاً عن مزاولة أعمالها وكان راغباً عنها كل الرغبة . وقد ثار السيو شارل رو ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية ، حين علم بشيخير الوضع وأسرع إلى فييجان يطلب تأييده فلما دخل فييجان على المارشال لم يتحدث إليه في هذا الشأن امتنع لافال واشتد غضبه حتى إن العسكريين الكبارين خفوا وخضوا لإرادته ولكن الوكيل الدائم رفض أن يتعاون في العمل مع لافال ولما واجه المارشال هذه المشكلة أذعن لرأى وكييل الوزارة وخرج لافال ينطى حقداً ومغظلاً .

كانت الآونة خرجة إلى أقصى الحدود . وبعد أربعة أشهر أى في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر حين أصبح لافال وزيراً للخارجية ، بدأ إدراك جديد للقيم العسكرية فقد أصبحت مقاومة بريطانيا للامان هاملاً أهميته وقد اتضح أن الجزيرة البريطانية لا يمكن إسقاطها من الحساب . وعلى أى حال « لم تقصف رقبتهما كالدجاجة خلال ثلاثة أسابيع » وكانت هذه حقيقة جديدة اغتبط لها الشعب الفرنسى جميعاً .

وقد أذعن بناء على رغبة مجلس الوزراء البيان التالي :

« إن الأنباء الواردة من فرنسا جد سيئة وإنى لأحس أشد الألم لهذه الكارثة التي أصابت الشعب الفرنسى الباسل ولكن هذا لا يغير شيئاً

من مواطننا الحقيقية نحو فرنسا أو امضادنا بأن عمقيرة فرنسا سنألق
ثانياً . وماحل بفرنسا لا يمكن أن يثير من أعمالنا وأهدافنا وقد أصبحنا
الآن المدافعين الوحيدين الذين يحملون السلاح للدفاع عن القضية العالمية .
وسنبذل غاية جهدها لتكون جديرين بهذا الشرف العظيم . وسندافع
من جزيرتنا ووطننا ونستغنى مع الإمبراطورية البريطانية في الجهاد
بمزيمية لا تعرف اللل حتى تزل لنة هنار من جبين الإنسانية ونحن
لانشك في أن كل شيء سيسير على ما يرام آخر الأمر »

وقد أبلت زملائي أنني تلقيت من الجنرال سبيرز إشارة تليفونية يابغي فيها
مجزءه عن أداء دور نافع في الجهاز الجديد الذى ظهر في بور دو . وقد حدثني عن
قلقه الشديد على سلامة الجنرال ديجول — وقد رأى أن سير الأمور على النحو الذى
تسير عليه ديجول من الخير لديجول أن ينادر فرنسا . وقد وافقت على خطة ملائمة
لتحقيق هذه الناية . وهكذا مضى ديجول صباح ذلك اليوم ، أى السابع عشر ، إلى
مكتبه في بور دو وارتبط ببعض اللواهد بعد الظهر للتممية ثم انقل في سيارة مع
سديقه الجنرال سبيرز إلى المار ليودعه في سفره . وقد صافح ديجول صدقه في المطار
قبل أن يسفل الطائرة وعندما بدأت حركتها قفز إليها ديجول وألق من خلفه الباب
وقد حلفت الطائرة في الجو ورجال الشرطة الفرنسية ينظرون إليها دهشة ، لقد ذهب
ديجول وحمل معه في تلك الطائرة الصغيرة شرف فرنسا .

الأميرال دارلان

والأسطول وهران

كان السؤال الذى يتردد على الألسن لدى الأعداء والأصدقاء بعد سقوط فرنسا هو « هل ستسلم بريطانيا كذلك ؟ » أما بالنسبة للحقائق التى تجرى بها الأحداث فقد بينت باسم حكومة جلالتها مرارا عزمنا على مواصلة القتال وحدنا . وكنت فى الرابع من شهر يونيو بعد دنكرك قد عبرت عن موقفنا « بأننا سنستمر فى الحرب سنوات إذا لزم الأمر ووحيدين إذا اضطررنا إلى ذلك » . ولم أكن قد ألفت هذه الكلمة اعتباطا وبغير قصد . وقد تلقى السفير الفرنسى بلندن أمرا من حكومته ليستوضحنى ما أعنيه بهذا القول وكان الرد « إننى أعنى ما قلت تماما » وإنى لأستطيع أن أذكر مجلس العموم بالخطاب الذى ألقيته فيه فى اليوم الثامن عشر من شهر يونيو غداة انهيار بوردو : « قد قدمت للمجلس إذ ذاك » بعض بيانات عن الأسس العملية الصحيحة التى بنينا عليها تصميمنا الذى لا يترشح على الاستمرار فى الحرب » وكنت أستطيع أن أؤكد للبرلمان أن المستشارين المحترفين الذين يمثلون القسوات العسكرية الثلاث على ثقة تامة بآمال كبيرة مقبولة فى النصر النهائى . وأبلغت المجلس أننا تلقينا من رؤساء دول الدومنيون الأربع رسائل يؤيدون فيها قرارنا بشأن الاستمرار فى الحرب . ويعلنون وتوفهم إلى صفوفنا ومشاركتنا فى الأعداء التى تحتاج لنا ثم قلت . « وإنى إذ أشع هذه الموازنة الخفيفة وأنظر إلى الاخطار بيننا لا تخدع ، أرى أمامى أسبابا عديدة تدعونا إلى اليقظة وبذل الجهد ولكنى لا أرى ما يهدو إلى الفزع والرهبة » ومعنى أقوال « إن الحلفاء لم يروا غير الكوارث والفشل المتتابع » وكنا نتساءل على الدوام « كيف نستطيع أن نكسب الحرب ؟ » ولم يكن فى مقدور أى إنسان أن يجيب عن هذا السؤال بدقة حتى النهاية ، حيث اندحر عدونا الخفيف بشفته ، وبصورة لم تكن فى الحسبان ، ففوجئنا بالنصر حتى إننا لم ندر به لحظتنا وأحملناه جانبا .

وانتهيت إلى قولي ، وما دعاه الجنرال فيجان معركة فرنسا قد انتهى . وإلى الآن نرى أن تبدأ في القريب معركة بريطانيا وعلى هذه المعركة يتوقف بقاء الحضارة المسيحية . نعم تتوقف عليها حياة الشعب البريطاني ودوام وجودنا ومنظارتنا وإمبراطوريتنا . ولا شك أن العدو سيصيب علينا قممته . ويستخدم ضدنا أقصى قوته ، فنتألم يعرف جيداً أن عليه أن يهلكنا في هذه الجزيرة ، وإن لم يفعل فانه ولا شك سينخر الحرب . وإذا استسلمنا أن نثبت أمامه فإن أوروبا جميعاً ستحرر وسيطلق العالم نحو آفاق تشرق عليها أشعة الشمس . أما إذا فعلنا فإن العالم جميعه سينحدر إلى هاوية عصر جديد مظلم أشد فساداً بالأنوار الزائفة المسلطة عليه من عالم الظلمات والضلال .

لهذا كان حتماً علينا أن نتي بواجباتنا وأن نقوم بدورنا على أكمل وجه . فإذا كان للأمبراطورية البريطانية وشعبها أن تعيش ألف سنة أخرى ظل الناس يقولون لقد كانت هذه أجمل ساعاتهم .

وقد صحت كل هذه الأقوال التي تتردد كثيراً على الألسنة في أوقات النصر . ولكنها كانت إذاً مجرد أقوال . ولا شك أن الأجانب ، الذين لا يعرفون طبيعة الشعب البريطاني عندما تغل دماؤه ، حين سمعوا أقوالاً ظنوا أنني أكابر فيها تهينة جو صالح لمفاوضات الصلح .

لقد كان هنر في أشد الحاجة لإنهاء الحرب في الغرب . وهذا أمر واضح . ويستطيع أن يعرض الشروط المغربية ، وكان يبدو لي ولزملائي الذين يفهمون نواذحه بعد أن أمعنوا في دراستها أنه لن يوافق على بقاء بريطانيا وإمبراطوريتها وأسطولها على حالها . وأنه ينظر إلى عقد صلح يطلق يده في الشرق . وهذا ما كان يحلم به منذ زمن بعيد حيث تحدث إلى به رينزروب سنة ١٩٣٧ ولم نكن قد أنزلنا به خسائر بالغة حتى ذلك الوقت وكل ما صنعناه هو أننا أضفنا هزيمتنا إلى انتصاره على فرنسا . فليس بمستغرب إذا كان الحاسبون الماهرون في كثير من البلاد — جهلا منهم بشئون الحرب في البحار ، وبحقيقة القوة التي يتمتع بها سلاحنا الجوي واختاراً بقوة ألمانيا وأدائها — قد اقتنعوا بالأوهام . وليس من الصلح على أية حكومة ، ديمقراطية كانت أو دكتاتورية ، ولا على أي شعب يحارب بمفرده وقد تغل عنه الجميع أن يصرا على تحمل فظائع الحرب وأن يرفضاً بأقوة فرصة تناح للسلام ولديهما عشرات الأعداء وتستطيع حكومة أخرى أن تأتي وتقول : إن دماء الحرب قد فشاها بعد أن أتاحت لهم فرصتهم

وإن أمريكا ما زالت في عزتها ولنا ملزمين بأى شيء نحو الاتحاد السوفيتي . لماذا لا نقف بريطانيا في صفوف المتفرجين مع اليابان والولايات المتحدة والسويد وأسبانيا . ترقب الأمور عن كسب وتهزطاً للفضال المدمر الذي سيدأ بين الإمبراطوريتين النازية والشيوعية . ولا شك أن الأجيال القادمة سوف تجد من الصعب عليها أن تصدق أن الأفكار التي ألمت بطرف منها لم تجد طريقاً لها إلى جدول أعمال مجلس الوزراء ، لأنها ليست جذيرة بالبحث . ولم تبحث حتى في أحاديثنا الخاصة . وليس للشكوك أن تول إلا بالأعمال وستأتى الأعمال فيما بعد .

لقد أصبح الأميرال دارلان في الأيام الأخيرة شخصية لها أهميتها الكبرى في بوردو . وكانت اتصالاته به على جانب من البساطة وفي نطاق الرسميات . وكنت أجهل لجهده في إعادة خلق الأسطول الفرنسي ، الذي أصبح بعد عشر سنوات من تولى قيادته ، أعظم شأناً من أى وقت منذ تاريخ الثورة الفرنسية . فلما زار أنكلترا في ديسمبر سنة ١٩٣٩ أقنأه في الأميرالية حفلة عشاء تكريماً له . وكان يرد على التخب الذي شربناه ويذكرنا بأن أحد أجداده قتل في معركة الطرف الأشقر . لهذا كنت أعدة من العناصر الفرنسية الطيبة .

وقد برهنت المحادثات البحرية بين فرنسا وأنكلترا في شهر يناير على أن الأميرال كان غيوراً على المركز الذي يحزفه من أى وزير سياسى للبحرية . وأعتقد أن هذه الفترة قد خلقت لديه عقدة كان لها أثرها في الدور الذي قام به فيما بعد .

ولقد حضر دارلان أكثر المؤتمرات والاجتماعات التي أشرت إليها . فلما اقرب موعد انتهاء المقاومة الفرنسية أكد لي أكثر من مرة أن الأسطول الفرنسي لا يقع في أيدي الألمان مهما تكن الأمور . وقد حلت في بوردو الآونة الدقيقة في حياة هذا الأميرال التقدير الطموح المعتر بنفسه ، وقد أصبحت سلطته مطلقة على الأسطول من الناحية العملية . وكان له أن يصدر الأوامر للأسطول بالتوجه إلى الموانئ البريطانية أو الأمريكية أو موانئ المستعمرات الفرنسية فيذعن لأمره . وقد صرح في صباح اليوم السابع عشر من شهر يونيو ، بعد سقوط حكومة رينو ، للجنرال جورج بأنه سيصدر هذا القرار . وقابله جورج بعد ظهو اليوم التالي وسأله عما حدث فأجاب دارلان بأنه غير رآيه فلما سأله الجنرال عن السبب قال ببساطة : لأنني أصبحت الآن وزيراً للبحرية ، ولم يكن يقصد بطبيعة الحال أن يقول إنه غير

رأيه ليصبح وزيراً للبحرية ، ولكنه أراد أن يقول إن وصوله إلى وزارة البحرية جعله يغير رأيه .

ما أخس تفكير الإنسان حين يبحث عن مصالح الشخصية !! وليس لدينا من مثل أصدق من دارلان . لقد كان في مقدور هذا الرجل أن يبحر على ظهر أية باخرة إلى ميناء خارج فرنسا ليسيطر على جميع مصالح فرنسا الخارجة عن النفوذ الألماني . ولم يكن في هذه الحال سيأتي كالجنرال ديجول وليس في حوزته إلا قلب يأبى الخنوع . لقد كان في مقدوره أن يحمل معه خارج النفوذ الألماني رابع أسطول في العالم . وقد حمل له صنياطه وجنوده غالص الولاء ولو صنع هذا لكان دارلان رأس المقاومة الفرنسية . وفي حوزته سلاح قوى جبار تفتح له أمريكا وبريطانيا الأرضة والأحواض مرحة وتقدم إليه كل ما يحتاج من وقود وعناد ومؤن وصيانة . وكان لأرصدة الذهب الفرنسية في الولايات المتحدة أن تؤمن له ، بعد الاعتراف به ، مورداً غير قليل للإشراف على الإمبراطورية الفرنسية التلاشك أنها كانت ستناث حوله . لقد كانت السلطة والشهرة اللتان كان يحملهما بين يديه . ولكنه بدلا من ذلك قضى عامين من القلق في حكومة معينة . وقد لقي في نهاية ما مضى مؤلماً . وأودع قراً لا يحله أحد وعي اسمه من سجل الأسطول الفرنسي والأمة الفرنسية بعد أن خدمتهما خدمة صالحة مدى طويلا .

وهناك نقطة أخرى يحسن ذكرها هنا . فقد زعم دارلان في رسالة بعث بها إلى في اليوم الرابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، أي قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله بقسوة وعنق ، يقول إنه حافظ على وعده لي ، وقد نشرت هذه الرسالة في مكان آخر من هذا الكتاب . ولا يشكر أحد أن الألمان لم يستطيعوا أن يضمو أيديهم على أية سفينة حربية فرنسية ليستخدموها ضدنا في الحرب . ولم يكن هذا نتيجة الإجراءات التي قام بها دارلان لحسب . وإن كان قد ألقى في روح ضباط الأسطول وسائر بحارته أن واجبه يقضى بتدمير بواخرهم قبل أن تقع في أيدي الألمان الذين يكرههم كما يكره الإنكليز تماماً .

ولكن انضمم الأسطول الفرنسي إلى الأسطولين الألماني والإيطالي في يونيو سنة ١٩٤٠ مع وجود الأسطول الياباني كن خطراً يهدد بريطانيا والولايات المتحدة بالمخاطر . فقد نصت المادة الثامنة من الهدنة على وجوب وضع الأسطول الفرنسي

باستثناء بعض القطع التي تبقى حرة لحماية المصالح الفرنسية في مستعمراتها ، في موافق
تحددتها لجنة الهدنة لينزع منها السلاح تحت إشراف المراقبين الألمان والإيطاليين .
وكان معروفا أن السفن الحربية الفرنسية ستنتقل إلى إشراف أيد معادية وهي مسلحة
بكل المعدات . وصحيح أن المادة نفسها تنص على عدم استخدام الأسطول في أغراض حربية
مدى الحرب . ولكن هل يستطيع أحد أن يثق في كلام هتلر بعد ما عرف من ماضيه
وبعد الحقائق التي كشفت عنها الأحداث ؟ . وهناك نقطة أخرى فقد استثنت
المادة والوحدات اللازمة لمراقبة الشواطئ وكفن الألغام ، والألمان هم الذين يفسرون
هذا الاستثناء . وأخيرا فثمة احتمال خرق الهدنة دائما بحجة الإهمال والتجاوز .
ومعنى كل هذا عدم وجود ضمانات لدينا على أى حال . ومهما يكن الثمن ومهما يكن
الامر فعليتنا أن نتأكد بأي طريق من أن الأسطول الفرنسي لا يقع في أيدي الذين
يجب أن لا يقع في أيديهم . فإن ذلك من شأنه أن يؤدي بنا وبغيرنا إلى الدمار .



ولم تتردد وزارة الحرب في القرار الذي اتخذته . وعين الوزراء الذين كانوا منذ
أصبح واحد يقدمون قلوبهم لفرنسا . وعرضوا عليها جنسية واحدة . وقد قرروا
اتخاذ جميع الإجراءات لتحقيق الهدف الجديد . لقد كان قرارا كريها إلى بل ربما
كان هذا القرار أكثر إيلاما لنفسى من أى قرار اتخذته في حياتي ، فقد ذكرني باستيلاء
أسطولنا الممسكى على الأسطول الدنمركي في كوبنهاجن سنة ١٨٠٧ . ولكن الفرنسيين
كانوا حلفاءنا الأحرار حتى الأمل القريب . وكان عطفنا عليهم في محنتهم عطفنا
صادقا ، ولكن حياة دولتنا وقضيتنا معرضتان للخطر . إنها لمأساة . ولكن لم
يكن لبريطانيا والشعوب التي تعتمد عليها عمل أكثر ضرورة من هذا العمل . وقد
تذكرت دانتون وهو يقول سنة ١٧٩٣ : إن الملوك المتحالفين يهددوننا وإننا على
استعداد لأن نقذف على أقدامهم ، كرهان على المعركة ، رأس أحد هؤلاء الملوك ، وكان
الحادث جميعه يسير في هذا النطاق من تتابع الأفكار .

كان الأسطول الفرنسي يتألف من : بارجتين وأربعة طرادات خفيفة وعدد من
القواصات منها غواصة كبيرة باسم سيراكوف وثمان مدمرات ونحو مائتي قطعة
صغيرة من بينها عدد من كائنات الألغام ووحدات مكافحة القواصات . وكل هذه
ترسو في بورتسهاوث وبليموث أى تحت إشرافنا . وفي الإسكندرية بارجة فرنسية
واحدة وأربعة طرادات منها ثلاثة من طراز حديث وتحمل مدافع من عيار ثمانية

بوصات وعدد من القطع الصغيرة . وهذه تشرف عليها وحدة قوية من البوارج البريطانية . وفي وهران في الجانب الثاني من البحر المتوسط ، وفي المرسى الكبير المجاور لميناء وهران قطعتان من أحسن قطع الأسطول الفرنسي هما : « دنكرك » و « ستراسبج » وهما من البوارج الطرادات التي تفوق شار نهورست وجيزناد وقد أنشئتا بصفة خاصة لتكونا متفوقتين على القطعتين الألمانيةين . ووقوع هاتين القطعتين في يد الألمان في طريق خطوط تجارتنا يمرض مصالحنا لأشد الأخطار .

لأسبأ أن مهمما بارجتين وعددا من الطرادات الخفيفة والمدمرات والغواصات والسفن الحربية ، وفي ميناء الجزائر سبعة طرادات منها أربعة قتل مدافع عيار ثمانى بوصات . وفي جزر المارتيك حاملة طائرات وطرادان ، وفي الدار البيضاء البارجة جان برت . وقد وصلت أخيراً من سان نازير ولكن دون مدافع . ومن إحدى البوارج الرئيسية في قوات العالم البحرية . ولم يكن قد تم بناء هذه البارجة ولا يمكن أن يتم في الدار البيضاء وعليها أن تظل هناك . أما ريشليو التي أو شك بناؤها أن ينتهى فقد وصلت إلى داكار . وتستطيع أن تبحر وتستطيع مدافعها عيار خمس عشرة بوصة أن تطلق نيرانها وثمانية عدد آخر من السفن الحربية الفرنسية التي تقل أهمية في شتى المواقف . وكان في طولون عدد من البوارج التي يتعذر علينا الوصول إليها . وكانت عملية المنضيق التي ستم في آن واحد في كل مكان ترمي إلى الاستيلاء على كل ما يمكن الاستيلاء عليه من الأسطول الفرنسي أو الإشراف عليه أو تدميره إذا اقتضت الحال .

وفي الصباح المبكر من اليوم الثالث من شهر يولييه وضع الإشراف البريطاني على السفن الحربية الفرنسية في بورتسباوث وبليموث وكان العمل مفاجئاً وقد استخدمت فيه قوات متفوقة . وتبين من العملية كيف كان من السهل على الألمان أن يستولوا على البوارج الفرنسية في المواقف التي يسيطرون عليها وتمت العملية في سائر القطع ، عدا سيركوف ، بالزوى والقبول . ونزل البحارة الفرنسيون إلى البر مختارين ، أما في سيركوف فقد قتل فرنسي واحد وأسرع المئات من الفرنسيين وتقلعوا للعمل إلى جانبنا . وقد غرقت سيركوف بعد أن أبليت بلاء مجيداً في اليوم التاسع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٢ بكل من عليها من البحارة الفرنسيين البواسل .

وكانت الضربة القاضية غرب البحر الأبيض المتوسط حيث تلقى الأميران ممر فيل في جبل طارق وهو على رأس « القوة ه » وتآلف من البارجة - الطراد هود والبارجتين فالبان وريسيوليوشون وحاملة الطائرات « أرك وريال » وطرادين

وإحدى حشوة مدمرة ، الأوامر من الأميرالية في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين من صباح اليوم الأول من شهر يولييه .

وتقول واستعد لعملية المتجنق في اليوم الثالث من شهر يولييه ، وكان بين الضباط العاملين تحت إشراف بحر فيل الزبان هولاند وهو ضابط ممتاز شجاع . وكان ملحقا بحريا في باريس ومعروفا بمجوله الفرنسية . وأرسل نائب الأميرال في الساعات المبكرة بعد ظهر اليوم الأول من شهر يولييه يقول :

« بعد الحديث الذي تم بين نائب الأميرال وبين هولاند وغيره من القادة في القوة » ، اقتنع نائب الأميرال برأيهم في أنه يجب عدم استخدام القوة مهما تكن الأمور . ويرى هولاند أن أى عمل جوى ستكون نتيجة عداة الفرنسيين في سائر الأنحاء » .

وفي الساعة السادسة والدقيقة العشرين ردت الأميرالية بالبرقية التالية :

« إن حكومة جلالة نصر على أنه إذا لم يوافق الفرنسيون على شيء من الأغراض التي تعرضونها فيجب إغراق قطعهم البحرية والقضاء عليها ، وبعد منتصف الليل بقليل تلقى الأميرال سمر فيل رسالة من الأميرالية عني بإعادتها كل العناية لينقلها إلى الأميرال الفرنسي وكان الجزء الهام فيها ما يلي :

(أ) إما الإبحار معنا والاستمرار في القتال عند الألمان والإيطاليين حتى النصر .

(ب) أو الإبحار تحت إشرافنا بعدد قليل من التجارة إلى ميناء بريطانيا . وسيعاد هؤلاء البحارة إلى وطنهم في أقرب وقت .

فإذا اتبعتم أحد هذين الأمرين . فسوف نعيد قطعكم البحرية إلى فرنسا بعد انتهاء الحرب أو ندفع التعويضات عنها كاملة . إذا تعرضت للضرر .

(ج) أما إذا وجدتم أنفسكم في حالة تلزمكم بعدم استخدام بواريجكم عند الألمان أو الإيطاليين إلا إذا خرقو الهدنة فليكن أن تبحروا بها معتنا بعدد قليل من التجارة . إلى أي ميناء فرنسي . في الهند ، القريية

كلارتيك حيث يزوج سلاحها تعلمن ، أو تسليمها كأمانة إلى الولايات المتحدة حيث تبقى في زمامها حتى نهاية الحرب مع الوعد بإعادة البعثة إلى أوطانهم .

أما إذا رفضتم ما أعرضه عليكم فأني أدعوك ، مع الأسف ، إلى إغراق سفنكم الحربية في مدى ست ساعات وإذا لم تستجيبوا فإن لدى الأوامر من حكومة جلالاته بأن أستخدم كل مالى من قوة لمنع وقوع سفنكم في أيدي الألمان والإيطاليين .

وعند الفجر أبحر الأميرال فوصل أمام وهران حوالى الساعة التاسعة والنصف وبعث بالقبطان هولاند على ظهر إحدى المدمرات لمقابلة الأميرال جنسول الفرنسى . فلما رفض مقابلته بعث هولاند رسالة إلى الأميرال . وقد رد جنسول كتابة بأن البواجب الفرنسية ان تقع بحال من الأحوال في أيدي الألمان أو الإيطاليين وأن القوة ستقابل بمثلا .

وقد دامت المفاوضات طوال النهار . وسمح للقبطان هولاند أخيرا في الساعة الرابعة والربع بالعودة إلى البارجة دنسرك . ولكن المقاتلة بينه وبين الأميرال الفرنسى كانت جامدة . وكان جنسول قد أرسل في أثناء ذلك رسالتين إلى الأميرالية الفرنسية . وفي الساعة الثانية من المساء عقد مجلس الوزراء الفرنسى اجتماعا لدراسة الشروط البريطانية . وقد حضر الجلسة الجنرال فيجيان . وسجل دؤرخ حياته ما دار فيها ويبدو من قصة المؤرخ أن الاحتمال الثالث وهو ذهاب الأسطول إلى الهند الغربية لم يذكر في الجلسة على الإطلاق وقد قال : يتضح أن الأميرال دولان ، سواء أكان ذلك عن عمد أم عن براءة . عن علم أو عن جهل ، عملا أعرفه ، لم يخبرنا بالقصة مفصلة كاملة ويظهر لي الآن أن شروط الإنذار البريطانى كانت أقل خشونة مما تصورناه في ذلك الحين فقد اشتملت على شرط ثالث كنا نستطيع قبوله لو عرفناه إذا ذاك وهو أن يتجه الأسطول إلى مياه جزر الهند الغربية ، ولم أستطع إلى الآن ، سنة ١٩٥٠ ، أن أهدى إلى سبب لهذا الخلف أو السهو .

وكان تأثير الأميرال البريطانى وكبار ضباطه ظاهرا فيما تبادلناه من البرقيات ولم يكن ثمة من سبيل سوى الأمر بإطلاق النار على أولئك الذين كانوا إلى وقت قريب زملاء في القتال . . وقد عم شعور مماثل في الأميرالية نفسها ولكن لم يكن هناك أى أثر للضعف أو التراجع في إصرار وزارة الحرب . وقضيت طوال الوقت بعد ظهر ذلك اليوم في قاعة مجلس الوزراء وأنا متصل إتصلا مباشرا بكبار زملائي

ويلورد البحر الأول ووزير البحرية . وأخيراً أرسلنا البرقية التالية في الساعة السادسة والدقيقة السادسة والعشرين من المساء :

« إما أن تخضع السفن الحربية الفرنسية لشروطنا أو تغرق نفسها أو تمولوا إغراقها قبل حلول الظلام » .

ولكن العمل قد اتخذ مجراه . فقد شرح الأميرال سمرفيل في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين في إطلاق النار على هذا الاسطول الفرنسى القوى الذى تحميه بطاريات السواحل . وفي الساعة السادسة أبقى إلينا يقول إن المعركة شديدة وقد استمر تبادل إطلاق النار عشر دقائق . انفجرت خلالها البارجة « بريثافى » وأصبحت تنكرك بأضرار خطيرة . ولجأت البارجة بروفنس إلى الساحل ، أما استراسبرج فقد استطاعت النجاة وقد وصلت إلى طولون على الرغم من قذفها بالطوربيد من الطائرات القائمة في « أرك رويك » ، كما وصلت إليها الطرادات التى كانت في ميناء الجزائر .

أما فى الإسكندرية فقد وافق الأميرال الفرنسى جودفيرى ، بعد مفاوضات طويلة مع الأميرال كينجهام ، على ائزال كل ما تحمله بواخره من وقود . ورفع أجزاء هامة من مدافعه وأسلحته وإعادة عدد من بحارته إلى أرض الوطن . فقد هاجمت ساملة الطائرات هيرفر البارجة الفرنسية ريشليو ، واشتركت فى الهجوم بعض الزوارق البخارية وأصبحت ريشليو بطوربيد من الجو ألحق بها أضراراً جسيمة . أما ساملة الطائرات الفرنسية والطرادات الخفيفة فى الهند الغربية فقد نزع سلاحها بعد مفاوضات طويلة مع الولايات المتحدة .



وقد أبلغت مجلس العموم ببيان مطول . عما قنا بتنفيذه . وعلى الرغم من نجاة البارجة — الطراد استراسبرج من وهران ، وعلى الرغم من أن نبأ تعطيل ريشليو لم يكن قد وصل إلينا ، فإن ما اتخذناه من الإجراءات قد أزال تقدير الاسطول الفرنسى من حساب الألمان وفكرتهم الأساسية . وتحدثت بعد ظهر ذلك اليوم فى المجلس ساعة أو أكثر من ساعة . وقد مدت للتوابوصفا مطولاً للأحداث المؤلة التى وقعت كما أبلغت لى . وليس لى ما أزيد على ما سبق أن أعلنته للمجلس وللعالم أجمع وقد رأيت من المناسب أن أختتم حديثى بهذا التحذير الذى كنت قد أعلنته بصفة عامة بموافقة مجلس

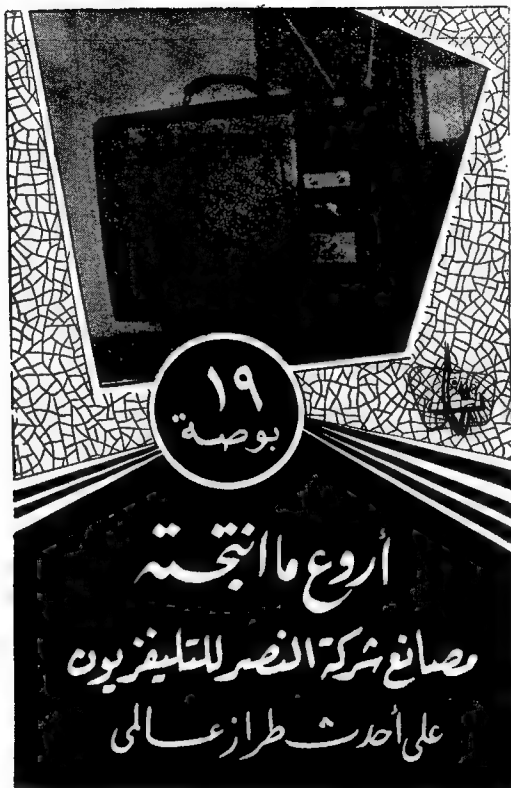
الوزراء على سائر الدوائر ذات النفوذ في الجهاز الحاكم في اليوم السابق. وهذا نصه :
« قد تقوم محاولة لغزو هذه الجزر وتبدأ معركة الوطن ما بين عشية
أو ضحاها ، ويود رئيس الوزراء أن يصارح جميع من يتولون مناصب
ذات مسئولية في الحكومة أو القوات المسلحة أو الدوائر المدنية ،
أن عليهم واجبا بأن يظلوا محافظين على روح الخلد والحيوية واليقظة
وإذا كن علينا أن نتخذ كل ما يمكن من الإجراءات الاحتياطية التي
يقيحها وقتنا الضيق ووسائلنا . فليس ثمة من حاجة إلى الاعتقاد بأن
الألمان يستطيعون أن يزلوا قوات في هذه البلاد من الجو أو البحر على
حد سواء ، أكثر مما في طوقنا أن ندمره أو نأسره بقواتنا القوية المتروبة
الآن . فالسلاح الجوي في هذه الآونة في أحسن حاله وقد بلغ أقصى
قوة عرفناها . والأسطول الألماني لم يكن في أى وقت أضعف منه الآن .
ولم يكن الجيش البريطاني في وقت ما أقوى مما هو اليوم . . ويتوقع
رئيس الوزراء من جميع موظفي صاحب الجلالة الذين يشغلون المناصب
العالية أن يكونوا مثلاً يقتدى به في الإصرار والثبات . وعليهم واجب
أن يردوا أية فكرة تدعو إلى التراخي والاستسلام في بيئاتهم أو عند
مرور وسبهم . وأن يوجهوا إلى أصحابها أشد عبارات الوم والتأنيب .
وعليهم أن يبلغوا رؤسائهم عن كل شخص سواء أ كان موظفا أم ضابطا
يقوم بنشر أنباء مثيرة . أو يفوه بالفاظ تدعو إلى اليأس والفرح .
بهذا وحده يكون هؤلاء الموظفون جديرين بأن يكونوا مواطنين مؤثلا
الذين يناضلون العدو في الجو والبحر والبر . وقد أئتمروا أن العدو
لا يزيد عنهم في القوى الحربية بحال من الأحوال . »

وكان السكون حثيا على المجلس وأنا أتلو هذا البيان وما كدت اتمى منه حتى رأيت
مظهرا عجيبا لم يشج لي أن أرى مثيلا له في حياتي . لقد هب كل من في المجلس على قدميه
يهتف ويهتف المتناف . وكان حزب المحافظين حتى هذه الآونة يعاملني بتحفظ شديد
وكانت مقاعد العمال وحدها هي التي تلقاني بترحيب حار حين أدخل إلى المجلس أو
أبدأ الحديث في مناسبة ذات شأن . أما الآن فقد اشترك الجميع في هذا التأييد الإجماعي
الصادر من أعماق القلوب .

وقد كان لنفسية الإسطول الفرنسي ، كعامل حرب له قيمة بضرية قاصدة ، أثر عميق

في سائر بلاد العالم . فها هي ذي بريطانيا التي كان يظن الجميع أنها تترحم تحت ضربات العدو وتنبأ للاستسلام تعذب بلا رحمة أعز أصدقائها بالأمس لتؤم لنفسها السيطرة على البحار فترة من الزمن . وقد تبين للجميع أن وزارة الحرب البريطانية لاتهاب شيئا ولا تتردد في القيام بأي شيء تراه وكن هذا أمراً مقضياً .

وقد استطاع الشعب الفرنسي أن يستخلص بمقرراته من كلثة زهران أملا جديدا وعزما قويا صادقا وكان الجنرال ديغول الذي لم استشره قبل في شأن الأسطول قد ظهر بمظهر جليل . وقد أبدت فرنسا بعد تحريرها موقفه ، وأتى مدين للسيبوتيجي ، من زعماء المقاومة الفرنسية المهددين والذي أصبح فيما بعد وزيراً للدفاع ، بالقصة التي ساروها : كانت هناك عائلتان من الفلاحين تسكنان قرية بالقرب من طولون وقد فقدت كل منها ولدا ينهران المدافع البريطانية في زهران وكانا يعملان بحارين في الأسطول وقد أعد مشهد لتشجيع الشابين . ورغب سائر الجيران أن يشاركوا فيه . وقد أصرت الأسرطان على أن يوضع العلم البريطاني على النعش إلى جانب العلم الفرنسي . وكان للأسرتين ما أرادت . ومن هذه القصة نرى كيف ترتفع القوى المعنوية عند بعض البسطاء إلى معارج السمو والخلود .



١٩
بوصة

أروع ما أنتجته
مصانع شركة النصر للتليفزيون
على أحدث طراز عالمي

هيئة قناة السويس

من انباء القناة

حركة البضائع

سجلت كميات البضائع التي عبرت القناة خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ زيادة على تلك العابرة خلال نفس الشهر من العام الماضي قدرها ١٢٣.٠٠ طن أى بنسبة ٩,٠٪ حيث بلغت كميات الشهر الحالي ١٤٩.٠٤٠٠ طن مقابل ١٤٧.٧١٠ طن في أكتوبر ١٩٦٠.

حركة البضائع من الشمال :

كانت الزيادة المسجلة في كميات البضائع العابرة من الشمال خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ السبب الرئيسى في ارتفاع الكميات العابرة من الانجمايين. فقد بلغت كميات أكتوبر سنة ١٩٦١ ٢٨٨.٥٠٠ طن مقابل ٢٠٧.٨٠٠ طن، بزيادة قدرها ٨٠.٧٠٠ طن أى بنسبة ٣٨,٨٪ و ترجع تلك الزيادة إلى ارتفاع كميات جميع أنواع البضائع العابرة في هذا الاتجاه. وكان أولها المواد البترولية التي ارتفعت كمياتها بمقدار ٢٢.٠٠٠ طن أى بنسبة ١٠٠٪ (٦٣٩.٠٠ طن خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ مقابل ٣١٩.٠٠ طن في أكتوبر ١٩٦٠)، وقد شملت الزيادة كميات البترول الخام بمقدار ١٨٩.٠٠ طن (٤٠٧.٠٠ طن مقابل ٢١٨.٠٠ طن) والملازوت بمقدار ١١٦.٠٠ طن (١٣٦.٠٠ طن مقابل ٢٠.٠٠ طن) والسولار والديزل بمقدار ٢.٠٠ طن (٢٧.٠٠ طن

مقابل ٢٥٠٠٠ طن) والبنزين بمقدار ١٣٠٠٠ طن (٢٣٠٠٠ طن مقابل ١٠٠٠٠ طن) بينما لم تتغير كميات الكيروسين (٣٧٠٠٠ طن) .

وبالنسبة لمناطق شحن المواد البترولية فقد صدر الاتحاد السوفيتي ما يعادل ٨٤٪ من كمياتها ، وإيطاليا ٥٪ ، بينما استقبلت اليابان ٥٣٪ من تلك المواد ، والجمهورية العربية المتحدة ٢٧٪ ، والملايو ٧٪ .

وقد زادت كميات البضائع الأخرى عدا المواد البترولية بمقدار ٤٨٧٠٠٠ طن أى بنسبة ٢٨٪ (٢٢٤٦٠٠٠ طن مقابل ١٧٥٩٠٠٠ طن) .

وقد سجلت جميع كميات البضائع الرئيسية نسب الزيادة الآتية مقارنة بمشيلاتها العابرة في أكتوبر ١٩٦٠ :

السكر	٤٢١٪ +
الأسمنت	٤٩٪ +
الحبوب	٣٠٪ +
المعادن المصنوعة	٢٥٪ +
الآلات	٢٠٪ +
الأسمدة	٦٪ +

حركة البضائع من الجنوب

بلغت كميات البضائع العابرة في هذا الاتجاه خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٦١ ١٢٠١٩٠٠٠ طن مقابل ١٢٦٩٣٠٠٠ طن خلال أكتوبر ١٩٦٠ بنقص قدره ٦٧٤٠٠٠ طن أى بنسبة ٥,٣٪ . ويرجع هذا النقص إلى انخفاض كميات المواد البترولية والمعادن وخاماتها . فقد بلغت كميات البترول التى عبرت القناة خلال أكتوبر سنة ١٩٦١ ٩٦٦٥٠٠٠ طن مقابل ١٠٣٣٧٠٠٠ طن فى أكتوبر ١٩٦٠ بنقص قدره ٦٧٢٠٠٠ طن أى بنسبة ٦,٥٪ . وقد شمل النقص جميع أنواع المواد البترولية .

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٢١٦٢٥

مجموعة اخترنا لك

تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية
يشارك في تحريرها واعدادها
مجلة "اخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج - القاهرة
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٠ - ٣١٦٢٥

١٠ قروش

المن

Bibliotheca Alexandrina



02552575